ترجمات ناشري

الورقة الأخيرة

مجموعة من القصص العالمية المترجمة



ترجمة

أمل عمر بسيم الرفاعي

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لدار ناشري للنشر الإلكتروني.
www.Nashiri.Net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب.

نشر إلكترونيا في ربيع الأول، ١٤٣٣/يناير، ٢٠١٢.

يمنع منعا باتاً نقل أية مادة من المواد المنشورة في ناشري دون إذن كتابي من الموقع. جميع الكتابات المنشورة في موقع دار ناشري للنشر الإلكتروني تمثل رأي كاتبيها، ولا تتحمل دار ناشري أية مسؤولية قانونية أو أدبية عن محتواها.

الإخراج الفني: ندى الزهراني
تصميم الغلاف: إدريس يحي

محتويات الكتاب

المقدمة ٤

ملخصات القصص ٦

الورقة الأخيرة ١٠

الشرطي والنشيد ٢١

الرؤية ٣٢

سيدي الطفل ٦٣

جمال الشكل وجمال الروح ٧٦

الجدّة ٨٨

مثل سيء ٩١

الموقع النائي ١٣٥

السير الذاتية للكتّاب ١٨٣

السيرة الذاتية للمترجمة ١٨٨

المقدمة

الأمل... قد يتساءل الكثيرون: هل بإمكان المرء أن يعيش بالأمل وعلى الأمل فقط ؟ ... لاشك أن الإيمان بالله يأتي في المرتبة الأولى بالنسبة لكل ما يجعل المرء يستمر في الحياة رغم كل ما قد يمرّ به من نوائب ومصاعب أومن خيبات ،، وعلى الرغم مما قد يكون في حياتنا من مدّ وجزر يتقاذفنا وينقلنا من فرح إلى حزن ومن سعادة إلى شقاء ومن طموح إلى تخاذل الخ... فنادراً ما تستمر حياتنا على وتيرة واحدة سواء أكان ذلك بما يحقق لنا السعادة أو بما يتسبب لنا بالشقاء والتعاسة...

نعم! فقد أثبتت التجارب الإنسانية على مرّ العصور بأن الأمل الذي يزرعه الإيمان في نفوسنا، قد يكون الحافز على استمرارية المرء في مواجهة كل ما يتعرّض إليه،، وبأن الأمل هو في الواقع ما يُعطي لحياتنا معناها وما يجعل لها جدواها وهدفها، وبأنه يجعلنا نرنو إلى تحقيق ما نتمناه ونحن تطلع إلى المستقبل بتفاؤل.

صحيح أنه ليس بإمكان المرء أن يُحقق دوماً ما يأمل به وما قد يطمح ويتطلع إليه ، لكنه حتى لو لم يتوصل إلى تحقيق ما يبتغيه فلابد أن يكون قد عاش بذلك الأمل في حالة من متعة انتظار الأفضل ولو لفترة من حياته ...

قال أحد الشعراء :

منى إن تكن حقاً تكن أعذب المنى

وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

وقال أحد الحكماء أيضاً:

ما يهمّ في وقت الشدّة ليس الصواب أو الخطأ بل ما يُعيننا على البقاء.

كان هذا ما جسّده الكاتب أو- هنري بشكل رائع في قصة الورقة الأخيرة التي رأيت أن أجعلها عنواناً للمجموعة الثالثة من القصص التي اخترت أن أضعها بمتناول القراء .

ملخصات القصص

قصص الكاتب أو- هنري واسمه الأصلي ويليم سيدني بورتر:

الورقة الأخيرة:

قصّة تُصوّر بشكل رائع قيمة الأمل في حياة الإنسان، حيث كان الأمل ما ساعد مريضة بالالتهاب الرئوي في مرحلة متقدمة على التماثل للشفاء بعد أن كانت قد وصلت إلى مرحلة الاستسلام للمرض والاستعداد للموت.

إن جمال الحياة شيء معنوي يخضع لأسس تنبع مما يُصوّره المرء لنفسه عن طبيعة الحياة وهو ينبع بالأمل ومن قرارة النفس..

الشرطي والنشيد:

قصّة رجل مُتشرد كان في لحظة مواجهة مع النفس، أعادته إلى ذكريات حياته قبل التشرد، قد عقد النيّة على السير في الطريق القويم، لكن ذلك كان مع الأسف بعد فوات الأوان...

قصص الكاتب رابندراناس تاغور الحائز على جائزة نوبل للآداب:

الرؤية:

قصّة رائعة تصوّر مشاعر زوجة فقدت بصرها نتيجة إهمال زوجها في علاجها، لكن إيمانها ومحبتها لزوجها جعلاها تتقبل الأمر وتمتنع عن الاستسلام للحقد والضغائن. كما تصوّر القصة بذات الوقت كيف أن بإمكان من يُصاب بفقدان البصر أن يتأقلم مع الحياة بحيث تصبح بصيرته بالمِران البديل عن بصره الذي فقده...

سيدي الطفل:

قصّة عن تقاليد المجتمع الهندي يُصوّر فيها الكاتب تفاني وإخلاص أحد الخدم لسيده ما جعله يصل إلى درجة من نكران الذات بحيث يتخلى عن أبوته لولده لكي يعوّض سيده عن الطفل الذي فقده، لاعتقاده أن ذلك الطفل كان قد توفي نتيجة إهمال منه ، لكن ذلك يتسبب له في نهاية الأمر بألم ومعاناة يؤديان إلى وفاته وحيداً.

آمن بالمحبة حتى لو حملت لك الألم، لكن كل محبة قد تحمل للمرء الألم ماعدا حبه لله.

قصص الكاتب هانس كريستيان أندرسون:

قصّة جمال الشكل وجمال الروح:

أراد الكاتب في هذه القصّة أن يُصور صحّة مَقولة أن جمال الشكل لابد أن يفنى لكن جمال الروح يبقى، وبأن الأرواح تتلاقى وتتخاطب فيما بينها بالعقول.

أقبل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

قصّة جدّتي:

لابد أن لكل منا ذكرياته عن جدّته... تلك الذكريات التي ترتبط عاطفياً بشكل كبير بالصور التي يحتفظ بها أي طفل في مخيلته عن أيام طفولته. وهذا ما صوّره الكاتب في هذه القصّة القصيرة بأسلوب رقيق و بإحساس مرهف جداً.

قصص الكاتب سومرست موجهام:

قصّة مثل سيء:

قصّة رجل ميسور الحال يمرّ بتجربة قاسية تجعله يصاب بصدمة تفتح عينيه على حقيقة البؤس الذي تعيش فيه الطبقات المُعدمة. وبذلك يرجع إلى الله ويتحوّل إلى رجل مُحسن يكرّس نفسه لمساعدة الفقراء، لكنه يصل بعد ذلك إلى مرحلة الزهد التام ، بحيث يؤدي إهماله لواجباته الوظيفية إلى طرده من عمله ،. كما ينتهي الأمر إلى أن يعتبره من حوله حتى زوجته من الأشخاص غير المتوازنين عقلانياً والمصابين " بالهَوس الديني" لأنه يصّر على التبرع بكل ما يمتلكه للطبقة الفقيرة، في الوقت الذي تمرّ فيه عائلته بظروف مالية صعبة، وبذلك يتم الحجر عليه...

لاشك أن فعل الخير واجب كل منا في هذه الحياة ، لكن الإفراط والمبالغة فيه قد يُعتبر نقيصة في المرء وقد يؤدي إلى نبذه من مجتمع لا يعرف العطاء...

قصّة الموقع النائي:

قصّة صراع بين رجلين من طبقتين اجتماعيتين مختلفتين يؤدي إلى تولد كراهية شديدة بينهما وإلى صراع مرير . وتُلقي هذه القصّة الضوء من ناحية ثانية على أن التواضع يجعل المرء يكسب محبة الآخرين ويشجعهم على احترامه.

- كلنا أقرباء فقد جمعتنا شمس واحدة .

THE LAST LEAF

الورقة الأخيرة

للكاتب أو- هنري

قصّة رمزية عن فرصة نادرة حقق بها أحد الفنانين المغمورين ما كان يتطلع إليه طوال حياته من شهرة، لكنه دفع حياته ثمناً لذلك في الوقت الذي ساهم فيه في إنقاذ حياة فنانة شابة...

١

كان للفنانتين الشابتين الناشئتين سوزي وجوانا ، استديو صغير في الطابق العلوي من مبنى يتألف من ثلاثة طوابق يقع في منطقة سكنية صغيرة في الجهة الغربية من مدينة واشنطن ، وهو استديو مشترك خاص بهما (مكان يُخصصه الفنانون للرسم أو للنحت)، وعلى الرغم من أن إحداهما كانت من ماين بينما كانت الأخرى من كاليفورنيا إلا أن توافق ميولهما وأفكارهما الفنية جعلاهما تتشاركان معاً في الحياة وفي العمل في ذلك الاستديو الصغير..

وفي ذلك الوقت كانت نزلة برد غريبة لم يسبق أن عرفها أحد إلى أن أطلق عليها الأطباء اسم " الالتهاب الرئوي" قد تفشت في المنطقة في بداية شهر تشرين الأول (نوفمبر) وأصابت بأصابعها الجليدية شخصاً هنا وشخصاً هناك.

كان ذلك الالتهاب الرئوي قد سجل العديد من الإصابات في الجهة الشرقية وضرب فيها ضحاياه بكل قسوة.، ثم انتقلت أقدامه الضارية ببطء وجرأة إلى المناطق الضيقة للمستنقعات التي تنمو فيها الطحالب الرطبة البريّة.

لم يكن السيد الالتهاب الرئوي ما يمكن أن نصفه " بالعجوز النبيل"، وإنما كان ذلك الأخرق قد أصاب ببلائه وبيديه المُلطختين بالدماء جوانا... وجوانا فقط... تلك المخلوقة الصغيرة النحيلة التي أتت من كاليفورنيا.

ظلت جوانا طريحة الفراش لمدة طويلة لا تكاد تقوى حتى على الحركة وهي تُحدّق طوال الوقت من خلال النافذة إلى الجانب الفارغ من بيت قرميدي مجاور .

كان الطبيب قد طلب ذات يوم التحدث إلى صديقتها سوزي في البهو بحيث يكون بعيداً عن مسامع جوانا . كانت تعلو وجهه نظرة مهيبة كئيبة.، قال وهو يهزّ زئبق ميزان الحرارة :

" ما تبقى لها هو فرصة واحدة... أو لنقل عشر فرص، وتكمن هذه الفرصة في أمر واحد فقط وهو بأن تكون لديها الرغبة بأن تعيش.، لأن تمسّك الشخص بفكرة الموت من شأنه أن يجعل جميع الأدوية عديمة الفائدة... لكن يبدو لي أن السيدة الصغيرة قررت ألا تتماثل للشفاء. أليست لديها أية اهتمامات؟"

قالت سوزي "ما أعلمه أنها كانت ترغب بأن ترسم ذات يوم لوحة لخليج نابل . "

قال الطبيب " أهذا كل ما ترغب به ؟ أن ترسم فقط ؟ هذا سخف! أليس لديها ما يستحق التفكير به والتطلع إليه، كأن يكون لها على سبيل المثال ارتباط عاطفي برجل ؟"

قالت سوزي" ارتباط عاطفي برجل؟ وهل يستحق أي

رجل الرغبة بالحياة ؟ لا، ليس لديها أي شيء من هذا القبيل."

قال الطبيب" حسناً، فإذن لابد أن يكون سبب عدم تجاوبها مع العلاج هو ضعف بُنيتها. سوف أبذل كل ما بإمكان الطب أن يساعدها به .، ولكن، عندما سوف تبدأ مريضتي بتعداد ما تبقى لها من أيام، وعندما سوف تبدأ بانتظار الموت.

فسيكون علي حينئذ أن أسقط من الحساب ٥٠ بالمائة من القدرة الشفائية للأدوية . لو تمكنت على الأقل أن تجعليها تسأل سؤالا واحداً يُشير إلى اهتمامها بالحياة.، بإمكانك على سبيل المثال أن تسأليها عن شكل أكمام معطف الشتاء الجديد، ولو أثار ذلك اهتمامها فسوف أعدك بأن تكون لديها فرصة للنجاة أكثر بخمس مرات من فرصها الحالية للشفاء."

ذهبت سوزي بعد مغادرة الطبيب إلى المشغل وبعد أن وضعت قطعة من القماش الياباني على لوحة الرسم حملتها وعادت إلى غرفة جوانا وهي تختال وتغني .

لكن جوانا كانت مُستلقية تحت الملاءات دون حراك مُوجهة نظرها نحو النافذة . مما جعل سوزي تعتقد بأنها نائمة .، وبذلك توقفت عن الغناء ووضعت أمامها لوحة الرسم وبدأت تخطّ عليها الرسومات التي سيتم إدراجها في إحدى القصص التي ستنشرها إحدى المجلات التي تعمل لديها .، فلابد لكل فنان شاب يسعى لشقّ طريقه إلى الفن ، أن يبدأ برسم مثل تلك الصور البسيطة التي تُزين القصص التي تنشرها الصحف للكتاب الشبان الذين لايزالون أيضاً في بداية طريقهم نحو تحقيق الشهرة الأدبية.

عندما بدأت سوزي تضع الخطوط الأولى صورة لأحد رعاة البقر الأبطال، سمعت صوتاً خافتاً يتردّد مرة بعد مرة، وبذلك أسرعت إلى جانب سرير المريضة... كانت جوانا تُحدّق عبر النافذة بعينين واسعتين وهي تَعدّ ثم تعيد العدّ من جديد.

قالت " اثنا عشر ثم قالت بعد قليل أحد عشر ثم قالت عشرة ثم تسعة ثم قالت والآن ثمانية وسبعة معاً."

نظرت سوزي بقلق من النافذة وتساءلت عما قد تكون جوانا تُحصيه هناك ؟ لكن كل ما كان بإمكان المرء أن يشاهده عبر النافذة كان عبارة عن ساحة جرداء لجانب كئيب فارغ لمنزل من القرميد يقع على بعد عشرين قدماً، تبدو على جداره شجرة لبلاب ذاوية تتسلق جذورها ذلك الجدار القرميدي.

كانت النسمات الخريفية الباردة تهزّ أوراق شجرة اللبلاب بشدّة مما يجعل أوراقها الذابلة تتساقط من أغصانها العارية التي تلتصق بقطع القرميد المحطمة.

سألتها سوزي " ما الأمر عزيزتي؟

قالت جوانا بصوت خافت أشبه بالهمس:

" بقي منها الآن ستة فقط... ثم قالت ها قد بدأت الآن تتساقط بأكثر من السرعة... كان عددها من ثلاثة أيام حوالي المائة. يجعلني تعدادها أصاب بالصداع، لكن الأمر أصبح أكثر سهولة الآن فقد بدأت تتساقط بسرعة الواحدة تلو الأخرى ولم يتبق منها سوى خمس."

قالت سوزي " ما الذي تعنيه بخمس فقط عزيزتي ؟ أعلمي صديقتك ، ماالذي تعنيه بخمس؟ خمس ماذا ؟"

" خمس أوراق فقط على شجرة اللبلاب...وعندما ستسقط الورقة الأخيرة سوف يكون علي أنا أيضاً أن أغادر هذا العالم... علمت بذلك منذ ثلاثة أيام، ألم يكن الطبيب قد أعلمك ذلك؟"

احتجت سوزي بالقول " أووه، لم يسبق أن سمعت بمثل هذا الهراء، ما علاقة أوراق شجرة اللبلاب بتماثلك للشفاء.؟ كما أنك كنت تُحبين شجرة اللبلاب. أنت أيتها الفتاة المتعبة! لا تكوني مُغفلة! كل ما أعلمني به الطبيب صباح اليوم هو أن لديك فرصة كبيرة للتماثل للشفاء التام وعما قريب... لنرى ما قاله بالضبط، قال لي بأن فرص شفاءك هي عشرة من واحد ! أليست هذه من الفرص الجيدة ؟ فلتحاولي الآن أن تتناولي بعض الحساء، ولتدعيني أعود إلى عملي لكي أتمكن من بيع ما أرسمه للناشر كي نشتري بثمنه بعض العصائر للطفلة المريضة وبعض المأكولات لصديقتها النهمة."

لكن جوانا قالت وهي لاتزال تُحدق بالنافذة " لاحاجة لشراء المزيد من العصائر ، ها قد سقطت ورقة أخرى لا، لا، لست بحاجة للحساء. كل ما تبقى هو أربع أوراق فقط. أريد أن أرى الورقة الأخيرة تسقط قبل أن يحلّ الظلام لأنني حينئذ سوف أغادر أنا أيضاً هذه الحياة..."

انحنت سوزي نحوها وقالت " عزيزتي جوانا ،هل تَعديني بإبقاء عينيك مُغمضتين وبعدم النظر من النافذة إلى أن أنهي ما أقوم به من عمل؟ عليّ تسليم هذه الرسومات غداً ،. وأنا بحاجة إلى الضوء وإلا فسوف أرسم الظلال بشكل خاطئ."

سألتها جوانا ببرود" أليس بإمكانك أن ترسمي في الغرفة الأخرى؟"

قالت سوزي " أفضّل أن أكون هنا كما أنني بالإضافة إلى ذلك أريدك أن تُبعدي نظرك عن أوراق شجرة اللبلاب تلك."

قالت جوانا وهي تُغمض عينيها وتتمدد في الفراش بذلك الجسد الشاحب أشبه بتمثال من الشمع:

" فلتعلميني عندما ستنهي عملك، لأنني أرغب برؤية الورقة الأخيرة تسقط، فقد تعبت من الانتظار... وتعبت من التفكير... سوف أترك كل شيء لكي أبحر إلى الأسفل... إلى الأسفل... مثل تلك الأوراق البائسة الذابلة..."

قالت سوزي:

" حاولي أن تنامي الآن. علي أن أتصل ببيرمان لكي أطلب منه أن يَمثل أمامي لكي أرسم صورة لعامل مِنجم عجوز . لن يستغرق مني ذلك أكثر من دقيقة. لا تتحركي إلى أن أعود إليك."

أما بيرمان فهو رسام عجوز يقيم في الطابق السفلي من المبنى ، رجل تجاوز سن الستين ، له لحية تشبه لحية ميكايل أنجلو (أشهر الرسامين في عصره) . كان بيرمان قد أخفق في عمله كفنان ، وعلى الرغم من أنه كان قد استخدم الريشة لمدة أربعين عاماً لكنه لم يكن قد توصل بعد إلى ما يُضاهي براعة مُعلمته في الرسم . كان يقول دوماً بأنه على وشك البدء في رسم اللوحة التي سوف تكون فريدة من نوعها، والتي سوف تُحقق له الشهرة .، لكنه لم يكن قد بدأ بذلك مطلقاً.، وإنما كان قد توقف عن الرسم منذ عدة سنوات،

ما عدا ما كان يرسمه من وقت لآخر من صور غير متقنة لإعلانات أصحاب المشاريع التجارية. كما كان يكسب القليل من المال من عمله مثالاً للفنانين الشبان في تلك المنطقة، ممن ليست لديهم إمكانية سداد تكلفة شخص مُحترف. كان بيرمان يُسرف دوماً في الشراب ثم يعود للقول بأنه سوف يرسم لوحته الفريدة تلك وبأن ذلك الأمر سوف يُحقق له الشهرة...

أما بالنسبة لباقي الأمور فبإمكاننا أن نقول بأن بيرمان العجوز كان حادّ الطباع وبأنه قد يهزأ كثيراً من ضعف أي شخص ، لكنه بذات الوقت كان يعتبر نفسه بمثابة الحارس للفنانتين الشابتين المقيمتين في ذلك الاستديو .

وجدت سوزي بيرمان مُختلياً في الوكر الذي يُقيم به .، الذي كان في إحدى زواياه ، مِسند عليه لوحة رسم فارغة لاتزال بانتظار اللمسة الأولى منذ خمسة وعشرين عاماً.

أعلمته سوزي بما يدور بمخيلة جوانا وكيف أنها تخشى من أن تغادر الحياة أشبه بتلك الورقة الهشّة الهزيلة، وكيف كان تمسكها الواهن بالحياة قد بدأ يتناقص يوماً بعد يوم ... امتلأت عينيا بيرمان الحمراوان بالدموع وأبدى اعتراضه وسخريته من تلك التخيلات الحمقاء بأن صاح:

" ماذا؟ هل سيكون على الأشخاص الذين نُحبهم أن يموتوا لأن الأوراق الميتة تسقط من شجرة لبلاب؟ لم أسمع من قبل بمثل هذا الهراء. لا، لن أخسر مثل هذه الفنانة لكي أكون مثّالاً لك. لِم تسمحين لها بالتفكير بمثل تلك التهيؤات والأفكار السيئة ؟ يا للصغيرة البائسة ."

قالت سوزي" جوانا مريضة جداً وضعيفة جداً . جعلتها الحمى كئيبة وكثيرة التهيؤات. حسناً ، سيد بيرمان إن لم ترغب بالوقوف أمامي لكي أرسمك فلا داع لذلك ، لكنني سوف أعتبرك عجوزاً بغيضاً... أنت أيها العجوز المستهتر."

صاح بيرمان" أنت مثلك مثل أية امرأة ، من الذي قال أنني لن أقف أمامك لكي ترسميني؟ اذهبي الآن ، وسوف ألحق بك فأنا منذ نصف ساعة أحاول أن أعلمك بأنني على استعداد للوقوف أمامك.، ولكن يا إلهي ! أليس هناك مكان أفضل من المكان الذي تكون فيه جوانا مُمدة في سريرها!.. لابد أن أرسم لوحتي الفريدة ذات يوم... يا إلهي! ما هذا ؟ لكن لابأس فلابد أن نموت جميعاً ذات يوم... نعم، لابدّ أن نُغادر جميعاً هذه الحياة ذات يوم... "

كانت جوانا لاتزال نائمة عندما صعدا إلى الأعلى . رفعت سوزي الستائر وألقت برهبة نظرة إلى شجرة اللبلاب. ثم نظر كل منهما إلى الآخر للحظة دون أن يتفوّها بكلمة واحدة. كان المطر لايزال يهطل بغزارة ممتزجاُ بالثلج. اتخذ بيرمان مقعداً وجلس أمام سوزي.، وكان يرتدي قميصاً أزرق اللون يتناسب تماماً مع شكل عامل المنجم العجوز الذي سوف ترسمه.

٢

عندما استيقظت سوزي في صباح اليوم التالي وجدت جوانا فاترة الهمّة تُحدّق بعينين واسعتين بالستارة الخضراء المُسدلة . ثم كانت قد همست:

" سوزي ، ارفعي الستارة أريد أن أرى الشجرة."

امتثلت سوزي لرغبتها بتململ.

ولكن ! أووه!.. فبعد كل تلك الرياح العاتية التي عصفت طوال الليل ، ورغم المطر الشديد الذي لم يكن قد توقف عن التساقط ، كانت لاتزال هناك ورقة واحدة إلى جانب جدار القرميد . كانت تلك هي الورقة لأخيرة في شجرة اللبلاب... كانت تلك الورقة ذات جذع أخضر داكن اللون لكن أطرافها المُسننة كانت صفراء اللون .، كانت مُتدلية على نحو رائع على أحد الأغصان على علو ما يقارب العشرين قدماً من الأرض.

قالت جوانا " هذه هي الورقة الأخيرة .اعتقدت أنها لابد أن تكون قد سقطت أثناء الليل.، لكنها لابد أن تسقط اليوم وسوف أموت أنا أيضاً بذات الوقت..."

قالت سوزي وهي تنحني نحو وجه جوانا المُمدة في الفراش:

" حبيبتي، غاليتي، أرجوكِ لا تقولي هذا... فإن لم تفكّري بنفسك لتفكّري بي على الأقل... ما الذي سأفعله بدونك؟"

لكن جوانا لم تُجبها . من أكثر الأشياء توحّداً في هذا العالم، هي روح تستعد للذهاب في تلك الرحلة الغامضة البعيدة... كان الخيال على ما يبدو قد استولى عليها تماماً مما أدى إلى تفكك جميع الروابط التي تربطها بالصداقة وبالأرض الواحدة تلو الأخرى..

زال النهار وحلّ المساء ثم حلّ ظلام الليل ... ولكن كان بإمكان المرء مع ذلك أن يُشاهد حتى في الغسق تلك الورقة الوحيدة التي كانت لاتزال مُعلّقة على الغصن إلى جانب الجدار. كانت ريح شمالية عاتية قد هبّت طوال الليل وكان المطر يقرع على النوافذ ويضرب الأفاريز، لكن تلك الورقة بقيت متدلية في مكانها.. وعندما بدأ ضوء النهار يُشرق في الصباح التالي، طلبت جوانا من سوزي أن ترفع الستارة . كانت ورقة شجرة اللبلاب لاتزال هناك!...

ظلت جوانا تنظر إلى تلك الورقة لمدة طويلة. ثم نادت سوزي التي كانت تعدّ لها الطعام وقالت:

" سوزي ، سامحيني كنت فتاة سيئة. لابدّ أن هناك ما جعل الورقة الأخيرة تبقى على غصن شجرة اللبلاب لكي أدرك كم كنت سيئة... من الإثم أن يرغب المرء بالموت... بإمكانك الآن أن تجلبي لي بعض الحساء أو ربما بعض الحليب وكذلك... لا...لا... بل اجلبي لي المرآة أولاً، ولتضعي بعض الوسائد حولي أريد أن أجلس وأنظر إليك وأنت تُعدين الطعام."

وكانت بعد ساعة قد قالت" سوزي، بودي أن أرسم ذات يوم لوحة لخليج نابل..."

كان الطبيب كعادته قد جاء لزيارة جوانا بعد ظهر اليوم التالي ،، وعندما كان على وشك المغادرة أخذ بيدي سوزي بين يديه التي كانت ترافقه إلى البهو وقال:

" أصبح لديها الآن الكثير من الفرص، وبالمزيد من العناية الجيدة سوف تنجو تماماً .، لكن عليّ أن أذهب الآن لزيارة مريض آخر يقيم هنا في الطابق السفلي يُدعى بيرمان. هو أحد الفنانين أيضاً كما أعتقد . أصيب هذا الرجل بالالتهاب الرئوي أيضاً لكن إصابته خطيرة كما أنه رجل عجوز ضعيف البنية لذا ليس هناك أي أمل في شفائه.، سوف أقوم بنقله اليوم إلى المستشفى لكي يتلقّى المزيد من العناية."

وكان الطبيب في اليوم التالي قد قال لسوزي:

" لقد فزت! تجاوزت صديقتك مرحلة الخطر، وكل ما ستحتاج إليه الآن هو الغذاء والعناية."

٣

ثم كانت سوزي بعد ظهيرة ذلك اليوم قد اقتربت من سرير جوانا التي كانت تحيك ،بكل اطمئنان، وشاحاً جميلاً من الصوف الأزرق اللون . أحاطتها بذراعها وقالت:

" عزيزتي، أريد أن أعلمك بأمر ما !. توفي السيد بيرمان اليوم في المستشفى . كان قد أصيب أيضاً بالالتهاب الرئوي ولم يستغرق مرضه سوى يومين . كان البواب الذي عثر عليه في غرفته في اليوم الأول.، قد وجده عاجزاً تماماً عن الحركة لشدة الألم. كانت ملابسه بكاملها مُبللة بالماء المتجمد. لم يكن بإمكانهم معرفة المكان الذي كان فيه في تلك الليلة العاصفة.،

لكنهم في اليوم التالي عثروا على مصباح لايزال مضاءً وعلى سلم مُسند على الأغصان الميتة لشجرة اللباب ، وكذلك على لوحة رسم مُزجت عليها ألوان خضراء وصفراء ، و... و ...

عزيزتي ! انظري من النافذة إلى ورقة شجرة اللبلاب تلك. ألم تَعجبي من أنها لم تسقط بعد؟ وبأنها لم تتحرك أيضاً من مكانها رغم الرياح العاتية التي هبت والأمطار الغزيرة التي سقطت خلال اليومين الأخيرين؟ آه... يا عزيزتي !.. هذه هي بالفعل اللوحة الفريدة التي رسمها بيرمان.، وكان قد رسمها لأجلك في ذات الليلة التي سقطت فيها الورقة الأخيرة من شجرة اللبلاب..."

THE COP AND THE ANTHE

الشرطي والنشيد

للكاتب أو - هنري

تحرك سوبي بصعوبة على مقعده في ساحة ميديسون. فعندما يعلو صياح الإوز البري في الليالي الباردة، وعندما تصبح النساء اللاتي لا تمتلكن معاطف جلد الفقمة، أكثر توداً لأزواجهن، وعندما يتحرك سوبي بصعوبة على مقعده في الحديقة، فبإمكانك حينئذ أن تُدرك بأن الشتاء قد بات على الأبواب.

سقطت على حِجْر سوبي بطاقة ورقية قديمة، كانت تلك بطاقة السيد جاك فروست .، ذلك لأن جاك فروست يتعامل بطيبة مع المقيمين النظاميين في ساحة ميديسون، لذا فهو يُشعرهم باقتراب موعد زيارته السنوية لهم بأسلوب لطيف بأن يقوم تسليم بطاقته إلى المسؤول عن نورث ويند وفي زوايا الأربع للشوارع التي يُقيم فيها جميع من هم بدون مأوى، لكي يتمكن المقيمون فيها من الاستعداد لزيارته .

أدرك سوبي أن الوقت قد حان بالنسبة إليه لأن يقوم بتحويل نفسه إلى إحدى لجان المساعدات المالية، وبأن عليه أن يستعد للمحنة المقبلة. لذا كان قد تحرك على مقعده بقلق...

لم تكن طموحات سوبي بالنسبة للسُّبات الشّتوي من مستوى رفيع جداً، كما لم تكن فيها أية تطلعات إلى الجولات المتوسطية، أو إلى السماء الجنوبية الخَدرة أو إلى الرمال الممتدة على شواطئ خليج فيزوفي، وإنّما كل ما كانت تتوق إليه نفسه هي فترة ثلاثة أشهر في آيلاند (الجزيرة : اسم أحد السجون)،

وبذلك بدت له فترة ثلاثة أشهر هناك مع تأمين الإقامة والطعام ومن صحبة مناسبة في مأمنٍ من رياح الشمال ومن أصحاب المعاطف الزرقاء، هي الأشياء الجوهرية الوحيدة التي يرغب بها ...

كان يعتبر إقامته خلال أشهر الشتاء ولسنوات في ضيافة بلاك ويلز شبيهة تماماً بمن هم أكثر حظاً من زملائه النيويوركيين (سكان نيويورك) الذين اشتروا بطاقاتهم إلى شاطئ "بالم بيش" وإلى الريفيرا كما يفعلون كلّ شتاء. لذا فكّرسوبي باتخاذ ترتيباته المتواضعة لهجرته السنوية إلى آيلاند . وقد حان الوقت الآن.

كان عندما أمضى الليلة السابقة على مقعده بجانب النافورة المتدفقة في الساحة القديمة، قد نشر ثلاث نسخ من صحف يوم السبت تحت معطفه وبين كاحليه وفوق حِجْره، لكن كل ذلك لم يُفلح في حمايته من البرد.

لذا لاح سجن آيلاند في ذهن سوبي مريحاً واسعاً وبأنه يأتي في الوقت المناسب، ولذا كان أيضاً قد أعرض عن الإجراءات التي تتم تحت شعار العمل الخيري لمن تُعيلهم الحكومة.

برأي سوبي القانون هو دوماً أكثر كرَماً من الإحسان. هناك دوماً بالطبع جولات مستمرة تقوم بها المؤسسات البلدية والخيرية ، وكان بإمكانه أن يلجأ إليها لكي يحصل على السكن والطعام بما يتوافق مع حياة بسيطة،لكن تلك الهبات الخيرية ، بالنسبة إلى شخص مثل سوبي لديه مثل تلك النفس الأبيّة، من شأنها أن تثقل على كاهل المرء، فهي وإن لم تُسدد بالمال، فسوف تُسدد بذلك الإذلال الذي يتعرض له المرء من يدّ الإحسان.

وكما كان لسيزار (قيصر) في بروتوس، لابد أن يكون لكل سرير من يدّ الإحسان ضريبته، كما أن لكل رغيف خبز ثمنه بما يتم الاستقصاء عنه من الأمور الخاصة والشخصية للمرء. لذا فمن الأفضل أن يكون المرء ضيف القانون الذي تحكمه الأنظمة ، والذي لا يتدخل على نحو غير مقبول في الأمور الخاصة للرجل المحترم...

وبذلك كان سوبي بعد أن اتخذ قراره بالذهاب إلى آيلاند، قد بدأ على الفور بالسعي لتحقيق رغبته. هناك الكثير من الأساليب السهلة للقيام بذلك، وأكثرها بهجة بأن يتناول الغداء في مطعم فخم مرتفع التكاليف، ثم يقوم بعد ذلك بإعلان إفلاسه. وبذلك سوف يتم تسليمه بكل هدوء ودون أية ضجة إليالقيام بالباقي يتولى أحد القضاة غير المتشددين بعد ذلك القيام بالباقي...

ترك سوبي مقعده ، خرج من الساحة وتوجه وهو يمشي الهوينا إلى جانب السطح الإسفلتي المجاور للنهر حيث يمتد كل من شارع برودوي والجادة الخامسة. وكان بعد أن توجه إلى شارع برودوي قد توقف قليلاً أمام مقهىً متلألئ بالأنوار، حيث تجتمع هناك كل ليلة جميع المنتجات المختارة من أنواع الكرمة ،ومن دود القزّ، والبروتوبلازما - مادة في الخلية الأساسية للإنسان- (أسلوب ساخر يعني به الإشارة إلى نُخبة المجتمع.). كانت لدى سوبي ثقة تامة بنفسه ومن الفرع إلى القدم. فهو حليق الذقن، معطفه لائق، كما أن سترته السوداء، التي كانت قد أهدتها إليه إحدى المُبشرات يوم عيد الشكر، أنيقة.، ولو تمكن من الوصول إلى إحدى طاولات المطعم، دون أن يشكّ به أحد، فسوف يكون النجاح حَليفه.، ولن تُثير كمية الطعام التي سوف يطلبها أية شكوك في ذهن النادل. فكّر سوبي، سوف تكون الوجبة المناسبة إوزّة مشوية ومعها

زجاجة من الشراب، ثم البعض من أجبان كامبرت وفنجاناً من القهوة وسيجاراً. يكفيه سيجار بدولارٍ واحد. سوف تكون الفاتورة الإجمالية مرتفعة إلى الحدّ الذي سيستدعي لجوء الإدارة العليا للمطعم إلى إجراء انتقامي مُتشدّد، كما سيجعله اللحم يشعر بالامتلاء وبالسعادة قبل رحلته إلى مأواه الشّتوي...

ولكن، عندما وضع سوبي قدمه داخل باب المطعم ، كان نظر رئيس النادلين قد وقع على بنطاله الرثّ وعلى حذائه البالي ،

ثم قامت الأيدي القوية المُتأهبة بتغيير وجهته بأن أوصلته بصمت وبسرعة إلى جانب الطريق، وكانت بذلك قد جنبت الإوزة البرية ما كان يهددها من سوء مصير...

انعطف سوبي عن برودوي. يبدو أن طريقه إلى الجزيرة المنشودة لن يكون بتذوّق الطعام، وبأن عليه التفكير بطريقة أخرى للدخول إلى عالم النسيان.

كانت الأنوار الكهربائية والبضائع المعروضة ببراعة خلف الألواح الزجاجية لأحد المخازن الكبرى في إحدى زوايا الجادة السادسة تجعل واجهات العرض في غاية الروعة . أخذ سوبي حصاةً ورماها على الزجاج . ركض الجميع من زاوية الشارع، على رأسهم شرطي. وقف سوبي ساكناً، يداه في جيوبه، وابتسم لدى رؤية الأزرار النحاسية.

سأل الشرطي بغضب " أين الرجل الذي فعل ذلك؟"

قال سوبي بلهجة وديّة لا تخلو من التهكّم أشبه بشخص يُرحب بحسن الطالع:

" ألا تعتقد بأنه قد يكون لي أية علاقة بالأمر؟"

لكن ذهن الشرطي رفض حتى تقبّل مجرد فكرة أن يكون سوبي قد فعل ذلك... فالرجال الذين يُحطمون الزجاج لا يقفون للأخذ والردّ مع مُمثّلي القانون، وإنما يهربون على أعقابهم...

ثم كان الشرطي قد شاهد رجلاً يركض على مسافة قريبة من الساحة للحاق بإحدى السيارات، وبذلك سحب هراوته وانضم إلى ملاحقة تلك السيارة...

عاد سوبي إلى التسكع يملأ قلبه الاشمئزاز، كان قد أخفق مرتين!...

ثم كان هناك في الجانب المواجه للشارع، مطعم ليس من شأنه أن يُحقق كثيراً طموحات سوبي.

فهو يقدّم الكثير من المقبلات ، أسعاره معتدلة.، وأوانيه الفخارية سميكة، والجو فيه كثيف بالدخان، كما أن حساءه وملاءاته من النوع الرديء. وبذلك كان بإمكان سوبي أن يدخل إلى ذلك المكان ببنطاله الرثُ وحذائه البالي دون اعتراض. جلس على إحدى الطاولات والتهم وجبة الإفطار: شريحة من لحم البقر، فطائر بالجبن، كعكات بالعجين المُحلّى، وفطيرة حلوى. ثم أفشى للنادل حقيقة عدم وجود أية قطعة نقدية لديه وقال له :

" اذهب الآن واستدع أحد عناصر الشرطة، لاتدع هذا الرجل المحترم ينتظر."

لكن النادل قال له بصوت لطيف أشبه بكعكات الزبدة وبنظرة أشبه بثمرة فريز في كوكتيل مانهاتن (تعبير مجازي):

" اذهب! فلن أستدعي الشرطي لأجلك."

ثم قام اثنان من الخدم بإمساكه من أذنه اليسرى وبرميه على الأرض إلى جانب الرصيف الصلب. نهض سوبي وهو يشدّ مفاصله مفصلاً بمفصل وهو ينفض الغبار عن ملابسه. يبدو أن توقيفه ليس سوى حلم ورديّ ، ويبدو أن تلك الجزيرة بعيدة جداً عن آماله ... كان الشرطي الذي يقف أمام صيدلية على بعد بابين منه فقط قد ضحك أيضاً وأخذ يتجول في الشارع دون اكتراث...

كان سوبي قد قطع خمسة أزقّة قبل أن يستجمع شجاعته لكي يبدأ بالسعي من جديد لتوقيف نفسه. كانت الفرصة هذه المرّة ما أطلق عليه ببلاهة " بالأمر المضمون ". كانت هناك سيدة ذات مظهر متواضع مُرضي، واقفة أمام نافذة عرض أحد المخازن تُحدّق باهتمام شديد بمعروضاتها من أقداح للحلاقة ومحابر الخ... كما كان هناك شرطي ضخم الجثة ذو مظهر صارم على بعد بضعة أمتار من النافذة.

كانت خطّة سوبي هذه المرّة أن ينتحل دور النذل المَقيت "زير النساء"، كان المظهر الراقي والأنيق للضحية، بالإضافة إلى وجود ذلك الشرطي الحيّ الضمير في الجوار، قد شجعه على الاعتقاد بأنه سوف يشعر عما قريب بلمسة القيود على يديه، وبأنه سوف يحصل على مأواه الشّتوي في تلك الجزيرة المناسبة، تلك الجزيرة الصغيرة الرائعة...

سوّى سوبي ربطة العنق التي كانت وهبتها له إحدى المُبشّرات، وسحب ثنيات ساق بنطاله المنكمش إلى الأعلى، كما عدّل وضع قبعته بحيث يظهر بمظهر زير النساء، ثم توجه نحو السيدة الشابة وغمزها بعينه ، لكن السعال أصابه فجأة وبذلك تنحنح وابتسم ابتسامة مُتكلفة وبدأ يُردّد بوقاحة سلسلة من الكلام الحقير والصفيق لزير نساء. وكان سوبي قد شاهد بطرف عينه أن الشرطي يرقبه بنظرة ثابتة. تراجعت السيدة الشابة بضع خطوات إلى الخلف، ثم عادت إلى تركيز اهتمامها على أقداح الحلاقة ، لكن سوبي لحق بها بجرأة ووقف إلى جانبها ورفع قبعته وقال:

"إ...يه أيتها الجميلة ! ألا ترغبين بمرافقتي؟"

كان الشرطي لا يزال يرقبه. وكان بإمكان المرأة الشابة، التي تتعرض للمضايقة، أن تُشير فقط بإصبعها لكي يصبح سوبي عملياً في طريقه إلى جنّته المُنعزلة. كان قد بدأ يتخيّل كيف سيشعر بحرارة مبنى المحطة،

لكن المرأة الشابة استدارت إليه فجأة ثم مدّت يدها وأمسكت بكم معطفه وقالت ببهجة:

"بالتأكيد مايك، كنت سأكلمك قبل ذلك حتى لو كنت ستسكب علي دلواً من رغوة الصابون (تعبير مجازي)، لكن ذلك الشرطي كان يرقبنا."

مشى سوبي مع المرأة الشابة التي كانت تلعب لعبة اللبلاب المُعلّق على شجرة بلّوط ، وقد غلبت عليه الكآبة . يبدو أنه حُكِم عليه بالحرية الأبدية!.. وكان بعد أن تجاوز الشرطي كان في الزاوية التالية من الشارع قد تخلّص من مرافقته وركض بعيداً عنها...

وكان بعد ذلك قد توقف قليلاً في المنطقة التي يجد فيها المرء أثناء الليل الشوارع المضيئة، والقلوب، والعهود والحريات، تلك المناطق التي تتجوّل فيها النساء بمعاطفهن الفراء بكل بهجة في ذلك الهواء الشتوي البارد، والتي يتجوّل فيها الرجال إلى جانبهن بمعاطفهم الصوفية الأنيقة. استولى الخوف فجأة على سوبي من أن يجعله ذلك الشعور المفزع بالجذل ، الذي يسود المنطقة ، مُحصّناً من التوقيف وأصابته تلك الفكرة ببعض الهلع، لكنه كان عندما صادف شرطياً يتسكع بجلال أمام ذلك المسرح الذي يفوق الوصف، كان قد تمسك على الفور بالقشة الأخيرة وهي "السلوك المنافي للنظام والأخلاق."

وقف سوبي إلى جانب الرصيف وبدأ يصرخ بأعلى صوته ويتلفظ بذلك الكلام المبهم الذي يتحدث به الثملون . رقصَ وصرخَ واهتاجَ، وبذلك كان بطريقة وأخرى قد تسبب بإزعاج كامل القبّة السماوية الزرقاء... إلا أن الشرطي أدار ظهره إلى سوبي ، ثم أدلى لأحد المواطنين بهذه الملاحظة:

"هذا هو أحدهم . هذا ضاجّ بالطبع ، لكن لا ضَير في ذلك. فلدينا تعليمات بأن ندعهم وشأنهم..."

وبذلك توقف سوبي عن تلك الخطة غير المُجدية.، وكان بذلك قد فقد الرجاء.

ألن يضع أحد عناصر الشرطة يده عليه على الإطلاق؟ وكان سجن آيلاند قد بدأ يبدو في مخيلته أشبه بالنعيم البعيد المنال...

أغلق أزرار معطفه لكي يتقي برودة الريح واستمر في السير. ثم شاهد رجلاً بثياب أنيقة إلى جانب أحد متاجر بيع لفافات السيجار. كان الرجل يُشعل سيجاره من أحد المصابيح الكهربائية.، وكان قد ترك مظلته الحريرية أمام مدخل المتجر .

خطا سوبي بسرعة إلى المدخل ، تناول المظلة ثم مشى بها الهوينا إلى الخارج. لحق به الرجل على الفور وقال بتجهم:

"هذه مظلّتي."

قال سوبي بتهكم مُضيفاً شتيمة إلى لصوصيته :

"أووه، أهي مظلتك؟ حسناً، لم لا تستدع الشرطي؟ أخذتها. نعم أخذت مظلتك!... لم لا تستدع الشرطي؟ ها هو يقف هناك في تلك الزاوية ."

تباطأ مالك المِظلة في خطواته، وفعل سوبي الشيء ذاته، كان لديه شعور مُسبق بأن الحظ لن يحالفه من جديد، لكن الشرطي كان ينظر إلى الرجلين بفضول.

ثم قال صاحب المظلة لسوبي :

" أهذا هو الأمر ... لا بأس... أنت تعلم كيف تحدث من تلك الأخطاء... آمل أن تعذرني إن كانت هذه مظلتك... حصلت عليها اليوم في أحد المطاعم... لو كنت عرفت أنها مظلتك، لابأس... آمل أن تعذرني ..."

قال سوبي بخبث " هي لي بالطبع..."

ثم كان أن انسحب مالك المظلة السابق بينما أسرع الشرطي لمساعدة سيدة شقراء طويلة القامة ترتدي رداء أوبرا في عبور الشارع من أمام حافلة رغم أنها كانت لا تزال على بعد شارعين من المكان...

وبذلك مشى سوبي إلى الناحية الشرقية من أحد الشوارع التي تجري فيها بعض الحفريات، قذف المظلة بحنق في إحدى الحفر وهو يُغمغم ويتذمر ويشتم الرجال الذين يلبسون الخُوذ ويحملون الهراوات (رجال الشرطة).

كان يريد أن يقع تحت قبضتهم في الوقت الذي كانوا يعتبرونه فيه الملاك الذي لا يمكن أن يُخطئ..

ثم وصل سوبي أخيراً إلى إحدى جادات الجهة الشرقية من البلدة التي كانت الضجة والأضواء فيها قد خفتت وتوجه نحو ساحة ميديسون، ذلك لأن غريزة العودة إلى المنزل تبقى لدى المرء حتى عندما يكون ذلك المنزل ليس سوى مقعد في حديقة.

إلا أنه توقف فجأة في زاويةٍ كانت هادئةً على غير العادة. كانت هناك كنيسة قديمة طريفة المظهر، كنيسة جميلة ،هائمة ذات سقف مثلث الزوايا (هرمي) ، ينبعث من إحدى نوافذها الزجاجية البنفسجية اللون ضوء خافت. وصل إلى مسامع سوبي من هناك صوت موسيقى عذبة جعلته يتسمّر أمام قضبان السياج الحديدي. حدّث نفسه:

" لابد أن عازف الأرغن يتأكد الآن من إجادته لنشيد الأحد القادم."

كان القمر في العلوّ، مضيئاً وصافياً. وكانت السيارات والمارة قلّة، وكانت عصافير الدوري تُغرد في الأفاريز (الشقوق) بصوت خافت.

كان المشهد أشبه بفناء كنيسة في منطقة ريفية... جعله النشيد الذي كان يعزفه عازف الأرغن يلتصق بواجهة السّياج الحديدي. كان يتذكر ذلك اللحن جيداً، كان قد عرف ذلك اللحن في الأيام التي كانت في حياته الكثير من ألأشياء الجميلة: أمهات وورود وطموحات وأصدقاء وأفكار نقيّة...

ثم كان لامتزاج حالة التقبّل الذهنية التي كان فيها سوبي مع تأثير ذلك اللحن ما أحدث تغييراً مفاجئاً ورائعاً في نفس سوبي. كان قد شاهد أمامه بنوع من الذعر المفاجئ ، تلك الهاوية التي كان قد هبط إليها، شاهد أيام الانحطاط، تلك الرغبات التافهة، والآمال المهزومة، والكفاءات المُحطّمة والغايات الدنيئة التي كانت شكلت مجرى حياته في السابق... وكان للحظة قد استسلم بشكل أخّاذ لتلك الحالة الجديدة، وبدأ دافع فوريّ قويّ يحثّه على الكفاح ضد قَدَره البائس. سوف ينتشل نفسه من هذا المستنقع...

سوف يصنع من نفسه رجلاً من جديد... سوف يهزم الشيطان الذي كان قد تملّكه.... لا زال لديه وقت... لا زال شاباً نسبياً...

سوف يُحيي ما كان يتوق إليه من طموحات قديمة... سوف يسعى لتحقيقها دون توانٍ... لقد أحدثت نغمات الأرغن الرقيقة ثورةً لديه... سوف يذهب غداً إلى المنطقة المكتظة بالسكان من المدينة وسوف يجد لنفسه عملاً هناك... كان أحد مستوردي الفراء قد عرض عليه ذات مرّةً عمل سائق. سوف يبحث عنه وسوف يعثر عليه صباح الغد لكي يطلب منه تلك الوظيفة. سوف يكون شخصاً ما في هذا العالم... سوف ... سوف... وسوف...

لكن سوبي شعر فجأة بيدّ تَحطّ على ذراعه. التفت بسرعة ونظر خلفه إلى الوجه المُتطاول لأحد عناصر الشرطة

سأله الشرطي "ماالذي تفعله هنا؟"

قال سوبي "لا شيء."

قال الشرطي " فلترافقني إذن."

في صباح اليوم التالي كان قاضي محكمة الجنح قد حكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر في سجن الجزيرة بتهمة التسكع...

VISION

الرؤية

للكاتب رابندراناس تاغور

١

عندما كنت زوجة شابة أنجبت طفلاً ميتاً وكدت أموت أنا أيضاً، لكنني عندما بدأت أستعيد صحتي وببطء شديد كان نظري قد بدأ يضعف بالتدريج شيئاً فشيئاً .

كان زوجي في ذلك الوقت لايزال يُتابع دراسته في كلية الطب، وذلك لم يأسف تماماً لحصوله على فرصة تجربة معلوماته الطبية علي، وأصرّ على أن يُعالج عينيّ بنفسه.

ثم كان شقيقي الأكبر سناً الذي يُتابع دراسة القانون في كلية الحقوق قد جاء لزيارتنا ذات يوم، وكان قد صُدم جداً عندما شاهد وضع عينيّ وقال لزوجي:

" ماالذي تفعله بحق الله ؟ سوف تقضي على عيني كيمو ، عليك استشارة أحد الأطباء الأخصائيين على الفور."

لكن زوجي كان قد أجابه بنزق:

" ما هو العلاج الأفضل الذي قد تتلقاه كيمو من أي طبيب آخر جيد ... كما تقول... أكثر مما أقوم به أنا ؟ هذه الحالة من الحالات البسيطة جداً كما أن علاجها معروف تماماً."

وكان شقيقي دادا قد أجابه بازدراء:

" أظنك تعتقد بعدم وجود أي فارق بينك وبين أستاذك في كلية الطب."

أجابه زوجي بغضب:

" أعتقد أنك لو تزوجت ذات يوم وحصل خلاف بينك وبين زوجتك حول الأمور المالية، فلن تطلب حينذاك مشورتي حول الأمور القانونية.، فلِم تأتِ الآن لكي تُشير علي بأمور طبية تخصّ مهنتي."

وكنت قلت لنفسي وهما يتشاجران:

" أكثر من يعاني عندما تحدث الحروب بين اثنين من الملوك هو دوماً العشب " (مثل هندي). و بذلك عليّ أنا الآن أن أحتمل الآن الكيّ بالنار...

وقد بدا لي أيضاً بأنه ليس من العدل أن تتدخل عائلتي في حياتي الخاصة بعد زواجي.، وبأن سعادتي ومعاناتي هما في نهاية الأمر من شأن زوجي وليستا من شأنهم.

وكانت العلاقة بين زوجي وشقيقي قد بدأت توتر أكثر فأكثر منذ اليوم الذي حدث فيه الخلاف بينهما حول عينيّ.

ثم كنت قد دهشت عندما جاء شقيقي لزيارتي ذات يوم في غياب زوجي مصطحباً معه أحد الأطباء. طلب منه فحص عينيّ.، وكان الطبيب بعد أن أجرى فحصاً دقيقاً لعينيّ بكل عناية واهتمام، قد بدا جديّاً للغاية وقال لشقيقي بأن هناك خطورة على بصري لو استمر هذا الإهمال في إتباع العلاج المناسب ثم كتب لي وصفة وطلب من شقيقي جلبها لي على الفور.

وكنت عندما غادر الطبيب الغريب قد رجوت شقيقي ألا يتدخل في الأمر لأن زيارة هذا الطبيب التي تمت في الخفاء من شأنها أن تتسبب في خلق المشكلات بيني وبين زوجي.

لكنني بعد ذلك كنت عجبت من نفسي ، ومن أن أكون قد تجرأت على التحدث مع شقيقي الأكبر بتلك الطريقة وكنت منذ ذلك الوقت قد بدأت أخشاه لأنني أدركت بأن شقيقي كان قد استغرب تصرفي ووقاحتي تجاهه.

ظلّ شقيقي صامتاً لبعض الوقت ثم قال لي:

" حسناً كيمو ، لن أزورك مع أي طبيب بعد الآن ، لكن عليك أن تستخدمي ما وصفه لك هذا الطبيب فقط من أدوية."

بعد أن غادر شقيقي " دادا" كان الدواء قد وصلني الدواء من الصيدلاني -- زجاجات وذرور ووصفات تركيبية -- لكنني رميتها بأكملها في البئر...

كان زوجي الذي تضايق جداً من تدخل شقيقي، قد بدأ يُعالج عينيّ بأكثر من المتابعة والاهتمام. عَصبت عينيّ كما طلب مني، وارتديت النظارات الطبية واستخدمت القطرات التي وصفها لي.، وشربت زيت كبد الحوت الذي أعطاه لي رغم أنني كنت أشعر بالغثيان كلما شربته.

وكنت في كل مرّة يعود فيها زوجي من المستشفى التي يعمل فيها ويسألني بقلق عن وضع عيني ، أجيبه:

" أووه ! لابأس هي الآن أفضل بكثير."

وهكذا كنت قد أصبحت خبيرة في خداع الذات أيضاً .، لأنني عندما كنت ألحظ أن الماء الذي ينضح من عيني كان يتزايد وباستمرار، كنت أعزّي نفسي بفكرة أن من الجيّد أن أتخلص من كل ذلك السائل الضار. ثم بدأ السيلان من عينيّ يتناقص بعد فترة من الزمن وكان ذلك ما جعل زوجي يتفاخر بمهارته في علاجي. لكن معاناتي كانت أصبحت لا تُطاق.، وكان بصري قد بدأ يبهت بالتدريج، كما كنت أصاب باستمرار بصداع شديد أثناء الليل...

لاحظت حينذاك بأن قلق زوجي قد بدأ يتزايد، كما تبيّن لي من أسلوب تصرفه بأنه كان يبحث عن ذريعة لمراجعة طبيب آخر. وبذلك كنت قد نوّهت إليه بأنه قد يكون من المفيد أن نطلب مشورة أحد الأطباء الزملاء ولكن على سبيل الاستئناس فقط، وكان بإمكاني أن أتبيّن بأنه كان بذلك قد تحرّر من الكثير مما كان يُثقل عليه، وكان في ذات اليوم قد استدعى أحد الأطباء الانكليز وطلب منه فحص عينيّ. لست أدري ما دار بينهما من حديث، لكنني استطعت أن أستنتج بأن الطبيب الزميل الذي تحدث إليه بكل حدّة كان يوجّه إليه اللوم .

ظلّ زوجي صامتاً لبعض الوقت بعد مغادرة الطبيب. وكنت قد أخذت يده بين يدي وقلت:

" كم كان ذلك الطبيب جلفاً في أسلوب تحدثه إليك ! لِم لم تطلب رأي أحد الأطباء الهنود؟ ربما كان ذلك أفضل بكثير. هل تعتقد بأن ذلك الطبيب يعرف أكثر مما تعرفه أنت عن وضع عينيّ؟"

ظلّ زوجي صامتاً تماماً ثم قال بصوت مُنكسر:

" كيمو ، سوف تحتاج عيناك إلى عملية جراحية."

تظاهرت بأنني صّدمت، ولكن ليس لما قاله الطبيب، وإنما لأن زوجي كان قد أخفى عني هذه الحقيقة طوال المدة السابقة وقلت:

" لابد أنك كنت طوال الوقت على عِلم بوضع عينيّ، لكنك لم تُعلمني بحقيقة الأمر! فهل تعتقد بأنني طفلة صغيرة وبأنني قد أخاف من إجراء مثل تلك العملية ؟"

وكان لما قلته أثره الكبير في استعادة زوجي لمزاجه الجيّد وبذلك قال لي وهو يبتسم:

" القليل جداً من الأشخاص، وحتى من الرجال، ممن لديهم شجاعة التعرّض إلى مداخلة جراحية دون خوف."

وكنت قد ضحكت وقلت " نعم، هذا هو الأمر بالفعل، الرجال أبطال أمام زوجاتهم فقط."

لكنه نظر إلي بجديّة وقال:

" أنت على حق تماماً. كما أننا نحن الرجال متكبرون بشكل مخيف."

وكنت قد ضحكت لكي أخفف من جديّة الموقف وقلت:

" أأنت متأكد أن بإمكان الرجال أن يكونوا أكثر تكبراً من النساء ؟"

وعندما جاء شقيقي دادا لزيارتنا من جديد، كنت قد أخذته جانباً وقلت:

"ربما كان بإمكان الطبيب الذي أحضرته إلي أن يُفيدني جداً ، لكنني مع الأسف كنت قد أضعت الورقة التي تضمنت الوصفة التركيبة للقطرات، وبذلك بدأ وضع عينيّ يسوء بالتدريج، بحيث أصبحت الآن بحاجة إلى مداخلة جراحية."

لكن شقيقي قال لي" لابد أنك كنت تستخدمين ما يصفه لك زوجك من علاج، لذا لم أعد أرغب بزيارتك."

وأجبته " لا، الحقيقة أنني كنت استخدم العلاج الذي وصفه لي طبيبك ولكن في السرّ."

آه !... كم من الأكاذيب التي قد تضطر إليها النساء ! فالمرأة تكذب عندما تكون أماً لكي تهدئ من روع أطفالها. وهي تضطر إلى الكذب عندما تكون زوجة لأجل آباء أطفالها.. نحن لسنا أحراراً في أي وقت!...

كانت لخدعتي تلك أثرها في تخفيف ما كان بين زوجي وشقيقي من برود.، وبذلك كان شقيقي قد لام نفسه لأنه أخفى الأمر عن زوجي، وكان زوجي من ناحية أخرى قد ندم لأنه لم يكن قد عمل بنصيحة شقيقي منذ البداية.

وكنت بالاتفاق بين الاثنين زوجي وشقيقي، قد قمت بمراجعة أحد الأطباء الانكليز . كان ذلك الطبيب قد الذي أجرى على الفور عملية جراحية لعيني اليُسرى .، لكن تلك العين كانت قد أصيبت سابقاً بضعف شديد ولم تعد تحتمل الجهد وبذلك كنت قد فقدت آخر شعاع من نور البصر فيها . ثم كنت بعد ذلك قد فقدت بصري بالتدريج في العين الأخرى...

وكان زوجي قد جلس إلى جانبي ذات يوم وقال:

" كيمو ، لم يعد بإمكاني أن أواجه الأمر أمامك بهذه الصفاقة ، علي أن أعترف بأنني كنت السبب في فقدانك بصرك."

شعرت حينذاك بأن صوته كان مُتهدجاً وبأنه يبكي، وبذلك أخذت يده بين يدي وقلت:

" لَم تقول هذا ! بل كنت على حقّ تماماً . كما أنك كنت قد تعاملت مع الموضوع كما لو أن العين كانت عينك. تصوّر فقط لو أن أحد الأطباء الغرباء كان من تسبب بفقدي البصر. فما الذي كان قد يُعزّيني حينذاك ؟ بينما أنا أشعر الآن بأن كل شيء كان قد تم بأفضل ما يمكن.، وما يُعزيني أكثر من أي شيء آخر هو أن أكون قد فقدت بصري على يديك...

لابد أنك تذكر قصّة ذلك الناسك الهندي" راشماندرا " فهو عندما وجد بأن زهرة لوتس واحدة قد تكون قليلة جداً لتقديمها قرباناً لله ، كان قد قدم عينيه الاثنتين قرباناً ...

وأنا الآن أقدم إليك عينيّ... كل ما عليك الآن هو أن تصف لي كل ما تراه حولي من بهجة ومن متعة وسوف أشعر بكلماتك بأن الله (عزّ وجلّ) قد ترك لي هدية قِدسية بوجودك مُبصراً إلى جانبي..."

لست أقصد بالطبع بأنني كنت قلت كل تلك الأشياء لزوجي في ذات اللحظة لأن المستحيل أن يفكر المرء بكل تلك العبارات دفعة واحدة. وإنما كنت أفكّر لأيام وأيام بما سأقوله لزوجي من مثل تلك العبارات المُطمئنة لكي أجعله يشعر بالراحة...

وكنت كلما شعرت بالحزن والإحباط، وبأن إيماني قد بدأ يضعف، وبأن الأسى يعتصر قلبي لسوء طالعي، أقرر تكرار تلك العبارات لنفسي الواحدة تلو الأخرى، كما قد يُعيد الطفل قصة رويت له. وكنت أشعر بذلك من جديد بسكينة السلام والحب... وكنت في كل مرّة نتحدث بها معاً أنا وزوجي أقول له ما يكفي من العبارات التي من شأنها أن تُظهر له مقدار ما في قلبي من محبة...

إلى أن قال لي زوجي ذات مرّة:

"كيمو، لم يعد بالإمكان إصلاح ما تسببت به لك بحماقتي من الأذى، وكل ما بإمكاني الآن هو أن أفعل شيئاً واحداً، وهو أن أبقى إلى جانبك لكي أحاول تعويضك عن نظرك الذي فقدته بسببي وبكل ما لدي من إمكانية ومن طاقة."

لكنني قلت له " لا، هذا غير ممكن. لن أطلب منك أن تحوّل منزلك إلى مستشفى لفاقدي البصر، والأمر الوحيد الذي يجب أن يتم الآن هو أن تتزوج من جديد..."

كان صوتي قد اختنق بالبكاء وأنا أحاول أن أشرح له ضرورة ذلك، وبذلك تظاهرت بالسعال لكي أخفي انفعالي لكن زوجي اندفع بالقول:

" كيمو، أعلم بأنني كنت أحمقاً ، ومُتبجّحاً، لكنني لن أكون وغداً بأن أتزوج من جديد ! أقسم لك بأكثر الأقسام قِدسية ، بأنني لو تزوجت فليوقع الله علي عقاب من ارتكب أكثر الخطايا شناعة، وهو عقاب إثم من يقتل الأقرباء!..."

ولكن آه!...كان علي ألا أدعه أبداً يُقسم مثل ذلك القَسم الرهيب!...

كانت دموعي حينذاك قد خنقت صوتي.، ولم أتمكن من التفوّه بأية كلمة أخرى لشدّة سروري بذلك القسم . ثم دفنت وجهي في وسائدي وبدأت أبكي وأبكي من جديد. ، وكنت بعد أن تمالكت نفسي قد وضعت رأسي على صدر زوجي وقلت:

" لِم أخذت على نفسك مثل هذا تتزوج منل اعتقدت بأنني طلبت منك أن تتزوج من جديد لكي تحصل على متعة قذرة ؟ لا، بل كنت أفكر في نفسي لأن زوجتك الثانية سوف تقوم بأداء ما كنت أؤديه لك من خدمات قبل فقداني بصري."

قال زوجي بتوتر " خدمات ! خدمات ! بإمكان الخدم القيام بذلك. يا إلهي !هل تعتقدين بأن لدي من الخبل ما قد يجعلني أجلب عبدة إلى منزلي وأن أطلب منها أن تتقاسم العرش معك؟"

وكان لدى تفوّهه بتلك الكلمات قد أخذ وجهي بين يديه وقبلني بين حاجبيّ.، وكنت قد شعرت في تلك اللحظة بأنني بتلك القبلة، قد مُنحت قدسية الحكمة وبأنني كنت قد حصلت دون ريب على ما يؤكد إخلاصه لي وقلت لنفسي:

" هذا جيّد. إن لم يعد بإمكاني أن أقدم له أقل الخدمات المنزلية ، فسوف أنتقل إلى مجال أرفع. سوف أطلب له بركة الله (عزّ وجلّ).، وبأنه لاحاجة بعد الآن للمزيد من الأكاذيب ! ولا للمزيد من الخداع ! وبأنني سوف أقلع وللأبد عن كل ما كان في حياتي سابقاً من نفاق ووضاعة!.."

لكنني كنت قد شعرت طوال ذلك اليوم بما يُشبه الصراع الداخلي. الفرحة الغامرة بأن لا يكون بإمكان زوجي بذلك القَسم أن يتزوج من جديد .، وهذا ما دعّم جذوره في داخلي لكنني من جهة أخرى قلت لنفسي:

" قد يأتِ الوقت الذي سوف يكون من الجيّد أن ينكث زوجك بقسمه وبذلك سوف يتزوج من جديد."

لكن قلب المرأة في داخلي عاد وحدثني من جديد :

" قد يحدث ذلك ، لكنه على كافة الأحوال قد أقسم لك، وليس بإمكان المرء أن ينكث بالقَسم ."

لكنني من جهة أخرى قلت لنفسي أيضاً:

" ليس هناك من داعٍ لابتهاجك لذلك"

ثم عاد قلب المرأة في داخلي يُحدثني من جديد:

" لاشك أن هناك الكثير من الصحّة بما تفكرين به، لكنه على كافة الأحوال قد أقسم لك على ذلك."

واستمر ذلك الصراع الداخلي يُلهب حواسي من جديد مرّة بعد مرّة إلى أن تملكّني ظلام الخوف المقيت. لم يكن زوجي قد سمح للخدم بتقديم ما كنت أقدم إليه من خدمات، وإنما كان يقوم بذلك بنفسه. وكان في ذلك ما جعلني في البداية أشعر بالسرور بأن يكون قد اعتمد على نفسه حتى بأقل الأشياء.، واعتقدت بأن في ذلك ما يُشير إلى أنه يقصد بذلك رغبته في استبقائي إلى جانبه...

كانت رغبتي ببقائه إلى جانبي قد ازدادت منذ إصابتي بالعمى.، بحيث أصبحت أتوق بكل حواسي إلى وجوده إلى جانبي وإلى مشاركته لي في الأمور التي فقدتها بفقداني بصري. أصبحت أشعر أثناء غيابه عني بأنني معلقّة في الهواء وبأنني فقدت كل ما كان حولي من الأشياء الملموسة.

كنت في السابق، عندما يتأخر زوجي في العودة من المستشفى، أفتح نافذتي وأنتظره وأنا أحدقّ في الطريق. كانت تلك الطريق في السابق هي الحلقة التي تربط بين عالمه وعالمي. لكنني بعد فقداني بصري أصبحت وكأنني أبحث عنه عبر تلك النافذة بكل كياني. كانت الرابطة التي وحّدتنا قد أفسحت المجال في السابق لذلك، لكن هناك الآن تلك الهوة التي لم يعد بالإمكان تخطّيها...

كان العالم بكامله ينغلق علي عندما يتركني زوجي ، ولكن كل ما كان بإمكاني أن أفعله هو أن أنتظر أن يعود إلي من عالمه.

لكن ذلك التلهف الشديد إليه وذلك الاعتماد الكلي عليه لم يكن جيّداً، لأن الزوجة تعتبر دوماً وفي كافة الأحوال بمثابة العبء على الرجل، وماذا لو أضيف إلى ذلك عبء العمى الذي لابد من أن يجعل حياته لا تطاق... وكنت بذلك قد أخذت على نفسي عهداً بأن أعاني بمفردي ، وبألا أطوّق زوجي مُطلقاً بكل ما يُحيط بي من ظلمة.

واستطعت خلال وقت قصير وبشكل لا يُصدّق ، أن أدرّب نفسي على جميع الأعمال المنزلية بواسطة حاستي السمع والشمّ، ووجدت بسرعة بأن بإمكاني أن أقوم بذلك حتى بأكثر مما كان لدي من المهارة قبل فقداني بصري ، فقد يؤدي النظر أحياناً إلى صرف الانتباه عن الأشياء أكثر من التركيز عليها، فعندما عجزت حركة عيناي عن القيام بعملها كانت جميع حواسي الأخرى قد أخذت دورها في القيام بالعديد من الوظائف وبكل هدوء وإتقان .

كما كنت مع استمرار المِران قد اكتسبت الخبرة في أداء الأعمال المنزلية بحيث لم أعد أدع زوجي يقوم بها بالنيابة عني . كان زوجي قد تذمر كثيراً في البداية من أنني بذلك كنت قد حرمته من التكفير عن ذنبه،

لكنه، على الرغم من كل ما كان يقوله لم يتمكن من إقناعي. كما كان بإمكاني من جهة أخرى أن أدرك بأنه شعر بالراحة عندما تخلّص من عبء تلك الواجبات المنزلية.، فليس القيام بخدمة امرأة عمياء مما يتناسب مع حياة أي رجل...

٢

ثم كنا عندما أنهى زوجي أخيراً دراسته في كلية الطب، قد غادرنا كالكوتا لكي يلتحق بعمله كطبيب متدرب في إحدى القرى الصغيرة.، وكنت، بما أنا فيه من عاهة فقدان البصر، قد بدأت أشعر في تلك المنطقة الريفية الهادئة، بالكثير من البهجة وبأنني عدت من جديد إلى ذراعيّ والدتي...

كنت قد غادرت القرية التي ولدت فيها مذ كنت في الثامنة من عمري.، وبذلك كانت ذكرى القرية التي نشأت فيها قد بدأت تبهت بعد مرور عشر سنوات على وجودي في تلك المدينة الكبيرة. كانت كالكوتا، بحياتها الصاخبة ،قد حجبت عني طوال المدة التي كنت أنعم بها بالبصر، كل ما لدي من ذكريات عن سِني حياتي الأولى .، إلا أنني عندما فقدت بصري كنت قد شعرت للمرة الأولى بأن كالكوتا كانت قد تسببت بإيذاء عينيّ .، وبأنها ،بكل ما فيها من مباهج، لايمكن أن تُشبع نفس المرء.، وبدأت ذكريات طفولتي تتوارد إلى ذهني من جديد أشبه بالنجوم التي تظهر في السماء في نهاية النهار.

كنا قد غادرنا كالكوتا إلى هارسينغبور في بداية شهر تشرين الثاني (نوفمبر). كان المكان بالطبع جديداً بالنسبة إلي، لكن روائح تربة الريف وأصواتها كانت بعد ذلك قد طوقتني إلى حدّ كبير. كانت نسمات الصباح تُثير من الأرض الحديثة الفلاحة رائحة أزهار الخردل اللطيفة، وكان صوت ناي الراعي وصرير العجلات وهي تطأ الطريق غير المستوية للقرية قد ملأ عالمي بالبهجة.

كانت جميع ذكريات حياتي الماضية قد أصبحت حقيقة واقعة بالنسبة إلي، بكل ما كان فيها من ضجيج وبكل ما فيها من عبير يفوق الوصف... وبذلك عدت أعيش طفولتي من جديد لا ينقصني منها سوى شيء واحد هو وجود والدتي إلى جانبي .

كان بإمكاني أن أرى بمخيلتي منزل العائلة بتلك الأشجار الضخمة التي تنتشر على طول البحيرة، وأن أتصوّر بعيني مخيلتي جدتي جالسةً على الأرض تُدفئ ظهرها في الشمس وتُعدّ كرات العدس التي ستجففها لكي تستخدمها في إعداد الطعام، لكن لم يكن بإمكاني أن أتذكر تماماً الأغنيات التي كانت تُدندنها بصوتها الضعيف المُتهّدج. وكنت كلما سمعت خوار الماشية في المساء، أكاد أرى وجه والدتي أمامي تتجول حول المكان كعادتها وبيدها مصباحاً.

كانت رائحة العلف الرطب والرائحة اللاذعة للدخان المنبعث من نيران القش تخترق قلبي، كما كنت أسمع من بعيد صدى رنين جرس المعبد الذي كان يصل إلى مسامعي مع هبوب النسمات من طرف النهر. وكنت بذلك قد شعرت بأن كالكوتا بكل صخبها وبكل ما فيها من قيل وقال من شأنها أن تُفسد النفوس ، وبأن جميع واجبات الحياة هناك لابدّ أن تخسر براءتها ونقاءها...

أذكر بأن إحدى صديقاتي كانت قد جاءت إلي ذات يوم وقالت :

" كيمو، لم لا تشعرين بالاستياء نحو زوجك ؟ لو كنت قد عوملت مثلك من زوجي لما نظرت إلى وجهه ثانية."

كانت صديقتي تلك قد حاولت أن تجعلني أنقم على زوجي لأنه انتظر طويلاً إلى أن عرضني على طبيب مختص. وقلت لها حينذاك:

" كان في فقداني لبصري بحدّ ذاته ما يكفي من شؤم ، فلِم علي أن أجعل الأمر أكثر سوءاً بأن أترك لقلبي العنان كي يمتلأ بالحقد والنقمة على زوجي ؟

وكانت صديقتي عندما سمعتني أتلفظ بتلك العبارات غير العصرية أشبه بطفلة ساذجة ، قد هزّت رأسها بكل دهشة ثم أعرضت عني بكل ازدراء...

ولكن... ومهما كانت عليه إجابتي في ذلك الوقت، فإن مثل تلك العبارات لابد أن تترك أثرها الذي لابد أن يُسمم نفس المرء، والذي لن يكون من السهل إزالة ما تتركه من غلّ في النفس.

وهكذا ترون بأن كالكوتا بما فيها من قيل وقال قد تجعل القسوة تتغلغل إلى قلب المرء.

لذا كنت، عندما استقرينا في تلك المنطقة الريفية، قد وجدت بأن كل آمالي ومبادئي السابقة قد عادت من جديد إلى ما كانت عليه من نقاء وصفاء، وبأن الله (عزّ وجلّ) ملأ قلبي بالسكينة كما ملأ عالمي بالهدوء والأمان ،. وركعت وقلت:

" يا إلهي!... لاشكّ أنك بعد أن أفقدتني بصري، قد شملتني برحمتك بأن تركت لي قلبي المُفعم بالإيمان، وأنا أعلم بأنك معي على الدوام..."

آه!... لكن الحقيقة أنني كنت أخدع نفسي بعض الشيء. فنحن نقول دوماً مثل هذه الأشياء، حتى عندما نخسر كل شيء، لأننا بالإيمان وبالإيمان وحده، نستطيع الاستمرار في تحمّل أعباء الحياة.

٣

وكنا أنا وزوجي معاً قد أمضينا بضعة أشهر بكل سعادة. كان زوجي قد اكتسب بعض الشهرة في مهنته كطبيب وبذلك بدأت مواردنا المالية تزداد.

لكن هناك دوماً ما هو سيء وضار في كثرة المال...

ليس بإمكاني الآن التركيز على نقطة معينة تخصّ هذا الأمر، ولكن، ونظراً لأن من يفقدون بصرهم لابدّ أن تصبح حاسة الإدراك لديهم أكثر حدّة من غيرهم .، فقد كان بإمكاني أن أتبيّن مدى التغيير الذي طرأ على زوجي بالتزامن مع ازدياد ثروته.

كان زوجي عندما كان أصغر سناً كان يتمتع بقدر أكبر من الإحساس ومن التعاطف مع الآخرين.، وكان عندما حصل على شهادة الطب قد أعلمني ، برغبته الشديدة في مساعدة الفقراء.، كما كان لديه الكثير من الازدراء لزملائه في المهنة ممن ليس لديهم أي شعور بالمسؤولية، بحيث كانوا يُحصّلون أجور الكشف الطبي قبل البدء بفحص المرضى...

لكنه أصبح بعد ذلك قاسياً وبشكل لا يقبل التصديق. فعلى سبيل المثال :

كانت قد جاءت إليه ذات مرّة سيدة عجوز لكي ترجوه أن ينقذ حياة ولدها الوحيد من باب الإحسان، لكنه رفض ذلك بكل فظاظة.، ثم كان عندما رجوته وألححت عليه أن يساعدها ، قد أدى ذلك الواجب الإنساني دون أية عناية ودون مبالاة ...

كما كان زوجي عندما كنا أقل غِنىً يكره التكالب على المال ويكره جميع أشكال التعامل في الأمور المالية.، وكان بذلك جديراً بالاحترام بما لا يقبل الشك. لكنه بعد أن ارتفع رقم حسابه الضخم في المصرف ،بدأ يُمضي ساعات طوال على انفراد مع أحد أولائك الأنذال تجار الأراضي ولغايات كانت تُنبئ بوضوح بما هو سيء وبما هو غير قانوني .

إلى أية هوة كان ينحدر؟... وما الذي حلّ بذلك الزوج الذي أحببته؟... الزوج الذي عرفته قبل أن أفقد بصري... الزوج الذي قبّلني ذات يوم بين حاجبي، والذي كان قد أخذ عهداً على نفسه أمام الله (عزّ وجلّ) وأمامي ؟ ...

قد يكون بإمكان من تدفعهم ريح الغواية فجأة إلى السقوط في براثن الشرور ، أن ينهضوا من جديد بحافز جديد قوي يُوجههم نحو الخير. لكن من يَتردّون بالتدريج ويوماً بعد يوم ، يتغلغل الانحطاط في نسيج وجودهم الأخلاقي نتيجة نمو طفيلي خارجي بحيث يُدمّر وجودهم شيئاً فشيئاً، وهو ذلك التردّي الذي يؤدي ذات يوم إلى انحطاط أخلاقي لا يعرف له شفاء.

وبذلك كان التباعد الذي تسبب به فقداني البصر مجرد شيء مادي تافه بالنسبة إلى الأمور الأخرى .، ولكن، آه !.. ، فما كان يخنقني أكثر هو إدراكي بأن زوجي لم يعد معي كما كان في الساعة التي كنا قد عرفنا فيها معاً بأنني فقدت بصري، وكان ذلك هو الانفصال الفعلي بيننا !...

كنت بما لدي من مشاعر الحب نحو زوجي، ذلك الحب الذي كان لايزال بكل زخمه وعنفوانه، وبما لدي من إيمان به ذلك الإيمان الذي لم يكن قد تزعزع، قد حافظت عليه في حِمى قلبي.، لكن زوجي بتعطشه للذهب، كان قد ترك الظل الهادئ لتلك الأشياء الأبدية التي لا تفنى وغرق بسرعة في العُقم الجاف للفساد. كان الشك يراودني من حين لآخر بأن الأمور ليس بالسوء الذي كان يبدو لي.، وبأنني ربما كنت أبالغ في قلقي لأنني فاقدة البصر. قد أكون كذلك، وقد يكون علي أن أتقبّل العالم كما هو مادمت قد فقدت بصري. وعلى أية حال كانت تلك هي الزاوية التي كان زوجي ينظر منها إلى تقلبات مزاجي وإلى ما كان يعتبره من أوهامي...

وذات يوم جاء إلى منزلنا رجل عجوز مُسلم لكي يرجوه أن يرافقه لفحص حفيدته الصغيرة المريضة جداً. كان بإمكاني أن اسمع الرجل العجوز يقول :

" ولدي ! أنا رجل عجوز فقير الحال لكنني أرجوك أن تأتي معي وسوف يُكافئك الله (عزّ وجلّ) على ذلك."

لكن زوجي كان قد أجابه ببرود:

"لا أهمية لما سوف ألقاه من الله من جزاء ، لكنني أريدك أن تُعلمني بما بإمكانك أنت أن تقدمه لي..."

كنت عندما سمعت ذلك قد تساءلت :

" لِم لم أكن قد أصبت بالصمم كما أصبت بالعمى..."

كان العجوز قد تنهد بأسى وغادر المنزل. لكنني أرسلت خادمتي على التوّ لكي تستدعي ذلك العجوز إلى غرفتي، وكنت قد قابلته أمام باب الغرفة وبعد أن منحته بعض المال قلت له:

" أرجو أن تقبل مني هذا المبلغ لأجل حفيدتك الصغيرة، ولتعرضها على طبيب جيّد، ولتدعو لزوجي بالصلاح."

لم أكن قد تمكنت من تناول الطعام طوال ذلك اليوم. وعندما نهض زوجي من قيلولته بعد الظهر سألني:

"لم تبدين شاحبة بهذا الشكل؟"

وكنت على وشك أن أجيبه كما كنت أفعل دوماً في السابق:

" أووه! هذا لاشيء." لكن أيام الخداع كانت قد انتهت وبذلك تحدثت إليه بصراحة وقلت:

" كنت لأيام طويلة أتردد في إعلامك بأمر ما، لأنني كنت أجد صعوبة كبيرة في التعبير عما كنت أرغب بقوله. وقد لا يكون بإمكاني الآن أيضاً أن أشرح لك ما في ذهني.، لكنني على يقين بأنك على عِلم بما حدث. ما حدث، هو أن اتجاه حياتنا المشتركة قد تغيّر وبأننا قد تباعدنا تماماً..."

ضحك زوجي بأسلوب مُتكلّف وقال

" هذا ما يسمى بالتغيير ! وهو قانون الحياة..."

قلت له " أنا أدرك ذلك تماماً، لكن هناك بعض الأمور البديهية التي لا يجوز أن تتغيّر على مرّ الزمن."

بدا زوجي جديّاً وقال :

"هناك الكثيرات من النساء ممن لديهن العديد من الأسباب الحقيقية للشعور بالأسى.، وهناك من النساء ممن لا يُحبهن أزواجهن.، لكنك أنت التي تجعلين من نفسك بائسة وللاشيء على الإطلاق..."

وبذلك كان قد أصبح من الجليّ بالنسبة إلي أن فقداني بصري قد منحني القدرة على رؤية عالم غير قابل للتغيير وقلت: " نعم ! هذا صحيح. فأنا لست كغيري من النساء" وأدركت حينئذ بأن زوجي لن يفهمني أبداً...

٤

واستمرت حياة كل منا لبعض الوقت بذات النمطية المّملة وبذات الفتور إلى حدث بعض التغيير في رتابتها عندما جاءت إحدى خالات زوجي لزيارتنا.

كان أول ما قالته لي دون تفكير بعد أن قمنا بواجب الترحيب بها:

" من المؤسف جداً أن تكوني قد فقدت بصرك.، ولكن لِم تفرضين مأساتك على زوجك ؟ عليك أن تُزوّجيه من امرأة أخرى... "

ثم تلا ذلك فترة صمت محرجة . فلو كان زوجي قد قال حينذاك أي شيء ولو على سبيل الدعابة، أو لو أنه ضحك، لكان كل شيء قد انتهى. لكنه تلعثم وتردّد ثم قال أخيراً بتوتر وبأسلوب غبي:

" خالتي ! هل تعتقدين ذلك بالفعل ؟ ولكن في الحقيقة أنه ليس من المناسب أن تتحدثي بهذه الطريقة."

التفت خالته إلي وسألتني" هل كنت قد أخطأت كيمو؟"

وكنت قد أطلقت ضحكة كاذبة وقلت:

" أليس من الأفضل أن تطلبي رأي من هو أكثر أهلية لاتخاذ القرار حول ذلك ؟.. أنت تعلمين بأن "لص الجيوب لا يطلب عادة الإذن من الشخص الذي سوف يسرقه."

أجابت الخالة بلطف ظاهري:

" أنت على حق . عزيزي أبيناش! دعنا نتحدث عن ذلك على انفراد، ما رأيك بما قلته ؟"

وكان زوجي بعد بضعة أيام قد سألها بحضوري فيما إذا كانت تعرف أية فتاة من عائلة محترمة قد يكون بإمكانها المجيء لمساعدتي في الأمور المنزلية، رغم أنه كان يعرف جيداً بأنني لم أكن بحاجة لأية مساعدة.

ظللت صامتة. وأجابته الخالة :

" أووه ، هناك الكثيرات منهن. لدي ابنة عمي ، هي فتاة في سن الزواج ، وهي فتاة لطيفة كما ترغب.، وسوف يسرّ أهلها كثيراً أن تتزوج من رجل مثلك."

أطلق زوجي للمرّة الثانية تلك الضحكة المُتكلّفة المُترددة وقال :

" لكنني لم أقصد الإشارة على الإطلاق إلى موضوع الزواج."

قالت الخالة " لكن كيف بإمكانك أن تتوقع من فتاة من عائلة محترمة أن تأتي للعيش في بيتك دون زواج؟"

وكان عليه أن يتقبّل بأن ذلك من الأمور المنطقية وظلّ متوتراً صامتاً.

كنت بعد أن غادرا الغرفة، قد وقفت بمفردي بين الأبواب المغلقة للعمى الذي أنا فيه، وتوجهت إلى ربي بهذا الدعاء

"أرجوك ياإلهي أن تنقذ زوجي من نفسه."

ثم كانت خالة زوجي بعد بضعة أيام لدى بعد عودتي من المبعد قد أمسكت بيديّ الاثنتين بحرارة وقالت :

" كيمو ، هاهي الفتاة التي كنت قد تحدث عنها أمس . اسمها هيمانغيني. سوف يسرها التعرّف عليك"

ثم نادت " تعالي هيمو، أريدك أن تتعرفي على شقيقتك."

وكان زوجي الذي دخل إلى الغرفة بذات اللحظة قد تظاهر بالدهشة عندما شاهد تلك الفتاة الغريبة ، وكان على وشك الانصراف لكن خالته قالت :

" عزيزي أبيناش ، لم تهرب ؟ لاداع لأن تفعل ذلك؟ ها هي ابنة عمي هيمانغيني. هيمو، انحني بالتحية أمامه."

تظاهر زوجي بالاستغراب وبدأ يُمطر خالته بالأسئلة حول متى وأين وكيف جاءت تلك القادمة الجديدة. لكنني كنت قد شاهدت ببصيرتي ما كان في تصرفه من خداع ... وكنت بعد ذلك قد أخذت بيد هيمانغيني، واقتدها إلى غرفتي الخاصة.، وبعد أن تحسّست وجهها ويديها وشعرها بلطف، كنت قد تمكنت من أن أقدّر بأنها لابد أن تكون في الخامسة عشر، وبأنها فتاة جميلة جداً.

كانت الفتاة وأنا أتحسّس وجهها قد انفجرت فجأة بالضحك وقالت:

" ماالذي تفعلينه ؟ هل ترغبين بتنويمي مغناطيسياً؟"

كانت تلك الضحكة اللطيفة الرنانة التي أطلقتها الفتاة ، قد أزالت خلال دقيقة واحدة جميع السحب التي تقف بيننا.. وكنت قد عانقتها وقلت :

" كنت أحاول أن أراك عزيزتي! " وعندما تحسّست وجهها بيدي للمرّة الثانية. قالت بدهشة وهي تضحك ضحكتها الرنانة:

" تحاولين رؤيتي؟ هل تعتقدين أنني نبتة كوسا في حديقتك تريدين تلمّسها لمعرفة مدى طراوتها.؟"

وبذلك كنت قد أدركت فجأة بأنها لم تكن تعلم بأنني فاقدة البصر. وقلت لها" أنا عمياء..."

ظلّت صامته.، ولكن كان بإمكاني أن أشاهد ببصيرتي نظرة عينيها وهما تحدقان في وجهي بكل دهشة.

كما كنت أعلم مدى ما شعرت به من شفقة علي . ثم قالت بعد فترة قصيرة:

"أووه!... فهمت الآن، لابد أن هذا هو السبب الذي جعل زوجك يُوجه الدعوة لخالته للمجيء لكي تبقى معك."

ثم عادت إلى إطلاق تلك الضحكة الرنانة. وقالت :

" هذا يُشبه خالتي تماماً... لكن ألم يكن من عدم التهذيب أن تأتي لزيارتكم دون دعوة؟... لكنها أصبحت هنا الآن ولن يكون بإمكانك التخلص منها لفترة طويلة ... بإمكاني أن أؤكد لك ذلك."

ثم سألتني بدهشة بعد تردّد:

"ولكن لِم أرسلني والدَي إلى هنا ؟ هل بإمكانك أن تعلميني بذلك؟"

لكن الخالة كانت قد دخلت إلى الغرفة أثناء حديثنا .، وبذلك بادرتها هيمانغيني بالقول:

" متى تعتزمين السفر خالتي ؟"

بدت الخالة في غاية الارتباك وقالت:

" ما هذا السؤال ؟ لم أرقط مثل هذا الضجر. فنحن لم نكد نصل وأنت تسألين الآن متى سنعود!."

قالت هيمانغيني " الأمر جيد جداً بالنسبة إليك لأن هذا البيت هو بيت من هم أقرب الأقرباء إليك، ولكن ماذا عني ؟ أنا أقولها لك بكل بساطة ليس بإمكاني البقاء هنا."

ثم تناولت يدّي وقالت "ما رأيك عزيزتي؟"

وكنت قد ضممتها إلى صدري دون أن أقول شيئاً.، وكان موقف الخالة قد أصبح محرجاً للغاية بحيث شعرت بأن الوضع قد بدأ يصبح خارج سيطرتها، وبذلك اقترحت على ابنة شقيقتها أن تصطحبها للاستحمام.

لكن هيمانغيني قالت وهي تتأبط ذراعي" لا، بل سنذهب نحن الاثنتان معاً."

وأذعنت الخالة للأمر خشية اعتراض الفتاة لو أنها حاولت إثناءها عن الأمر.

ثم سألتني هيمانغيني ونحن نتوجه نحو النهر " لم ليس لديك أطفال؟

كنت قد صُعقت لذلك السؤال وأجبتها :

" كيف بإمكاني أن أفسّر لك الأمر ، لم يكتب لي الله أن أرزق بالأطفال . هذا هو السبب."

قالت هيمانغيني بسرعة " لا! ليس هذا السبب ، لابد أنك ارتكبت إثماً . انظري إلى خالتي، ليس لديها أي أطفال ولابد أن هذا لأن في قلبها بعض الشرور، لكن ما هو الشر الذي قد يكون في قلب امرأة مثلك؟.."

كانت كلماتها تلك قد جرحت مشاعري ولم يكن لدي ما أقوله. تنهدت بحرارة وقلت في صمت روحي :

" وحده الله من يعلم السبب والحقيقة."

حينئذ قالت هيمانغيني وهي تضحك من جديد:

" يا لله، لم تتنهدين بهذا الشكل ؟ لاأحد يأخذ كلامي على مَحمل الجدّ."

وكانت ضحكتها قد ترددّت عبر النهر.

٥

ثم لاحظت بعد ذلك بأن هناك انقطاع مستمر في مهام زوجي المهنية. أصبح زوجي يرفض جميع طلبات الاستشارات الطبية التي قد تأتي من مسافات بعيدة، وحتى أنه كان يتهرب من زبائنه حتى لو كانوا بالقرب منه.

كان من عادة زوجي في الفترة الأخيرة لكثرة مشاغله عدم المجيء إلى المنزل سوى في أوقات تناول الوجبات النهارية، كما كان في المساء يعود في وقت النوم فقط. لكنه أصبح مؤخراً، وبناء على ما أبدته خالته من قلق ليس هناك أي داعٍ له، يزورها في غرفتها في جميع ساعات النهار. وكنت أشعر بذلك عندما أسمع صوتها تُنادي هيمانغيني وتطلب منها أن تجلب لها كأساً من الماء. لكن الفتاة كانت قد بدأت تتعلق بي أكثر فأكثر بدافع الشفقة، وكان شعور الخوف والحزن يجعلانها تبقى صامتة.، كما كانت أحياناً تركض إلي أشبه بطريدة لا تكاد تعرف ما ينتظرها.

كان شقيقي قد جاء من كالكوتا لزيارتي بذات الوقت . ونظراً لأنني كنت أعلم جيداً ما يتمتع به من قوة ملاحظة كما أعلم بأن أحكامه صارمة.، فقد خشيت أن يضع زوجي في موقف الدفاع عن نفسه، وبأن يكون على زوجي أن يتقدم بدفاعه أمامه.، لذا كنت قد بذلت كل جهد لإخفاء الوضع الحقيقي بيننا تحت ستار من البهجة.، لكنني أخشى أن أكون قد بالغت في لعب ذلك الدور الذي لا يتناسب مع طبيعتي.

ثم بدأ زوجي يتململ.، وسألني عدة مرات عن مدة زيارة شقيقي لنا.، ثم بدأ نفاذ صبره يقترب من الوقاحة وبذلك لم يكن أمام شقيقي سوى المغادرة...

وكان شقيقي قبل مغادرته قد وضع يده على رأسي وتركها للحظة. أحسست بأن يده ترتجف كما شعرت بأن الدموع كانت تطفر من عينيه، وكان قد غادر بعد أن منحني بركته بصمت...

٦

أذكر جيداً بأن ذلك كان في إحدى ليالي شهر نيسان (إبريل) وفي يوم السوق المفتوحة. كان الناس الذين قدموا إلى السوق قد بدؤوا يغادرون البلدة .، وكان في الهواء ما يُنذر بقرب هبوب عاصفة عاتية.، كانت رائحة الأرض الندية ورطوبة الهواء توحيان بذلك.

لم أكن أحتفظ بأي مصباح عندما أكون بمفردي في الغرفة ، خشية تعرّض ملابسي للحريق أو وقوع أية حادثة . كنت قد جلست على أرض غرفتي المظلمة وبدأت أطلب عون الله الذي ابتلاني بالعمى. هتفت:

" يا إلهي الذي لايمكن أن يراه أحد! أنا فاقدة البصر. ليس بإمكاني أن أرى شيئاً ، وأنا أضغط على قلبي بشدة إلى أن بدأ قلبي الآن ينزف. وقد أصبحت الأمواج التي تتقاذفني أقوى من طاقة احتمالي. أتوسل إليك يا إلهي أن ترحمني!. فإلى متى سيستمر ابتلائي ومعاناتي؟"

ثم وضعت رأسي على حافة السرير وأجهشت بالبكاء.

كنت وأنا أفعل ذلك قد شعرت بأن هناك شيئاً يتحرك من فوق السرير وكانت هيمانغيني بعد لحظة قد وقفت إلى جانبي .،عانقتني وبدأت تجفف دموعي بصمت...

ولم أفهم لِم كانت تلك الليلة بانتظاري في الغرفة الداخلية ولِم كانت مستلقية هناك بمفردها في الغسق...

لم تُوجّه إلي أي سؤال، ولم تتفوّه بكلمة واحدة وكان كل ما فعلته أن وضعت يدها الباردة على جبيني ثم قبلتني وغادرت الغرفة.

وكانت هيمانغيني في اليوم التالي قد قالت لخالتها وبحضوري:

" خالتي، إن كنت ترغبين البقاء هنا فبإمكانك ذلك.، لكنني لا أرغب في ذلك.، سوف أغادر غداً مع خادمة العائلة."

وكانت الخالة قد أجابتها بأنه لا ضرورة لذهابها بمفردها لأنها سوف تغادر أيضاً في الغد. . ثم أحضرت عقداً من اللؤلؤ كان من علبة مخملية وقالت بتكلف :

" هيمو، انظري إلى هذا العقد اللؤلئي الجميل الذي جلبه لك أبيناش"

انتزعت هيمانغيني العقد من يدها . وأجابت بسرعة:

" انظري إليّ خالتي، انظري فقط كم أنا بارعة في الرماية" ثم رمت العقد من النافذة.

أصيبت الخالة بالصدمة وبالغيظ والدهشة وانتصبت كالقنفذ ثم استدارت إليّ ، وأمسكت بيدي وكررت مرات ومرات:

" أرجوك كيمو، لا تُعلمي أبيناش بهذا التصرف الطفولي. سوف يجرح هذا الأمر مشاعره بشكل كبير."

أكدّت لها بأنه لاحاجة لأن تقلق، وبأنني لن أتفوّه بكلمة واحدة بما حدث.

كانت هيمانغيني قبل مغادرتهما قد عانقتني بحرارة وقالت:

" غاليتي، فلتذكريني على الدوام. لا تنسيني..."

مرّت أصابعي على وجهها مرات ومرات وقلت:

أختي الغالية، تذكري دوماً بأن لفاقدي البصر ذاكرة قوية."

وكان زوجي بعد عودته قد تظاهر بكثير من الراحة لمغادرتهما. وبأن زيارة خالته كانت قد أعاقته عن الاهتمام بعمله لكنه كان قد فعل ذلك بأسلوب فارغ ومبالغ فيه...

لم يكن بينني وبين زوجي حتى ذلك الوقت سوى حاجز واحد هو كوني فاقدة البصر، لكن حاجزاً جديداً كان قد أضيف إلى ذلك وهو ذلك الصمت المُتعمّد عن هيمانغيني كان زوجي يتظاهر بعدم مبالاة زائفة بها لكنني كنت أعلم بأنه كان يُفكّر بها دوماً .

٧

كان ذلك في بداية شهر أيار (مايو)، حيث دخلت خادمتي إلى غرفتي ذات صباح وسألتني:

" ما هذه التحضيرات التي تتم على شاطئ النهر ؟ أين سيذهب السيد؟"

"كنت أعلم بأن هناك أمر وشيك الوقوع، لكنني أجبتها ليست لدي أية فكرة عن ذلك."

لم تجرؤ الخادمة على توجيه المزيد من الأسئلة إلي، لكنها تنهدت وغادرت الغرفة.

ثم جاء زوجي في ساعة متأخرة من الليل وقال لي :

" عليّ أن أزور أحد المرضى في الريف، يجب أن أغادر في وقت مبكر من صباح الغد، وقد يكون عليّ البقاء هناك ليومين أو لثلاثة أيام. "

كنت حينئذ قد نهضت فجأة من سريري، وقفت أمامه وصرخت بصوت مرتفع " لِم تكذب علي؟"

قال زوجي وهو يتلعثم :

" ماذا ؟... ما الذي كذبت به عليك ؟

قلت " سوف تتزوج؟"

ظلّ صامتاً لبعض الوقت. وكنت قد اخترقت الصمت من جديد وصرخت :

" أجبني، قُل الحقيقة، قُل نعم سوف أتزوج..."

أجابني بصوت أشبه بصدى ضعيف " نعم"

صرخت بعلو صوتي " لا، لن أسمح لك بذلك أبداً . سوف أنقذك من هذه الكارثة الرهيبة ، سوف أنقذك من هذا الإثم الكبير. لأنك بذلك سوف تنكث بقسَمك .، ولو فشلت في ذلك فلِم أنا زوجتك ولم أنا أعبد وأخشى الله؟"

ظل الهدوء سائداً في الغرفة أشبه بسكون في قبر. وكنت بعد ذلك قد ركعت على الأرض وأمسكت بركبتي زوجي وسألته:

" ما الذي فعلته ؟ وما هو الشيء الذي قصّرت فيه تجاهك؟ أعلمني بصدق لِم ترغب بزوجة أخرى؟"

قال زوجي ببطء " سوف أعلمك بالحقيقة . أصبحت أخشاكِ لأن فقدانك البصر احتجزك في حِصن منيع لم يعد بإمكاني الدخول إليه. أنت الآن لست امرأة بالنسبة إلي . لم يعد بإمكاني الاستمرار في حياتي اليومية معك... أنا بحاجة إلى امرأة ... إلى امرأة عادية تكون لي حرية ملاطفتها وتعنيفها وتدليلها وتوبيخها و..."

قلت " آه... ! فلتفتح قلبي وتنظر فيه ! ألست تلك المرأة العادية التي ترغب بها ؟ أبيناش! أنا لا أزال الفتاة التي كنت عندما تزوجتني، أنا لاأزال تلك الفتاة بكل احتياجها إلى من تحبه وإلى من تثق به وإلى من تُفضي إليه بما في نفسها..."

ليس بإمكاني أن أتذكر تماماً كل ما قلته حينذاك لكنني أذكر بأنني قلت أيضاً :

" لو كنت زوجة حقيقية لك بالفعل، وليشهد الله على ذلك، فلن أدعك ترتكب هذا الإثم... لن أدعك تنكث بقسمك... فإما أن أصبح أرملة أو أن تموت هيمانغيني قبل أن ترتكب هذا الإثم ..."

ثم سقطت على الأرض وأغمي علي .

عندما استعدت حواسي كان الظلام لايزال منتشراً وكانت الطيور ساكنة. وكان زوجي قد غادر المنزل... أمضيت ذلك اليوم وأنا أصلي في المعبد. كانت عاصفة هوجاء قد هبت تلك الليلة، كانت الأمطار تسقط بغزارة.، وكان الرعد يقصف .، وكان البرق يهز المنزل بأكمله. لكنني لم أكن قد طلبت من الله وأنا أصلي في المعبد، أن ينقذ زوجي من العاصفة، رغم أنه قد يتعرض للغرق في النهر بسبب العاصفة.، وإنما كنت قد طلبت من الله أن ينجو زوجي، مهما حصل له ولي، من ارتكاب ذلك الإثم الكبير بأن يكون قد نكث بالقسم...

مرّ الليل وحلّ يوم آخر، وكنت قد أمضيت اليوم التالي أيضاً وأنا أصلي، وكنت عندما حلّ المساء قد سمعت ضجة وطرق شديد على الباب ،، كانوا عندما كُسر الباب قد وجدوني مُمدة على الأرض فاقدة الوعي وحملوني إلى غرفتي.

وعندما استعدت حواسي أخيراً سمعت من يهمس في أذني" أختي! أختي !"

ووجدت نفسي مُمدة على حِجر هيمانغيني. وكنت عندما حركت رأسي قد سمعت حفيف ثوبها ،، كان ذلك صوت حفيف ثوب الزفاف الحريري.

قلت لنفسي " يبدو أن دعواتي لَم تُستجب! يا إلهي ها قد سقط زوجي في هاوية الإثم !"

انحنت هيمانغيني نحوي وقالت بهمس رقيق:

" أختي الغالية، جئت لكي أطلب مباركتك لي بزواجنا."

كان جسمي بكامله قد اختلج أشبه بمن أصابته صاعقة . كنت مع ذلك قد جلست وقلت بأسى وأنا أرغم نفسي على النطق بالكلمات:

" لِم لا أطلب لك البركة ؟ فأنت لم تتسببي لي بالأذى."

حاولت أن أبتسم وقلت في نفسي:

"ليست دعواتي آخر ما في العالم ... هذه إرادة الله، وإرادة الله لابد أن تكون. فلتسقط الضربات المتتالية على رأسي ولكن ليبق إيماني وأملي بالله (عزّ وجلّ) دون مِساس..."

انحت هيمانغيني أمامي ولمست قدمي.

قلت لها " كوني سعيدة ، ليباركك الله ولتنعمي بالرفاه والبنين."

لكن هيمانغيني لم تكن قد اكتفت بذلك وقالت :

" أختي العزيزة ، هذه الأمنيات لا تكفيني. عليك أن تجعلي سعادتنا كاملة. عليك أن تقبلي زوجي أيضاً في بيتك. دعيني أصطحبه إليك."

قلت لها " لابأس، اصطحبيه إلي."

وكنت قد سمعت بعد بضع دقائق وقع أقدام أعرفها جيداً ثم سمعت صوتاً يقول " كيف حالك كيمو؟"

وثبت فجأة وصرخت " شقيقي دادا!..."

انفجرت هيمانغيني بتلك الضحكة المرحة . ثم سألتني "

"ألا زلت تعتبرينه شقيقك الأكبر؟ عليك الآن أن تعتبريه شقيقك الأصغر وأن تشدّي أذنيه لأنه تزوج أختك الأصغر.

وبذلك كنت قد أدركت بأن زوجي قد نجا من ارتكاب ذلك الإثم الكبير، وبأنه لم يكن قد سقط في هاوية الخطيئة.

كنت أعلم أن شقيقي كان قد قرر سابقاً عدم الزواج ، وبأنه أنه لم يكن لوالدتي قبل وفاتها أية رغبة سوى أن يتزوج . لكنني بما عانيته، أنا شقيقته، جعلت ذلك الأمر يتم وكان قد تزوج لأجلي...

بدأت دموع الفرح تطفر من عيني وتسيل على خدّي، حاولت ولكن لم يكن بإمكاني أن أتوقف عن البكاء. مسح شقيقي على شعري وعانقتني هيمانغيني وهي تضحك كعادتها.

بعد مغادرتهما كنت قد استلقيت في سريري وظللت مستيقظة طوال الليل وأنا أنتظر عودة زوجي بقلق بالغ. لم يكن بإمكاني أن أتصور كيف سيكون بإمكانه احتمال صدمة الخجل وخيبة الأمل.

وكان الباب قد فُتح بهدوء بعد أن كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل. جلست في سريري وأصغيت كان ذلك وقع أقدام زوجي. بدأ قلبي يضرب بشدة. اقترب زوجي من سريري وأمسك بيدي بين يديه وقال: " كان شقيقك دادا من أنقذني من الدمار . كنت في لحظة جنون قد بدأت أنحدر شيئاً فشيئا نحو هاوية الإثم... كنت قد فُتنت بحيث لم يكن بإمكاني أن أتحرر من ذلك ... يعلم الله مقدار العبء الذي كنت أحمله على ظهري يوم صعدت إلى تلك السفينة. كانت الرياح تعصف بشدّة على النهر وكانت الغيوم قد غطّت السماء. وكانت في قلبي، في زخم كل تلك المخاوف، أمنية واحدة هي أن أغرق لكي أكون قد تخلّصت من القيد الذي ربطت به حياتي... ليس بإمكاني أن أصف لك مدى ما شعرت به من بهجة وحياء عندما وصلت إلى ماثوركانج وسمعت بنبأ زواجهما . كنت قد أسرعت إلى المركب من جديد، وقد أدركت في لحظة من المواجهة مع الذات بأنه ليس بإمكاني أن ألقى السعادة مع أية امرأة سواك...

ضحكت وبكيت بذات الوقت...وكانت تلك المدينة الصغيرة بكاملها تبتهج في اليوم التالي بذلك الحدث ،. لكن لم يُشر أحد إلى تلك الليلة من الجنون عندما كان كل شيء سيضيع...

MY LORD THE BABY

سيدي الطفل

للكاتب رابنندراناس تاغور

كان ريشاران في الثانية عشر عندما التحق بخدمة سيده. وكان قد تم تكليفه برعاية الطفل الصغير لربّ المنزل لأنه ينتمي إلى ذات الطائفة الاجتماعية الهندوسية. ومع مرور الوقت كان الطفل قد ترك ذراعي ريشاران لكي يذهب إلى المدرسة، ثم إلى الجامعة، إلى أن التحق بعد ذلك بالسلك القضائي. لكن ريشاران كان مرافقه الوحيد على الدوام وإلى أن تزوج.

عندما جاءت سيدة إلى المنزل كان ريشاران قد وجد نفسه أمام سيدين بدلاً من سيد واحد.، فقد انتقل كل ما لديه سابقاً من نفوذ إلى سيدة المنزل.، لكنه كان قد عُوّض عن ذلك بسرعة بالقادم الجديد عندما رُزق أنوكول بطفل.، فقد استطاع ريشاران بسرعة وبما لديه من عطاء غير محدود، أن يتولى جميع أمور ذلك الطفل. كان يُهدهده بين يديه، وكان يتحدث معه بتلك اللغة المُضحكة التي يحبها الأطفال.، وكان يضع وجهه بجانب وجه الطفل ثم يسحبه من جديد بابتسامة عريضة وبتكشيرة لكي يُضحك الطفل . ثم بدأ الطفل بعد ذلك يحبو وأصبح بإمكانه اجتياز عَتبة باب المنزل وأصبح يُطلق ضحكة خبيثة ويختبئ كلما حاول ريشاران الإمساك به .، وكان ريشاران يستغرب مما يُبديه ذلك الطفل من حذاقة ومن محاكمة عقلانية، ويقول لسيدته بتعبير من الرهبة والاستغراب "

" سوف يصبح ابنك قاضياً ذات يوم."

ثم تلا ذلك العديد من الأمور الأخرى التي كانت تُثير دهشة ريشاران .. وعندما بدأ الطفل يمشي بخطى مُتعثرة كان الأمر بالنسبة إلى ريشاران حدثاً تاريخياً هاماً، كما كانت نشوته دون حدود عندما بدأ الطفل يُنادي والده "بابا" وينادي والدته "ماما" وينادي ريشاران "شانّا"، وكان قد خرج إلى القرية لكي يُطلع العالم بكامله على تلك الأنباء.

كما كان على ريشاران بعد فترة أن يُظهر براعته في تسلية الطفل بأساليب أخرى. كان عليه سبيل المثال أن يلعب دور الحصان، بأن يُمسك اللجام بين أسنانه، وأن يثب على قدميه، وأن يتظاهر بأنه يكافح بحِمل صغير لكي يسقط على ظهره ثم يتظاهر، على سبيل الخدعة، بأنه لم يعد يتمكن من حَمله وبأنه هُزم في النهاية، ومن المؤكد أن ذلك كان يجعل ذلك الطفل يُطلق صيحة احتجاج عالية.

وفي ذلك الوقت ، كان قد تم تحويل عمل أنوكول إلى منطقة على ضفاف نهر البادما. كان أنوكول في طريقه من كالكوتا قد اشترى لطفله عربة صغيرة ومعطفاً من الساتان الأصفر وقبعة مُطرزة بخيوط ذهبية، وسواراً وخلخالاً من الذهب، احتفظ بها في عهدته، وكان من عادته أن يُلبسها لعهدته الغالية (الطفل) كلما خرجا في نزهة وبأسلوب احتفالي متفاخر.

ثم جاء الفصل المُمطر . بدأت الأمطار تهطل بغزارة يوماً بعد يوم، وابتلع النهر الظامئ الذي كان أشبه بثعبان كبير جميع الأسقف والقرى وحقول الذرة، وغمرت مياه الفيضانات جميع الحقول وحتى الأعشاب الطويلة والنباتات البريّة المُنتشرة على طول الضفاف الرملية. ومن وقت لآخر كان يُسمع صوت لارتطام مكتوم كما لو أن ضفاف النهر كانت تنهار. كما كان بإمكان المرء أن يسمع من بعيد صوت الهدير المستمر للتيار في عرض النهر، والذي كانت قوّة اندفاعه تبدو للعيان من خلال التدافع السريع لكتلٍ من الزبد .

لكن هطول الأمطار كان قد توقف بعد ظهيرة أحد الأيام.

كان الطقس لايزال غائماً لكنه كان منعشاً ومُشرقاً، لذا لم يكن ذلك الطاغية الصغير على استعداد للبقاء في المنزل في مثل ذلك اليوم الجميل.

صعد السلطان الصغير إلى العربة، وأخذ ريشاران يسحبها بتمهل بين العرائش، إلى أن وصلا إلى حقول الأرز على ضفاف نهر البادما. لم يكن هناك أحد في بجانب النهر ولا في الحقول، كما لم تكن هناك أي سفن في النهر. ثم بدأت كانت الغيوم في الجهة الأبعد من الجانب الآخر من النهر تنحسر نحو الغرب، بينما كان الصمت الاحتفالي لغروب الشمس يتوهج بكل ما فيه من بهاء.

وفي وسط ذلك السكون، أشار الطفل فجأة بإصبعه إلى الأمام وصاح:

"شانّا! بيتي فو" (بما يعني أنه كان يرغب بشيء).

كانت بجانب المستنقع الموحل شجرة "كادامبا" كبيرة مُزهرة بكاملها، وكان الطفل السيّد ينظر إليها برغبة مُلحّة . فَهم ريشاران معنى تلك النظرة، ذلك لأنه منذ فترة قصيرة، كان قد صنع للطفل عربة صغيرة من كُرات تلك الزهور وكان الطفل يسحب تلك العربة طوال اليوم بواسطة خيط ، مما جعل ريشاران يتخلى ذلك اليوم عن لعبة الحصان، ويتحوّل من حصان إلى سائس خيول...

لكن ريشاران لم يكن يرغب ذلك المساء بأن يجثو على ركبتيه في الوحل لكي يقطف تلك الزهور، لذا أشار بسرعة إلى الجهة المُقابلة وقال للطفل "انظر! انظر! انظر إلى ذلك الطائر هناك." وبدأ يُطلق بعض الأصوات الغريبة، وهو يدفع العربة بسرعة بعيداً عن تلك الشجرة.

لكن ذلك الطفل الذي سوف يصبح قاضياً لم يكن ليتنازل بسهولة، ومن ناحية أخرى لم يكن هناك بالفعل في ذلك الوقت ما يمكن أن يجلب انتباه الطفل أكثر. لذا لم يعد بإمكان ريشاران الاستمرار بالتظاهر أمامه بوجود ذلك الطائر الخيالي.

وبما أن السيد الصغير كان قد اتخذ قراره، وبما أن ريشاران كان قد استنفذ كل ما لديه من حِجج ، لذا قال له أخيراً :

"جيّد جداً أيها الطفل المُدلّل، اجلس في العربة بهدوء، وسوف أذهب لكي أجلب لك تلك الزهور الجميلة، ولكن إياك أن تقترب من المياه."

وبعد أن قال ذلك قام بتعرية ساقيه حتى الركب، وبدأ يخوض في مستنقع الوحل باتجاه الشجرة.

لكن سيده الصغير كان على الفور من ذهاب ريشاران، قد اتجه بعربته وبسرعة فائقة إلى المنطقة المُحرّمة من المياه. وعندما شاهد الطفل ذلك النهر الذي كان يندفع بقوة بأمواجه التي كانت تندفع في جريانها السريع وتتلاطم ، تلك الأمواج المُتمردة التي تبدو وكأنها تهرب من شخص نبيل يُدعى ريشاران لكي تأخذ معها ضحكات آلاف الأطفال، كان قد شعر بالخوف وبالاضطراب أمام ما تُنذر به تلك المياه المُتدفقة من خطر. لذا نزل خِلسة من العربة، وبدأ يمشي بخطى مُتعثّرة نحو النهر . ثم تناول في طريقه قضيباً صغيراً، وانحنى نحو ضفة النهر كما لو أنه يصطاد الأسماك، أوكأن جنيّات النهر كنّ تدعونه بأصواتهن السحرية إلى مسرح لَعب الأطفال...

كان ريشاران أثناء ذلك قد قطف حزمة من أزهار تلك الشجرة، وعاد وهو يحملها في ذيل ملابسه تُكلّل وجهه الابتسامة. لكنه عندما وصل إلى عربة الطفل لم يجد فيها أحداً... بحث في جميع الجهات ولم يجد أحداً... نظر من جديد في العربة ولم يجد فيها أحداً...

وكان ريشاران في تلك اللحظة الرهيبة قد شعر بأن الدم تجمد في عروقه، وبدا له وكأن العالم بكامله يسبح في الظلام، وأطلق من أعماق قلبه المُنكسر صرخة حادة "سيدي، سيدي، سيدي الصغير."

ولكن لم يجبه أي صوت بكلمة "شانّا" ولم يكن هناك صوت ضحكة خبيثة لطفل صغير مُدلّل، ولا صوت صرخة فرحة من طفل يُرحب بعودته.، وإنما كان ذلك النهر قد استمر في تدفّقه، وفي تلاطم أمواجه، كما لو أنه لم يكن يعلم شيئاً مما جرى على الإطلاق.، وكما لو أن ليس لديه الوقت لكي يُولي عنايته لموضوع إنساني بسيط مثل موت طفل...

وعندما حلّ الليل، بدأت سيدة ريشاران تشعر بالقلق ، وبذلك أرسلت الرجال للبحث عنهما في جميع الجهات. ذهب الجميع للبحث يحملون بأيديهم المصابيح، لكنهم عندما وصلوا إلى ضفة نهر البادما لم يجدوا هناك سوى ريشاران الذي كان يركض من أسفل إلى أعلى الحقول، أشبه بريح عاصفة، وهو يصرخ بيأس "سيدي، سيدي، سيدي الصغير!"

وكان ريشاران عندما أعادوه أخيراً إلى البيت، قد انبطح على قدمي سيدته وفقد الوعي. هزّوه واستجوبوه وسألوه عدة مرات أين ترك الطفل، لكن كل ما استطاع أن يقوله هو أنه لا يعرف شيئاً مما جرى...

وعلى الرغم من أن رأي الجميع كان بأن النهر قد يكون قد ابتلع الطفل ، إلا أن بعض الشكوك كانت لاتزال كامنة في أذهانهم بأن يكون الطفل قد اختطف ، ذلك لأن البعض كانوا قد شاهدوا جماعة من الغجر تتجول خارج القرية عصر ذلك اليوم . ثم وصل الأمر إلى أن اعتقدت أم الطفل، لشدة حزنها، بأن من المُحتمل أن يكون ريشاران هو الذي سرق الطفل، لذا استدعته على انفراد وأخذت تستعطفه وتقول:

"ريشاران، أعد إلي طفلي... أرجوك أعد إلي طفلي، اطلب كل ما تريده من مال، ولكن أعد إلي طفلي!..."

لكن كل ما كان بإمكان ريشاران أن يفعله هو أن يضرب بيده على جبينه...

وكان أن أمرته سيدته بعد ذلك بمغادرة المنزل. حاول أنوكول أن يُعيد زوجته إلى صوابها، وأن يجعلها تُقلع عن شكّها غير المُنصف بريشاران وقال لها :

"لِم سيرتكب ريشاران مثل هذه الجريمة؟ ولأي سبب على وجه الأرض؟"

لكن أم الطفل أجابته :

"كان مع الطفل بعض الحلي الذهبية، ومن بإمكانه أن يعرف الحقيقة؟"

لذا كان من المستحيل على أنكول أن يُجادلها أو أن يُقنعها بغير ذلك.

وبذلك كان ريشاران قد عاد إلى قريته.

لم يكن لدى ريشاران في ذلك الوقت أي أبناء، كما لم يكن هناك أي أمل بأن يُرزق بطفل، ولكن ما حصل هو أن زوجته كانت قد أنجبت له طفلاً في نهاية العام ثم ماتت على الفور.

عندما شاهد ريشاران ذلك الطفل كان قد استولى عليه شعور غامر بالاستياء، وشعر في أعماق نفسه بالامتعاض و بالشك بأن يكون مجيء ذلك الطفل إلى العالم، اغتصاباً لمكان سيده الصغير. كما شعر بأن من الإثم أن يُسعد هو بطفل، بعد ما حصل لسيده الصغير. ولو لم تكن شقيقته الأرملة قد تولّت رعاية ذلك الطفل، لما كان ذلك الطفل سيعيش طويلاً.

لكن بعض التغيير كان قد بدأ يطرأ بالتدريج على ذهن ريشاران ، وكان قد حدث له شيء رائع عندما بدأ ذلك الطفل بدوره يحبو ويجتاز عتبة باب البيت بنظرة خبيثة كما كان يفعل سيده الصغير، وكان ريشاران يشعر بالمتعة بأن يدعه يهرب من حمايته... كان الطفل يُشبه تماماً سيده الصغير، في صوت ضحكاته وفي دموعه وفي جميع تحركاته ، مما جعل ريشاران يشعر بقلبه يخفق بشدّة بين أضلاعه، كلما سمع صوت بكاء الطفل كما يُخيّل إليه في بعض الأحيان بأن ذلك الصوت هو صوت سيده الصغير وبأنه يبكي في بقعة ما في عالم الموت لأنه أضاع مُربّيه "شانّا".

ثم بدأ فيلنا يتكلم (كان ذلك هو الاسم الذي أطلقته شقيقة ريشاران على الطفل) وتعلّم كيف يقول بلهجته الطفولية "بابا وماما".

وعندما سمع ريشاران تلك الأصوات المألوفة كانت الأحجية قد أصبحت واضحة بالنسبة إليه :

لم يكن بإمكان السيد الصغير أن يتخلى عن لفظ كلمة "شانّا" وبذلك ولد من جديد في بيته .

وكانت البراهين غير القابلة للنقاش التي تؤيد ذلك بالنسبة إلى ريشاران هي كالتالي:

١- ولد الطفل بعد فترة قليلة من وفاة سيده الصغير.

٢- لم يكن من المتوقع أن تُنجب له زوجته طفلاً وهي في متوسط العمر.

٣- ذلك الطفل الجديد يمشي بخطى مُتعثرة وينادي "ماما وبابا" ولا يوجد أي نقص في الدلائل التي تُشير إلى أنه سوف يصبح قاضياً في المستقبل.

تذكُر ريشاران فجأة ذلك الاتهام الرهيب الذي كانت سيدته قد وجهته إليه، وقال لنفسه باستغراب:

" كان قلب الأم على حق، لذا عرفت بأنني كنت من سرق طفلها."

وعندما توصل ريشاران إلى ذلك الاستنتاج، امتلأ قلبه بالندم لما ارتكبه من إهمال بحق ذلك الطفل وكان قد نذر نفسه لذلك الطفل قلباً وقالباً وأصبح خادمه المخلص. اشترى له عربة صغيرة ومعطفاً من الساتان الأصفر وقبعة مُطرزة بخيوط ذهبية.، كما قام بتذويب حُلي زوجته المُتوفاة، وصنع له منها سواراً وخلخالاً ذهبياً.، وكان يرفض أن يلعب ذلك الطفل مع أي طفل آخر في الجوار، وبذلك أصبح مرافقه الوحيد أثناء النهار والليل.

كان ذلك الطفل وإلى أن أصبح فتىً قد حصل على قدر كبير من الرعاية والدلال. كان يرتدي أفخر الملابس مما جعل أطفال القرية يسخرون منه ويُطلقون عليه اسم "سيادتك". أما كبار السن في القرية فكانوا يعتبرون أن ريشاران قد أصبح مهووساً به.

ثم حان الوقت أخيراً لذهاب الصبي إلى المدرسة. لذا باع ريشاران قطعة الأرض الصغيرة التي يمتلكها وذهب برفقته إلى كالكوتا. وكان بعد أن أرسل فيلنا هناك إلى المدرسة، قد حصل هو أيضاً بصعوبة على عمل خادم بذات البلدة.

لم يكن ريشاران يدخر جهداً بأن يُؤمّن لذلك الصبي أفضل التعليم، وأفضل الملابس وأفضل الغذاء، في الوقت الذي كان فيه يعيش على حفنة من الأرز فقط، وكان يقول في سره:

"آه ! سيدي الصغير، سيدي الصغير العزيز، كنت أحببتني إلى الدرجة التي جعلتك تعود إلى منزلي، ولن أتركك بعد الآن تعاني من إهمالي."

مرّ اثنا عشر عاماً على هذه الحال. أصبح بإمكان الطفل أن يقرأ وأن يكتب بشكل جيّد. كان لامعاً، جميل الطلعة، جيّد الصحة، كما كان يُولي اهتماماً كبيراً لمظهره. لكنه كان يميل إلى التبذير والبهرجة ويُنفق المال دون حساب. كما أنه لم يتمكن على الإطلاق من أن يعتبر ريشاران أباً حقيقياً له، ذلك لأن ريشاران، مع كل ما كان يمنحه لذلك الفتى من حنان أبوي، كان يتصرف معه وكأنه خادمه. كما كانت أكبر غلطة ارتكبها ريشاران، هو أنه لم يكن أيضاً قد صرّح أمام أحد بأن هذا الطفل هو ابنه.

كان زملاء السكن الذي كان فيه فيلنا طالباً داخلياً، يسخرون كثيراً من تصرفات ريشاران الريفية، ويجب أن أعترف، بأن فيلنا أيضاً كان يشاركهم في ذلك من خلف ظهر والده. لكن الجميع كانوا في أعماقهم، يحبون ذلك الرجل البريء الطيب القلب، وكان فيلنا أيضاً يحبه جداً، ولكن، وكما قلت سابقاً، كان يحبه بنوع من التنازل...

ثم بدأ ريشاران يتقدم في السن أكثر فأكثر، وبدأ سيده في العمل يرى أخطاءً في عمله غير المؤهل. ونظراً لأن ريشاران كان يجوع لأجل ذلك الولد، فقد جعله ذلك يفقد بالتدريج مقدرته الجسدية ، ولم يعد أهلاً لأداء عمله.

كان ينسى الأشياء لأن ذهنه أصبح بليداً وأبلهاً، وبذلك لم يعد بإمكان سيده ، الذي كان في حاجة إلى خادم يستطيع القيام بعمله على الوجه المطلوب، أن يتقبّل أعذاره. وبذات الوقت كان المال الذي جلبه ريشاران معه من ثمن الأرض قد نَفذ نظراً لأن الفتى كان يُبذر المال باستمرار وينفقه على ملابسه ويطلب منه دوماً المزيد.

وبذلك اتخذ ريشاران قراره... تخلى عن عمله كخادم، وترك بعض المال مع فيلنا وقال له:

"علي إنجاز بعض الأعمال في القرية، وسوف أعود عما قريب."

ثم ذهب على الفور إلى باراسِت حيث تقع المحكمة التي كان أنوكول قاضياً فيها.

كانت زوجة أنوكول في ذلك الوقت لاتزال مُنهارة لشدة حزنها على ولدها، فلم تكن قد رزقت بطفل آخر.

وبينما كان أنوكول ذات يوم يأخذ قسطاً من الراحة، بعد عناء يوم طويل في المحكمة، وكانت زوجته في الوقت قد ذهبت لشراء بعض الأعشاب بسعر مُفرط من أحد الدجالين كان قد قيل لها بأن بإمكانه أن يضمن لها إنجاب طفل، سمع أنوكول صوت شخص يلقي عليه التحيّة عبر ردهة الدار. وعندما خرج لكي يستطلع الأمر شاهد خادمه القديم ريشاران. رقّ قلب أنوكول وكان بعد أن وجّه إليه عدة أسئلة قد عرض عليه أن يُعيده إلى خدمته.

لكن ريشاران ابتسم ابتسامة باهتة وكانت إجابته "أود تقديم الولاء لسيدتي."

دخل أنوكول مع ريشاران إلى المنزل، لكن سيدته لم تستقبله بحرارة كما فعل سيده القديم. لكن ريشاران لم يكن قد التفت إلى ذلك، وإنما ضمّ يديه معاً وقال لها :

"سيدتي، لم يكن النهر من سرق طفلك، وإنما كنت أنا من فعل ذلك."

قال أنوكول " يا لعظمة الله! ماذا! وأين هو؟"

قال ريشاران " إنه معي، وسوف أصطحبه إليكم بعد غد."

كان ذلك اليوم يوم أحد. وبذلك لم تكن لدى أنوكول أية جلسات في المحكمة. جلس الزوجان منذ الصباح الباكر ينتظران قدوم ريشاران الذي وصل في الساعة العاشرة وبرفقته فيلنا.

عندما شاهدت زوجة أنوكول الطفل ضمته بين ذراعيها حتى دون أن توجّه أية أسئلة إلى ريشاران.، كانت وهي في غاية الاضطراب تتلمس الفتى وتقبّل شعره وجبينه، وتحدّق به بعينيها بكل لهفة .، كانت تضحك أحياناً وتبكي أحياناً.... كان الفتى جميل الطلعة وكانت ملابسه أنيقة، مما جعل قلب أنوكول أيضاً يفيض بالحنان نحوه.

ومع ذلك، كان ذهن القاضي قد جعله يسأل ريشاران "هل لديك أية إثباتات على ذلك؟"

قال ريشاران " كيف سيكون بإمكاني إثبات مثل هذا الفعل؟ وحده الله من يعلم بأنني كنت من سرق ولدكم...أحد غيره في هذا العالم يعرف الحقيقة..."

عندما شاهد أنوكول الطريقة التي كانت زوجته تضم بها ذلك الفتى إلى صدرها، وجد بأنه قد يكون من غير المُجدي أن يُطالب ريشاران بالبراهين، وبأن من الحكمة أن يُصدّقه، وعلاوة على ذلك، فكيف قد يكون لمثل ذلك الرجل العجوز مثل هذا الفتى؟ ولِم سيكون على خادمه الأمين أن يخدعه للاشيء؟ .

لذا أضاف بحزم "ريشاران، يجب ألا تبقى هنا بعد الآن ."

ضم ريشاران يديه معاً وقال متوسلاً بصوت مرتجف :

" سيدي، ولكن أين بإمكاني أن أذهب بعد الآن؟ أنا الآن رجل عجوز، من الذي سيقبل بخادم مثلي؟"

قالت السيدة حينذاك " أنوكول، دعه يبقى، أنا أسامحه كما أن الفتى سوف يسره ذلك."

ألا أن ضمير أنوكول القضائي لم يكن ليسمح له بذلك. وبذلك قال "لا، لايمكن أن تتم مسامحته على ما فعله."

ركع ريشاران على الأرض وأمسك بقدمي أنوكول وأخذ يبكي وقال:

"سيدي، دعني أبقى، لم أكن من فعل ذلك. كان الله..."

وعندما سمع أنوكول ريشاران يُلقي اللوم على الله، شعر أكثر من أي وقت مضى بتعذيب الضمير.

لكنه قال "لا، ليس بإمكاني أن أسمح لك بالبقاء هنا، لم يعد بإمكاني أن أثق بك بعد الآن، لقد خدعتني."

نهض ريشاران وقال "لم أكن من فعل ذلك."

قال أنوكول " فإذاً، من الذي فعل ذلك؟"

قال ريشاران "كان ذلك قدري."

لكن أنوكول ظلّ على عناده فلم بإمكان أي شخص مُتعلّم أن يتقبّل مثل ذلك العذر..

عندما علم فيلينا بأنه ابن ذلك القاضي الثري، وبأنه ليس ابن ريشاران، شعر في البداية بالغضب من أن يكون قد خُدع طوال حياته في حقه في بُنوته، لكنه عندما شاهد حالة اليأس التي كان فيها ريشاران قال بشهامة:

"أبي، أرجو أن تسامحه، وإن لم تسمح له بالعيش معنا، فلتُخصّص له راتباً شهرياً."

بعد أن سمع ريشاران ما قاله ابنه لم يتفوّه بأية كلمة أخرى، وإنما نظر للمرة الأخيرة إلى وجه ابنه ، ثم قدم فروض الطاعة إلى كل من سيده وسيدته وخرج لكي يضيع بين العديد من البشر في هذا العالم الكبير...

وكان أنوكول في نهاية الشهر، قد أرسل بعض المال إلى عنوان ريشاران في القرية التي يُقيم فيها، إلا أن المبلغ أعيد إليه.، فلم يعد هناك أي شخص باسم ريشاران...

BEAUTY OF FORM AND BEAUTY OF MIND

جمال الشكل وجمال الروح

للكاتب هانس كريستيان أندرسون

في سالف الأزمان، كان هناك نحّات شاب يدعى ألفرد، كان ذلك النحّات قد حصل على ميدالية ذهبية تقديراً لتميّزه في فن النحت، كما تم تخصيصه بمنحة درس خلالها الفنون في إيطاليا لمدة عشر سنوات عاد بعدها إلى موطنه الأصلي وهو لايزال شاباً .

كان ألفرد بعد عودته بفترة قد ذهب لزيارة إحدى المدن الصغيرة في جزيرة زيلاندة .

انتشر نبأ زيارة النحّات الشاب الغريب في البلدة بكاملها . كانت تلك الزيارة حَدثاً هاماً علم به كل من هم في القرية دون الحاجة إلى أن يتم الإعلان عنه بالطبل والبوق. وكان الرجل الأكثر ثراء في القرية قد أقام مأدبة عشاء حافلة تكريماً له، دعا إليها جميع من هم من عليّة القوم ومن أصحاب المنزلة الرفيعة، وكذلك بعض الأثرياء من أصحاب الأملاك... كما كان جميع من يتدربون على الحرف اليدوية، وجميع أولاد الفقراء وحتى أهالي أولاد الفقراء ، قد تجمّعوا أمام المنزل يرقبون الحفل من خلف النوافذ المضيئة ، مما جعل حارس المنطقة يعتقد بأنه بذلك أشبه بمن يُقيم حفلاً لذلك الحشد من الأشخاص الذين تجمّعوا حوله في الشارع .

كان الجو بكامله احتفالياً ، وكان المنزل غاصّاً بمن قَدموا لرؤية ذلك النحّات الشهير السيد ألفرد.

حدّثهم ألفرد عن الفنون، وعن عظمة الفنن في المدن الإيطالية، وروى لهم بعض الحكايات النادرة عما صادفه أثناء سني دراسته.، وكان الجميع يُصغون إليه بسرور لا تشوبه أية دهشة أو رهبة.

لكن لم يكن بينهم من كان قد أولاه ذلك القدر الكبير من الاحترام والاهتمام كما فعلت تلك السيدة المُتقدمة في السن أرملة أحد البحارة. كانت تبدو، كما لاحظ ألفرد، أشبه بقطعة جديدة من ورق النّشاف تمتص كل ما كان يقوله وتطلب المزيد.كانت تلكتلك السيدة قد أعطته قدره تماماً، لكنها كانت جاهلة بشكل لا يقبل التصديق...

قالت " أود كثيراً مشاهدة روما . لابد أن تكون مدينة جميلة جداً، وإلا لما كان يزورها باستمرار ذلك العدد الكبير من الغرباء. هل بإمكانك أن تُزودني بوصف عن روما. كيف تبدو المدينة عندما تدخل من بوابتها.؟"

قال النحّات " ليس بإمكاني أن أزودك بوصف دقيق جداً للمدينة، لكن بإمكاني أن أقول بأن أول ما سترينه أمامك لدى دخولك مدينة روما هو فسحة كبيرة تنتصب فيها مِسلَّة قديمة تعود إلى آلاف السنين .

هتفت السيدة التي لم تكن قد سمعت قبل ذلك بكلمة مِسلّة "عازف أرغن!"

وبذلك لم يكن بإمكان الكثيرين من الضيوف الامتناع عن الضحك، كما كان النحّات أيضاً قد وجد صعوبة في تمالك نفسه، لكن الابتسامة التي ارتسمت على شفتيه كانت قد تلاشت بسرعة. كان قد لمح إلى جانب تلك السيدة الفضولية من كانت تنظر إليه بعينين زرقاوين ساحرتين.، كانت تلك ولابدّ ابنة السيدة الفضولية ، وبذلك حدّث نفسه "من المؤكد أن من لديها مثل تلك الابنة لايمكن أن تكون ساذجة..."

كانت الأم أشبه بينبوع لا ينضب من الأسئلة، لكن الابنة لم تكن قد تفوهت بكلمة واحدة، كانت تبدو أشبه بحورية جميلة تقف إلى جانب ذلك الينبوع.

كم كانت تلك الفتاة فاتنة !... كان النحّات قد وجدها شيئاً مُلفتاً للنظر يستحق التأمل لكنه لا يصلح للتحاور.،ذلك لأنها لم تكن قد تحدثت على الإطلاق ، أو أنها بالأحرى كانت نادراً ما تحدثت.

ثم سألته السيدة الفضولية من جديد :

" هل لدى البابا (أعلى منصب ديني في الديانة المسيحية) عائلة كبيرة؟"

أجاب الشاب برويّة وحذر كما لو أن السيدة كانت قد طرحت عليه سؤالاً مختلفاً:

"لا، لا، لكن البابا ينحدر من عائلة عريقة."

أصرّت الأرملة وعاودت السؤال:

" ليس هذا ما استفسرت عنه . ما أقصده الاستفسار عما إذا كانت لديه زوجة والعديد من الأطفال؟"

أجاب النحّات " لا يُسمح لبابا بالزواج..."

وكانت الملاحظة التي أبدتها الأرملة " لا يُعجبني ذلك!"

ربما كان بإمكان تلك السيدة أن تطرح المزيد من تلك الأسئلة غير المنطقية ، لكن ما منعها من أن تقول ما ترغب بقوله أن ابنتها كانت إلى جانبها .، كانت الفتاة مُتكئة برفق على كتفها تنظر أمامها مباشرة وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة تنم تقريباً عن الحزن.

تحدّث ألفرد من جديد عن إيطاليا، وعن الألوان الرائعة، عن المناظر الجميلة.، عن الهضاب الأرجوانية، عن زرقة البحر الأبيض المتوسط ، وعن اللون اللازوردي للسماء الذي لايمكن أن تُضاهيه في صفائه وتألقه سوى الزرقة العميقة لعيون حوريات البحر.، وكان ألفرد قد تفوّه بالكلمات الأخيرة بنبرة توحي بأنه قصد بذلك الإشارة إلى شخص مُحدد بين الحضور، لكن من كان عليها أن تفهم المعنى المقصود من كلامه، كانت تبدو غير مُدركة على الإطلاق لذلك، مما زاد من افتتانه بها.

تنهد بعض الضيوف وقالوا " آه... إيطاليا الجميلة!"

وهتف آخرون " ليت بإمكاننا السفر إلى هناك!"

وردّد آخرون " لابد أن روما في غاية الجمال ! لابد أنها ساحرة بالفعل !"

ثم قالت أرملة البحار:

" قد أربح مئة ألف دولار في لعبة الحظ (اليانصيب). ولو حدث ذلك، فسوف أزورها مع ابنتي.، أما أنت سيد ألفرد فسوف يكون عليك حينئذ أن تكون مُرشدنا هناك . بإمكاننا السفر ثلاثتنا معاً مع صديقين أو ثلاثة من أفضل الأصدقاء."

ثم أومأت برأسها للحضور بطريقة وديّة جداً مما جعل كل منهم يعتقد بأنه الشخص المفضّل المقصود بالكلام ، وبأنه من سيرافقها في رحلتها إلى إيطاليا.

ثم تابعت كلامها بالقول:

"علينا أن نذهب إليها، لكننا لن نذهب إلى الأمكنة التي يوجد فيها اللصوص. سوف نبقى في مدينة روما وفي الشوارع الكبيرة التي تكون دوماً أكثر أماناً"

تنهدت الفتاة بلطف بالغ .

كم كان لتلك التنهيدة من تأثير على ألفرد !... وكم كان ما أوحت به له ! ... كان الشاب قد عزا لتلك التنهيدة خاصيّة ومعنى محدداً، وخُيل إليه بأن العينين الزرقاوين قد اتقدا بضياء خاص تكريماً له ، وبأنهما لابد أن تُخفيا الكثير من الكنوز، كنوز قلب وروح أكثر غِنىً من عظمة روما... وكان لدى مغادرته حفل تلك الليلة، قد أغرم تماماً بتلك الشابة.

كان ألفرد بعد ذلك يزور منزل أرملة الضابط البحري باستمرار وأكثر من أي منزل آخر في المدينة.، وكان من الواضح بأن تلك الزيارات لم تكن بهدف الاجتماع بالأرملة ، رغم أنهما كانا من يتحدثان معاً ، وإنما كانت زياراته لأجل الابنة التي ينادونها باسم " كايلا " لكن اسمها الحقيقي كان كارين مالينا.

كانت كايلا بالفعل في غاية الجمال رغم أن البعض كانوا يعتبرونها بالأحرى من النوع البليد ، وبأنها تنام إلى ساعة متأخرة من الصباح .، لكن الأم كانت تقول:

" هي معتادة على ذلك، الحسناوات هنّ دوماً هكذا.، فهن يشعرن بالتعب بسرعة.، صحيح أنها تنام إلى ساعة متأخرة لكن هذا ما يجعل عينيها أكثر صفاء."

"كم كان قدر ما يكمن في أعماق تلك العينين العميقتين من قوّة تأثير على الآخرين ! ... شعر الشاب بصحّة المثل الذي يقول "قد تكون مياه راكدة لكنها تجري في العُمق". وبذلك كان ألفرد قد غرق في عمق تلك العينين...

كان أثناء زياراته لهما يتحدث في كثير من الأحيان عن مغامراته، وكانت الأم فقط من تطرح عليه دوماً تلك الأسئلة التي تتسم بالسذاجة والحماس، كما حدث في لقائهما الأول. كان من المُحبب أن يستمع المرء إلى ألفرد وهو يصف الأشياء.

ثم كان ألفرد ذات يوم قد عرض عليهم بعض الصور الملونة لمدينة نابولي ، وحدّثهم عن رحلاته إلى مونت فيسيفيوس وعن ثورة البراكين فيها.، لم تكن زوجة الضابط البحري بالطبع قد سمعت بذلك من قبل وبذلك هتفت:

" يارب السماء ! فهي بذلك أشبه بجبال مُشتعلة.، ولكن أليس من الخطر أن يعيش الناس بالقرب منها؟"

وأجاب ألفرد " سبق ودُمّرت جميع المدن التي كانت تقع بالقرب من تلك البراكين وبالكامل ، على سبيل المثال كان من بين المدن التي دمرت مدن "هيركيلانيوم" و" بومبيّ"

قالت الأم " يا للسكان البؤساء ! وهل رأيت كل ذلك بنفسك؟"

لا" لم أكن قد شاهدت ثورتها كما يبدو في هذه اللوحات ، لكن بإمكاني أن أعرض عليكم إحدى اللوحات التي رسمتها بنفسي، وهي تُمثّل أحد البراكين التي كنت شاهدت ثورتها بنفسي ولكن عن بعد ثم أشار بالقلم على إحدى اللوحات التي كانت على الطاولة . كان قد استبد الحماس بالأم لدى رؤيتها اللوحات الأخرى ذات الألوان العديدة، ألقت نظرة إلى لوحة باهتة الألوان وصاحت بدهشة " ماذا، هل رأيتها تقذف نيراناً بيضاء؟"

كان ما لدى ألفرد من الاحترام لأم كايلا ما جعله يحتمل تلك الصدمة المفاجئة ، كما كان ما قلّل إلى حدّ بعيد من تأثير ما حدث، انبهاره بتلك الإشراقة التي تُحيط بكايلا ، وبذلك وجد بأن من الطبيعي ألا يكون بإمكان سيدة مُتقدمة في السن تمييز الألوان، وبالإضافة إلى ذلك لديها أثمن وأفضل الممتلكات التي هي كايلا ...

وكان من الطبيعي جداً أن ارتبط ألفرد بعد ذلك بكايلا. كانت الأم عندما تم إعلان ارتباطهما في الصحيفة اليومية لتلك المدينة الصغيرة، قد اشترت ثلاثين نسخة من تلك الصحيفة لكي يكون بإمكانها أن تقصّ الفقرة التي تشير إلى ذلك الحدث الهام وترسلها إلى جميع الأصدقاء والمعارف.، وكان الخطيبان في غاية السعادة كما كانت الأم كذلك سعيدة جداً.

وذات يوم كانت الأم قد قالت لألفرد :

" أنت الخليفة الحقيقي ل" ثوروالسدن" (أحد مشاهير الفنانين) ووجد ألفرد بأنها للمرّة الأولى تفوهت بما يُشير إلى بعض الذكاء.، أما كايلا فقد بقيت صامتة لكن عيناها أشرقتا وارتسمت على شفتيها ابتسامة هادئة.

كانت كايلا لبقة في كل تصرفاتها، وكان جمالها من النوع الذي لايمكن أن يتكرر.، وبذلك قرّر ألفرد أن ينحت لكل من كايلا ووالدتها تمثالاً نصفياً...

قالت الأم بعد أن جلست مع ابنتها أمام النحات لدى مشاهدتها الطريقة التي يصبّ بها قوالب الطين الأملس ويقوم تشكيله بأصابعه:

" هل يتوجب عليك القيام بمثل هذا العمل العادي بنفسك بدلاً من أن تترك لخادمك مهمة دمج هذه المواد معاً."

أجاب ألفرد " من الضروري جداً بالفعل أن أقوم بنفسي بصنع قالب الطين."

ثم قالت وهي تبتسم " نعم، وهذا فقط لأنك دوماً في غاية التهذيب."

ثم كان ألفرد قد أوضح لهما بعد ذلك ما يتجلى في الطبيعة من جمال الأشياء.، وأشار إلى أن الأشياء التي لاروح فيها في مقياس الخَلق، تُعتبر أدنى مرتبة من الأشياء المُفعمة بالحياة.، وبذلك فإن النبتة أرفع من المعدن، والحيوان أرفع من النبات ، أما الإنسان فهو الأرفع من كل ذلك... كما كان قد حاول جاهداً أن يُبيّن لهما كيف بإمكان جمال الروح أن يتجلّى في الشكل الخارجي ، وبأن مهمة النحّات هي التقاط جمال التعبير وإظهاره في أعماله...

وكانت كايلا قد بقيت صامتة أيضاً واكتفت بأن هزّت رأسها تعبيراً عن تأييدها لما يقوله، بينما أدلت الأم بهذا الاعتراف:

" من الصعب على المرء أن يتابعك، لكنني مع ذلك أتراكض وراء أفكارك وأحاول فهم بعض ما تقوله رغم أنه يجعل رأسي يدور ويدور."

كان ألفرد قد افتتن تماماً بجمال كايلا، وكان إعجابه بها قد غمر روحه وتملّكها. كان الجمال يشعّ من جميع تقاطيعها، يلمع في عينيها، ويكمُن حول زوايا فمها، ويبدو في كل حركة من حركات أصابعها الرشيقة.، وكان ذلك كل ما شاهده ألفرد النحّات في كايلا.، لم يعد يتحدث سوى عنها ولم يعد يفكر سوى بها.،ارتبطا معاً وأصبحا شخصاً واحداً. قد يقال بأنها لم تكن تتكلم كثيراً لكن ذلك لأنه كان من يتحدث إليها طوال الوقت ولأنهما بمثابة الشخص الواحد.

كانت الخطوبة قد تمت، ثم تلتها احتفالات يوم الزفاف بكل ما ينبغي أن يكون فيها من احتفالية مثل تلك المناسبات. كانت والدة العروس قد وضعت أيضاً التمثال النصفي الذي نحته لها ولابنتها في مكان ظاهر في آخر المائدة. تم إنشاد الأغاني، وعلت هتافات التهنئة .، كان زفافاً بهيجاً كما كان العروسان في غاية الجمال والوسامة.

وفي اليوم التالي توجه العروسان إلى كوبنهاجن تُرافقهما والدة العروس لكي تشرف على الترتيبات المنزلية هناك . كانت كايلا تبدو أشبه بدمية في بيت الدمى.، وكان كل شيء في ذلك المنزل الواسع في غاية الروعة وبذلك عاش الثلاثة معاً هناك.، وكان ألفرد كما يقول المثل، يبدو أشبه بإوزة بين البطّ. كان قد افتتن تماماً بجمال الشكل، كما قد ينظر المرء إلى علبة حِلي دون أن يستفسر عما تحتويه.، وهو الأمر الذي لابد أن يؤدي في النهاية إلى الكثير من التعاسة في الحياة الزوجية .

لكن مثل تلك العلبة قد تكون مَعيبة، وقد يزول عنها الطلاء الذهبي مما يجعل المشتري يشعر بالندم على تلك الصفقة!.. فمن المزعج جداً أن يتبين المدعو إلى حفل رسمي بأن أحد أزرار لباسه الرسمي يكاد يقع وبألا تكون لديه إمكانية الإمساك به. لكن الأسوأ من كل ذلك أيضاً أن تتحدث زوجتك ووالدة زوجتك بالسفاسف وبألا يكون بإمكانك الاعتماد على نفسك في محاولة التظاهر بالظرف وباللجوء إلى بعض الدعابة لكي تُنقذ الموقف...

كان الزوجان الشابان كثيراً ما يجلسان معاً يداً بيد.، كان ألفرد فقط من يتكلم، وكل ما كانت تفعله كايلا هو أنها قد تتفوّه من وقت لآخر بكلمة أو كلمتين فقط بذات الصوت الرتيب وبذات النبرة الجميلة...

لذا كان مجيء صوفي، وهي إحدى صديقات كايلا، لزيارتهم بمثابة النجدة الفكرية للجميع...

لم تكن صوفي جميلة .، ولكن لم يكن في شكلها أيضاً أي عيب خَلقي.، على الرغم من أن كايلا اعتادت أن تقول بأنها مَحدودبة الظهر قليلاً ، وإن لم يكن بإمكان أي عين ما عدا عين من يعرفها عن قرب أن تلحظ ذلك . وعلى الرغم من أن كانت صوفي فتاة عاقلة وواعية جداً، ومع ذلك لم يكن قد خطر ببالها على الإطلاق، أنها قد تُشكل خطراً في مثل ذلك البيت السعيد.، وكان وجودها قد خلق جواً جديداً في منزل الدمية .

ثم شعر الجميع بعد ذلك بأنهم بحاجة إلى بعض التغيير وبذلك سافر الزوجان إلى إيطاليا ترافقهما والدة كايلا.

لكن كان كل ما أبدته الأم والابنة وفي وقت واحد بعد عودتهما من إيطاليا بعد غياب دام لمدة عام هو أنهما قالتا وبوقت واحد:

" شكراً لله أن عدنا من جديد إلى موطننا."

ثم قالت الأم " في الحقيقة، ليست هناك أية متعة في السفر ، السفر متعب جداً .، أعتذر لقولي هذا ، لكنني كنت قد تعبت من إيطاليا بسرعة رغم أن أولادي كانوا بصحبتي . وبالإضافة إلى ذلك، فإن للسفر تكاليفه المرتفعة جداً، وكل تلك المخازن التي على المرء أن يشاهدها والعديد من الأشياء التي عليك أن تركض خلفها!.. فمن المطلوب أن يقوم المرء بذلك لأن من المَعيب أن يسألك الناس بعد عودتك إن كنت شاهدت كل شيء، وأن تقول لهم بأنك لم تشاهد أكثر مما يستحق أن يشاهده المرء. كما أنني كنت قد مللت من كل تلك التماثيل والنصب التذكارية..."

كما قالت كايلا " هذا عدا عن أسلوب الحياة هناك. "

وأجابت الأم " كما أن طعامهم لا يؤكل، بالفعل ليس هناك أفضل من حساء اللحم."

كانت الرحلة على ما يبدو قد أتعبت كايلا، لكنها في الحقيقة كانت من النوع المُتعب على الدوام وهذا أسوأ ما في الأمر... وبذلك كانوا قد أرسلوا باستدعاء صوفي وطلبوا منها الإقامة معهم...

كان لوجود صوفي فائدة كبيرة للجميع .، حتى أن الأم كانت قد اعترفت بأن صوفي ليست فقط ربّة بيت ممتازة، وإنما هي أيضاً فتاة ذكية مثقفة ومهذبة ، "على الرغم من أن ذلك ليس من المتوقع من شخص محدود الموارد مثلها.." كما كانت تقول. كما أن صوفي كانت فتاة طيبة ومخلصة وقد أثبتت ذلك بشكل خاص عندما مرضت كايلا وبدأت تنحدر نحو النهاية.عندما تكون تكون علبة الحِلي كل شيء في حياة المرء، يكون من المطلوب أن تكون متينة وإلا لضاع كل شيء فيها، وهكذا كان كل شيء قد ضاع بالفعل لأن كايلا توفيت بعد فترة قصيرة...

قالت الأم حينذاك " كانت ابنتي كايلا جميلة جداً. كما كانت تختلف عن كل ما يوصف به الجمال من أنه تحفة فنية رائعة، ومثل تلك التحف تكون دوماً قابلة للعطب بسرعة. على الجمال أن يكون كاملاً، وكانت كايلا كاملة الأوصاف...

بكى ألفرد وبكت الأم، وحزن الاثنان حزناً شديداً، وارتدى كل منهما ثياب الحداد. وكانت الأم قد ارتدته لمدة طويلة لأنها وجدت بأنه ناسبها تماماً.

لكن كان عليها أن تتعرض بعد ذلك للمزيد من الأسى لأن ألفرد كان قد تزوج صوفي. صوفي التي كانت، برأي الأم، تفتقر إلى كل ما يمكن أن يبحث عنه المرء في زوجة... قالت الأم حينذاك:

" وصل ألفرد في تصرفه هذا إلى أبعد مدى... فبعد أن تزوج أجمل الجميلات، ها هو الآن يتزوج أقبح القبيحات وينسى زوجته الأولى... في الحقيقة الرجال يفتقرون دوماً إلى الوفاء... لكن زوجي كان مختلفاً عنهم تماماً لذا فمن المؤسف أن يكون قد توفي قبلي.

أما ألفرد فكان قد قال:

" كنت أغرمت سابقاً بتمثال جميل، أيقظ كل ما في قلبي من مشاعر، وألهب حواسي وملأها بحب الحياة. لكنني لم أعثر على شقيقة الروح التي هي هبة الله لي من السماء، والملاك الذي بإمكانه أن يشعر بي ويتعاطف معي، والذي بإمكانه أن يرفع من شأني ، إلى أن أتيت إلي أنت يا صوفي ، ليس بروعة الجمال الخارجي ، رغم أنك حتى أجمل مما هو ضروري...

الجوهر هو الذي يبقى... جئت إلي صوفي لكي تُعلّميني بأن عمل النحّات ليس فقط في تشكيل الطين والتراب، وبأن الأشياء التي تُصنّع من المادة لابد أن تبلى مع مرور الوقت، وبأن ما على المرء أن يبحث عنه هو جوهر الروح والعقل وبأن ذلك هو الجوهر الذي لايفنى ...

مسكينة كايلا !.. لم تكن حياتنا معاً سوى لقاء عابر... كما أنها في ذلك العالم الذي سوف نعرف فيه بعضنا من جديد بتوافق العقل، لن تكون أكثر من مجرد معرفة عابرة."

لكن صوفي الحكيمة أجابته:

" لم يكن ما قلته تعبيراً عن حبك لي، كما أنه ليس ما قد يتحدث به أي شخص مؤمن.، ففي الوضع المستقبلي ،حيث قد لايوجد أي ارتباط بزواج كما ليس هناك عطاء في الزواج ، عندما سوف تتقارب الأرواح فيما بينها ، كما قلت ، بالتعاطف وبالمشاركة الوجدانية .،هناك حيث يَرقى كل شيء جميل بنفسه، وحيث يصل المرء إلى وضع أرفع في وجوده: سوف تكتسب روح كايلا هناك كمالاً سوف يتناغم مع روحك حتى أكثر مني... وحينئذ سوف تتلفظ أنت من جديد بذات التعبير الجذل الذي عبّرت به لها للمرة الأولى عن محبتك وعن إعجابك بها بأن تقول:

" جميلة ، جميلة جداً !.."

THE GRANDMOTHER

الجدّة

للكاتب هانس كريستيان أندرسون

جدتي متقدمة جداً في السن، تنتشر على وجهها التجاعيد ، أصبح شعرها بكامله أبيضاً ، لكن عينيها أشبه بالنجوم... عندما تنظر إليك جدتي يُطلّ من عينيها تعبير لطيف رقيق يجعلك تشعر بالراحة... ترتدي جدتي ثوباً من الحرير الفاخر طُرزت عليه زهور كبيرة ، يُصدر حفيفاً كلما تحركت. بإمكان جدتي أن تروي لنا أروع القصص . جدتي تعرف الكثير عن الحياة لأنها عاشت قبل والدي ووالدتي، هذا من المؤكد... لدى جدتي كتاب أناشيد دينية له مِشبك فضي وهي تقرأ فيه دوماً، وهناك بين أوراق ذلك الكتاب وردة مسطحة تماماً وذابلة ،. هي ليست بالوردة الجميلة مثل الورود الموضوعة في ذلك الكأس إلى جانب جدتي، لكن جدتي تبتسم دوماً وبكل بهجة كلما نظرت إليها ، وحتى أن الدموع تملأ عينيها... أتساءل لِم تنظر جدتي بتلك الطريقة إلى تلك الوردة الذابلة في ذلك الكتاب ؟ أتعلمون لماذا ؟..ذلك لأنن جدتي تشعر كلما نظرت إلى تلك الوردة وسقطت دموعها عليها بأن الوردة تنتعش وبأن عطرها الفواح يعبق في الغرفة، وبأن الجدران المحيطة بجدتي تختفي وتتحول إلى غابة خضراء رائعة تتدفق من خلال أوراق أشجارها الخضراء أشعة الشمس الربيعية، ولأن جدتي تشعر بذلك بأنها عادت شابة من جديد، وبأنها بخديها الورديين تُشبه تلك الوردة النَضرة، وبأنها عادت تلك الفتاة الشابة الفاتنة بضفائرها الشقراء وقوامها الجميل الرشيق... لكن تلك العينان... العينان الورعتان الوديعتان لا زالتا كما كانتا، وهما كل ما تبقى من جدتي الشابة...

يُخيّل لجدتي الآن بأن إلى جانبها شاب طويل القامة قوّي الُبنية يُقدم إليها وردة ويبتسم... ليس بإمكان جدتي أن تبتسم الآن كما كانت في السابق . نعم، لكنها تبتسم لمجرد ذكرى ذلك اليوم، ولاستعادتها الكثير من ذكريات الماضي... لكن الشاب الجميل الطلعة لم يعد هنا ... غادر الحياة وذبلت داخل الكتاب.، ولا تزال جدّتي جالسة هنا امرأة مُسنّة تنظر بأسى إلى تلك الوردة الذابلة في الكتاب...

ماتت جدتي ... كانت جالسة على المقعد تروي لنا قصة جميلة طويلة .، وكانت عندما أنهت القصة قالت لنا بأنها تعبت، وأسندت رأسها إلى خلف المقعد لكي تنام قليلاً. كان بإمكاننا أن نسمع تردّد أنفاسها اللطيفة التي كانت قد أصبحت بالتدريج أكثر سكوناً وهدوءاً، وأن نرى بأن ملامحها تشعّ بالسعادة والسلام ، كما لو أن شعاعاً من نور الشمس قد أضاء وجهها . ابتسمت ثانية ... وقال من حولها بأنها توفيت...

حملوها في تابوت أبيض جميل وهي مُلتفة بقماش قطني أبيض... كانت التجاعيد قد اختفت من وجهها، كانت عيناها مغمضتان وعلى فمها ابتسامة هادئة... لم نشعر على الإطلاق بالخوف بالنظر إلى جسد من كانت من هي أعز الأعزاء علينا.، تلك الجدة الطيبة الطاهرة الغالية... وضعنا دفتر التراتيل والوردة تحت رأسها، لأنها طلبت أن يُدفنا معها، وزرعنا شجرة ورود بالقرب من جدار القبر... أزهرت الشجرة بكاملها وجلس العندليب بين الورود ، بدأ يصدح بصوته الحنون ، وكانت موسيقى وكلمات الترانيم الجميلة المكتوبة في كتاب الأناشيد تصل إلينا من كاتدرائية بعيدة... كان القمر يُلقي بضوئه على القبر لكن المتوفاة لم تكن هناك... كان بإمكان أي من الأطفال أن يذهب إلى هناك بكل أمان لكي يقطف زهرة من شجرة الورود.

الأموات يعرفون أكثر مما نعرفه نحن الأحياء.، فهم يعرفون مقدار ما قد نشعر به من رعب لو حدث شيء غريب كأن يظهر شخص ميت بيننا، لكن الأموات لايعودون... طواهم التراب إلى الأبد ... وهم أفضل حالاً مما نحن عليه في هذه الحياة...

الورود النضرة تتفتح فوق قبر جدتي والعندليب يصدح بصوته الحنون وصوت الأرغن لايزال يصل من بعيد ، ولا تزال ذكرى تلك الجدّة العجوز تعيش في قلوبنا . تلك الجدّة بعينيها الجميلتين الوديعتين اللتين كانتا توحيان دوماً بالشباب...

لايمكن أن تموت جدتي أبداً ... وسوف تُشاهد عيوننا دوماً جدتنا الغالية أكثر شباباً وجمالاً ونضارة من المرة الأولى التي كانت فيها قد تناولت تلك الوردة الحمراء من جدّي قبل أن يطويهما التراب...

A BAD EXEMPLE

مثل سيء

للكاتب سومرست موجهام

١

يشغل السيد جيميس كلينتون منصباً هاماً في شركة كبيرة في "هايانيس" تدعى "براين وشركاه" ،براتب يصل إلى حوالي المائة والخمسة وستين جنيهاً في العام ،. وهو من الأشخاص المحترمين والمنضبطين في عملهم الذين يؤمنون بعظمة الدولة البريطانية وبتفوّق رجال الدولة فيها على غيرهم في دول الكومنولث ، وبسياسة الحزب المحافظ. وكان من عادته أن يقول :

" رجال الأعمال هم وحدهم من يُسيّرون العالم، وهم من أصحاب الفضل في جعل بريطانيا على ماهي عليه".

كما كان يقول " برأي ، الحزب المحافظ هو الحزب الأكثر مقدرة على إدارة تلك الإمبراطورية العظيمة، لأنه وثق برجال الأعمال،. كما أن قوة الحزب المحافظ تَكمُن في رجال الدولة، وفي أصحاب المصارف ومؤسسي المصانع وسماسرة البورصة،. ولكن مادام الحزب الليبرالي (أي الحرّ) مأوى ووكراً للاشتراكيين ولا تحادات العمال والفوضويين فلن يكون بإمكاننا ولن نقوم نحن رجال الدولة بدعمه...

ولولا تلك النهاية المحزنة لحياته الوظيفية ، لكان السيد جيمس كلينتون قد أصبح الآن دون شك من مؤيدي الاستعمار ولكان اتحاد الأعراق الأنغلوساكسونية قد وجده فيه أشد وأقوى المؤيدين لسياسته...

كان السيد كلينتون طويل القامة، ضعيف النظر ،ذو شعر قليل طويل يُخفي به الصلع في ذروة رأسه . وكان يرتدي دوماً معطفاً أسود اللون يلمع في منطقة المرفقين، وقبعة قديمة الطراز وربطة عنق سوداء ضيقة عليها جوهرة زائفة. ، كما كان يحمل حقيبة سوداء صغيرة يرمي بها إعطاء انطباع الرجل الجدير بالاحترام. كان السيد كلينتون متزوجاً من الابنة الثانية للسيد جون راينر وهو أحد الرجال الهامين في قصر بغنغهام.

٢

يُغادر السيد كلينتون منزله في "كامبرويل " كل صباح في الوقت الذي يُمكّنه من اللحاق بالقطار الذي يتوجه إلى المدينة في الساعة الثامنة وخمس وخمسين دقيقة. كان من عادته أن يتوجه إلى المحطة عن طريق هضبة "لودغيت" وهو يمشي مُحنياً الطرف الأيسر من جسمه .، وهي عادة اكتسبها نتيجة اندساسه بين الناس لكي يتجاوز من هم أقل سرعة منه في السير.

كان السيد كلينتون يتضايق دوماً من أولائك الأشخاص ويقول :

" إن لم يكونوا على عجلة من أمرهم، فهو على الأقل في عجلة من أمره، وبأن ليس لهم الحق باعتراض الطريق. كما أن ليس من المناسب لرجل مُتحضّر أن يتسكع في الصباح.، وبأن فترة الغداء فقط هي الوقت المناسب للتسكع ففي ذلك الوقت لن يكون هناك من هو في عجلة في أمره. أما في طريق العودة إلى المحطة وسواء أكان ذلك في الصباح أو في المساء فعلى المرء أن يمشي بذات سرعة سير الأشخاص الآخرين... وبأنه لو كان مديراً للشركة لما كان سيوافق مطلقاً على استخدام أي رجل يمشي الهوينا في الصباح.، فلو كان أحدهم

يرغب في التسكع ليذهب إلى الطرف الغربي حيث بإمكانه أن يتسكع هناك طوال اليوم، لكن الناس تقصد المدينة للعمل...

يصل السيد كلينتون إلى المكتب في الساعة العاشرة إلا الربع، باستثناء الأيام التي قد يصل فيها القطار في الساعة التاسعة والنصف تماماً نتيجة خطأ ما في التوقيت المحدد له.

كان من عادة السيد كلينتون أن يجلس في غرفته ويترك الباب مفتوحاً بانتظار قدوم المستخدم المسؤول عن تنظيف المكتب ، الذي من المفترض أن يصل قبل وصول السيد كلينتون بعشر دقائق، والذي كان يشعر بالطبع بالضيق عندما يصل قطار السيد كلينتون في الوقت المحدد لأن في ذلك ما يعرّضه دوماً للتأنيب.

عندما سمع السيد كلينتون في ذلك اليوم وقع خطى المستخدم نادى " أهذا أنت ديك ؟"

ظهر الفتى أمامه وأجاب " نعم سيدي."

رفع السيد كلينتون نظره إليه ، وقال :

" ما معنى هذا التصرف ديك ؟ ألست ملزماً بالوصول في الساعة التاسعة والنصف تماماً؟"

قال الفتى" آسف جداً سيدي.، لكن لم تكن تلك غلطتي ، تأخر القطار."

" هذه ليست المرة الأولى التي أنبّهك إلى هذا الأمر ديك.، أنت تعلم تماماً بأن شركة النقل ليست دوماً دقيقة في مواعيد وصول القطارات.، لذا عليك المجيء في القطار الذي يَسبقه في التوقيت."

عبس الفتى ولم يجب. وتابع السيد كلينتون حديثه :

" كان علي أن افتح المكتب بنفسي. أنت تعلم جيداً بأنه ليس من مهمتي كمساعد مدير أن أفتح المكتب. أنت تحصل على ستين شلناً في الأسبوع لكي تكون هنا في الساعة التاسعة والنصف. إن كنت تجد نفسك غير مؤهل للقيام بالواجبات التي استخدمت لأجلها، فكل ما عليك أن تشعرنا بذلك"

ثم أنهى حديث بالقول:

" لا تدع هذا الأمر يتكرر ثانية."

ثم كان السيد كلينتون كعادته قد خلع معطفه ووضع سترته ، ثم شحذ (برى) قلمه وبدأ يعمل . ظلّ السيد كلينتون يعمل في المكتب بكل استغراق حتى الساعة الواحدة ظهراً . كان يُدقق الأرقام، ويجمع ويطرح الحسابات، ويطابق الميزانيات، ويكتب الرسائل. كما كان من وقت لآخر يذهب، لسبب ما، إلى مكاتب الموظفين أو إلى غرفة أحد الشركاء.

في الساعة الواحدة ثم ذهب السيد كلينتون في فترة الاستراحة في الساعة الواحدة تماماً إلى أحد المطاعم القريبة لكي يتناول وجبة الغداء . كان يحمل معه نسخة من صحيفة " الديلي تلغراف" التي من عادته أن يقرأها أثناء تناوله وجبة الغداء. طلب شطيرة بالزبدة وقطعة كعك وفنجاناً من الشوكولا الساخنة وبدأ يتناولها وهو يقرأ الصفحات الثالثة والرابعة من الصحيفة. ثم عاد إلى مكتبه في الساعة الثانية إلا الربع تماماً وتابع عمله في تدقيق الأرقام وفي الجمع والطرح وفي مطابقة الميزانيات وكتابة الرسائل الخ...

وكان في الساعة السادسة إلا عشر دقائق قد وضع أقلامه جانباً ورتّب طاولة المكتب وأقفل درج مكتبه وغادره في الساعة السادسة تماماً لكي يستقل القطار عائدا إلى كانبرل وإلى كنف عائلته...

أما برنامج السيد كلينتون ليوم الأحد فهو بأن يصطحب عائلته إلى الكنيسة ، وأن يتناول الغداء العائلي مع زوجته وأولاده، ثم يصطحب زوجته في نزهة في الشوارع المجاورة والطرقات المشجرة. كان السيد كلينتون طوال تلك النزهة يتفحّص واجهات المنازل وكان يتوقف من وقت لآخر لكي يتأمل إحدى الحدائق أو أحد المنازل المعتنى بها .، أو لكي يحاول اختلاس النظر من خلالها إلى إحدى الغرف ...

كان السيد والسيدة كلينتون أثناء جولاتهما يقارنان دوماً بين ستائر النوافذ وينتقدان أصحاب المنازل التي تحتاج أبوابها إلى الطلاء .، ويُشيدان بمداخل المنازل المَطلية النظيفة...

تعيش عائلة كلينتون في شارع أدونيس ، وفي منزل يتميّز عن باقي المنازل بستائره الصفراء التي كانت السيدة كلينتون ،التي هي امرأة ذات ذوق رفيع ، قد وضعتها على جميع النوافذ.

كان الزوجان السعيدان قبل زوجهما قد أطالا البحث عن المنزل المناسب ، ترافقهما والدة السيدة كلينتون إلى أن استقر الرأي على سكنهما في شارع أدونيس التي هي منطقة محترمة رخيصة الأسعار وقريبة من المحطة...

لكن الحقيقة أن السيدة كلينتون كانت قد رغبت بالسكن في أحد منازل الطرف الأيمن من الشارع ، لكن السيد كلينتون كان صارماً في رفضه ذلك ، وكانت والدة زوجته أيضاً قد دعمت رأيه.

وكان ردّ السيد كلينتون حينذاك على إصرار زوجته:

" بإمكاني أن أقول بأن هذه المنازل ذات شكل معماري جميل، لكن رجلاً بمثل منصبي لا يتطلع إلى الفن ، وإنما إلى الأشياء الجوهرية فقط .

لو كان المحافظ -- والمحافظ هو الشريك الأساسي في الشركة التي يعمل بها السيد كلينتون-- لو كان المحافظ سيختار أحد هذه المنازل لما كان لدي أي اعتراض على ذلك ، لكن الفن لايُعتبر من الأمور الجوهرية بالنسبة إلى رجل في موقعي.."

كما كانت والدة زوجته قد أكدّت على ذلك بأن قالت:

" أنت على حق وأنا أوافقك تماماً على ما قلته ..."

أما السيدة كلينتون فكانت حتى وهي لاتزال في مقتبل العمر ذات شعور كبير بالمسؤولية، وكانت تتمتع بالكثير من رقّة الإحساس وبالواقعية ، وهذا ما جعلها تختار أحد تلك المنازل الثلاثة والعشرين ذات الشكل المتشابه التي تقع في الطرف الأيسر من الشارع ،، وتعيش هناك بهدوء وسعادة...

لكن السيد كلينتون لم يكن يفوّت فرصة دون أن يُشير باحتقار إلى المنازل التي تقع في الجانب الآخر من الشارع ، ودون أن يلفت نظر زوجته باستمرار إلى عدد المنازل التي احتاجت إلى الإصلاحات ، وكيف أن مالكيها أفلسوا لكثرة ما يتكبدونه من نفقان الإصلاح،، وكان يقصّ كل ما ينشر عن ذلك في الصحف ويرسله إلى زوجته بتوقيع مُغفل.

كان من عادة السيد كلينتون في بداية شهر آب (أغسطس) من كل عام أن يُغادر جو لندن الملوث لكي يصطحب زوجته وأولاده إلى عزلة أجواء البحر في "رامسغيت"،، وكان يُمضي الوقت هناك في قراءة صحيفة " الديلي تلغراف" وبمشاركة أولاده في بناء قلاع الرمل. كان يرتدي الملابس القطنية الخفيفة، لكن لم يكن هناك ما يمكن أن يُقنعه بتغيير قبعته الرسمية،، ذلك لأنه كان يؤيد تماماً رأي أبطال إنكلترا في العهد الفيكتوري" بأن أكثر ما يُميّز الرجل الانكليزي الحقيقي هو قبعته الرسمية،، وبأن ذلك هو التعبير الفعلي عن العظمة"...

كان السيد كلينتون يحتقر الغرباء وعلى الرغم من أنه لم يكن يتجرأ على اعتبار نفسه من مستوى لوردات الانكليز إلا أنه كان مع ذلك يعتبر نفسه أرفع منزلة من أي نبيل من دولة أخرى. وكان يقول:

" بإمكاني القول بأنه لابأس بهم بشكل ما ، لكن ليس بإمكان المرء أن يشعر على الفور بأن أولائك الغرباء هم من النبلاء. لست أدري ما هو السبب لكن هناك شيء ما، أنتم تفهمون ذلك أليس كذلك؟ فأنا بالفعل أحب أن يكون الرجل الجنتلمان. أشكر الله لأنني من الانكليز...

٤

وصادف أن استدعي السيد هاينس وهو الشريك الرئيس في الشركة التي يعمل بها السيد كلينتون، ذات مرّة للمشاركة في إحدى لجان التحقيق في أسباب وفاة بعض الأشخاص الذين كانت هناك بعض الشكوك حول أسباب وفاتهم . وبما أن السيد هاينس كان خارج المدينة ، فقد تم تكليف السيد كلينتون بأداء تلك المهمة بالنيابة عنه.

لم يكن قد سبق للسيد كلينتون أن أدى مثل تلك المهام، ذلك لأنه عندما أصبح مسؤولاً عن عائلة قد كان وجد الذريعة لأن يتم إبعاده ومهما يكن عن المشاركة في لجان التحقيق. ولم يكن قد اهتم على الإطلاق بما قد يعينه ذلك من خزي ،. لذا كان بنوع من حب الاستطلاع قد عوّض ذلك في المحكمة صباح التحقيق.

كان الطقس بارداً كئيباً ، وكانت السماء تُرسل رذاذاً خفيفاً لذا لم يستقل السيد كلينتون الحافلة ، خاصة لأنه سوف يتمكن بذلك من توفير الثلاث بنسات التي سوف يطالب الشركة بتعويضه عنها عن مهمته الرسمية تلك. كانت الشوارع ندية وموحلة ، وكان المارون يمشون تحت المنازل لكي يتفادوا التلوث برذاذ المركبات التي تمر إلى جانبهم.

فكّر السيد كلينتون بذلك المحامي الذي كان من عادته في مثل هذه الأيام المطرة الموحلة، أن يصطحب معه أحد الكتّاب لكي يمشي في الشارع إلى جانب رئيسه ويحميه من رذاذ الوحل. كانت القصة قد راقت للسيد كلينتون بشكل خاص .، حدّث نفسه:

" لابد أن يكون ذلك المحامي من رجال الأعمال الناجحين."

كان السيد كلينتون وهو يمشي الهوينا تحت المظلة ينظر إلى رجال الدولة خلف مِقود سياراتهم. ثم حدّث نفسه:

" البعض منا يولدون نبلاء رفيعي القَدر، وقد يحقق البعض الآخر ذلك." ثم أشارّ بإصبعه إلى عضو مجلس مدينة كان يمرّ إلى جانبه وقال:

" رجل كهذا بإمكانه أن يمرّ بسيارته دون أن يتمكن أي شخص من الاعتراض على ذلك. قد يكون هذا الرجل قد استطاع أن يرفع نفسه من الحضيض ...

لكنه عندما اجتاز شارع المجلس النيابي ومنه إلى دير ويستمينستر.، كان قد شعر بالكثير من السخط ، لدى مشاهدته داخل إحدى السيارات شاباً يرتدي قبعة الأوبرا مع معطف مغلق الأزرار يُخفي به ملابسه الرسمية.

حدث السيد كلينتون نفسه :

" بإمكاني أن أراهن على أنه من الشبان الفاشلين .لو كنت أحد أعضاء البرلمان لكنت سأوقفه عند حدّه.. هذا ما ينتج عن امتلاك الشخص الكثير من المال دون أن يكون لديه ما يقوم به من عمل. لو كنت أحد الأرستقراطيين لكنت استخدمت أبنائي لمدة خمس سنوات في مكتب المحاسبة. لأنه المكان الأفضل الذي يتعلم فيه الرجال ممارسة أحد الأعمال الجيّدة ."

ثم توقف قليلاً في الطريق وقال:

" ماالذي كان سيحل بي الآن لو لم أكن قد تدربت على إحدى المهن الجيدة؟ "

وكان السيد كلينتون قد وصل بعد ذلك إلى مبنى مكتب التحقيقات في الوفيات المشتبه بها، وهو مبنى تم تشييده حديثاً كان الدوق قد خصصه لذلك الغرض بالكثير من الاحتفالية والصخب. وكان بعد أن أدى القَسم مع باقي المحلفين قد توجه معهم لمشاهدة الجثث التي كان المجلس سينعقد لأجل التحقيق في أسباب وفاة أصحابها .

لكن السيد كلينتون كان من النوع السريع الشعور بالغثيان وبذلك قال:

"لا أحب النظر إلى الجثث، ولكن ليست لدي أية اعتراضات على الأمر من الناحية المبدئية .."

تم إعلامه بأن عليه النظر إلى تلك الجثث.

ولكن عندما وصل الدور إلى السيد كلينتون للنظر إلى الجثث من خلال اللوح الزجاجي، كان كل ما فعله أنه أغمض عينيه وقال:

" جيد جداً ، بإمكانكم اصطحاب الحصان إلى البئر لكن ليس بإمكانكم إجباره على الشرب..."

كما قال عندما كانوا في طريقهم إلى المحكمة :

"بإمكاني القول بأنني لا أحب النظر إلى الجثث ، وبكل صراحة ليست رائحتها مما يمكن أن نُطلق عليه رائحة " ماء الكولونيا " .

وبذلك كان باقي أعضاء لجنة التحقيق قد اكتفوا بالضحك ، ذلك لأن السيد كلينتون كان كثيراً ما يُدلي بمثل تلك التعليقات الظريفة.

ثم قال رئيس لجنة التحقيق :

"حسناً أيها السادة، لدينا هذا الصباح ثلاث حالات فقط، لن آخذ الكثير من وقتكم فهي تبدو من الحالات البسيطة جداً."

٥

الحالة الأولى لرجل في السبعين: كان ذلك الرجل من الرجال المحترمين المُجدّين في عملهم إلى أن أصيب منذ سنتين بسكتة دماغية أدت إلى إصابته بشلل نصفي هذا ما تسبب في إعاقته تماماً عن العمل، وبذلك كان قد خسر عمله . كان ذلك الرجل وحيداً في العالم ، كانت زوجته قد توفيت منذ مدة طويلة ولم يكن قد تلقى أية أخبار عن ابنته الوحيدة من أكثر من ثلاثين عاماً ... كان قد أنفق شيئاً فشيئاً كل ما كان لديه من القليل من المدخرات، ثم اضطر بعد ذلك إلى أن يلجأ لرهن ما لديه من أمتعة، حتى القدور والمقلاة والملابس والمقعد الذي يجلس عليه إلى أن اضطر أخيراً إلى بيع سريره ثم مات... يُبيّن تقرير الطبيب الشرعي أنه كانفي الفترة الأخيرة قد وزنه بشكل مفزع نتيجة سوء التغذية، وبأنه لم يكن قبل وفاته قد تناول أي طعام لمدة يومين...

لم يكن على لجنة التحقيق أن تُناقش الأمر مُطوّلاً.،وكان الجميع بعد أن همس رئيس اللجنة لكل منهم بشيء ما ، قد هزّوا رؤوسهم إشعاراً بالموافقة وبذلك أُتخذ القرار بالاستناد إلى شهادة الإثبات المقدمة من الطبيب!...

وكان التحقيق الثاني حول وفاة طفل في الثانية من عمره. كان المحقق قد أسند رأسه على يده بسأم .، وقال بأن تلك القضية كانت من الأمور الشائعة جداً في ذلك الوقت...

ثم جاءت والدة الطفل للإدلاء بشهادتها . كانت امرأة صغيرة ذات وجه شاحب نحيل بعينين حمراوين من شدة البكاء. أجهشت المرأة بالبكاء وهي تروي للمُحقق بأن زوجها كان قد هجرها وكان عليها بذلك أن تُعيل نفسها وأن تُعيل طفلين.، وبأنه ليس لديها أي عمل كما ليس لديها من المال ما كان يكفيها حتى للحصول على الطعام.، وبأنها كانت قد أرضعت الطفل طوال المدة التي كان بإمكانها أن تفعل ذلك ، لكن الحليب كان قد جفّ في صدرها بعد ذلك.، وبأنها عندما استيقظت قبل يومين وحملت الطفل بين ذراعيها كان قد وجدته بارداً وبأنه مات نتيجة نقص الغذاء!...

وكانت لجنة التحقيق قد نطقت بحكمها بإطار جملة جميلة ومدروسة بإتقان بالاستناد إلى شهادة الإثبات.

أما القضية الأخيرة فكانت قضية فتاة في العشرين من عمرها عُثر عليها غريقة في نهر التايمز. قال البحار الذي عثر عليها بأنه كان شاهد كتلة سوداء غريبة الشكل طافية فوق الماء.، وبأنه انتشلها واستدعى الشرطة.، كما قال بأنه اعتاد مؤخراً على مشاهدة مثل تلك الحوادث !...

وكان رئيس لجنة التحقيق قد وجد في جيب الفتاة ورقة صغيرة تطلب فيها السماح لما تسببت به من إشكال وتروي فيها كيف كانت طُردت من منزلها، وبأنه لم يكن لديها أي مورد للرزق مما أدى إلى تشردها وإلى تضورها جوعاً .، وبذلك قررت أن تضع حدّاً لكل تلك المعاناة بأن ترمي نفسها في النهر.

وكان تقرير الطبيب الشرعي أن هناك على الجثة ما يُشير إلى الكثير من الفاقة، ثم أصدرت هيئة التحقيق حكمها بأن المتوفاة انتحرت وهي في حالة من الجنون العَرضي نتج عن ظروفها السيئة..."

ثم ذهب كل من أعضاء هيئة التحقيق بعد ذلك في طريقه.، لكن السيد كلينتون ظلّ واقفاً خارج باب مكتب التحقيقات يُفكر ملياً، ثم سأل الموظف المسؤول بحياء:

"هل بإمكاني أن ألقي نظرة أخرى على الجثث ؟"

دهش المسؤول عن مكتب التحقيقات ثم ضحك وقال :

" لابأس ، بإمكانك أن تنظر إليها من جديد ، هذا لو كنت ترغب بالفعل بذلك."

نظر السيد كلينتون من وراء زجاج النافذة إلى تلك الجثث، وأخذ يتفحّص وجوهها بتمهل الواحدة تلو الأخرى. كان يبدو وكأن ليس بإمكانه أن ينتزع نفسه من ذلك المكان. وكان قد استدار عنها أخيراً وهو يشعر بالغثيان، وقد شحب وجهه إلى حدّ كبير وارتسم عليه تعبير غريب...

وكان قد غادر المكان بعد أن قال للموظف " شكراً لك ! " . لكنه بعد أن خطى بضع خطوات كان قد عاد أدراجه. لمس ذراع الموظف وقال:

" هل تردكم الكثير من الحالات المماثلة؟"

قال الموظف بدهشة " لِم تبدُ مُضطرباً بهذا الشكل.، بإمكاني أن أدرك أنك لست معتاداً على مثل هذه الأمور. من الأفضل أن تذهب إلى الحانة التي تقع في الشارع المقابل لكي تتناول بعض الشراب."

قال السيد كلينتون بصوت خافت " تبدو من الحالات المؤلمة ."

قال الموظف " كان هذا اليوم من أيام الكساد. فهولا يُشبه ما نراه عادة في مثل هذا الوقت من العام."

قال السيد كلينتون " كانوا الجميع قد ماتوا نتيجة تضورهم جوعاً -- نعم كان ذلك نتيجة تضورهم جوعاً وليس لسبب آخر..."

أجاب الموظف " نعم، أعتقد ذلك، أعني على وجه التقريب. ياإلهي ! بالنسبة لحالات الوفاة من الجوع، فنحن نرى العديد من مثل هذه الحالات في الأيام الصعبة."

قال السيد كلينتون" أووه!"

ثم قال الموظف المسؤول " حسناً ،علي الآن أن ألتفت إلى عملي."

كانا يقفان أمام الباب ، قال الموظف:

" حسناً، أنت بالفعل حالة تثير الاستغراب."

لكن السيد كلينتون لم يكن قد التفت إلى ما قاله وتوجه إلى سجن المدينة . ثم كان ما يشبه الغشاوة قد غطى عيني السيد كلينتون . بدا له كل شيء من حوله في غاية الغرابة .، ثم شعر بألم شديد في صدره وبأنه يقع على الأرض...

عندما فتح السيد كلينتون عينيه من جديد وجد نفسه جالساً أما بوابة أحد البيوت و بجانبه أحد عناصر الشرطة. كان ذلك الشرطي يهزّه ويسأله عن اسمه.، وكانت تقف إلى جانبه امرأة ممسكة بقبعته.، لاحظ أن بنطاله كان موحلاً وكان بشكل آلي قد أخرج منديله من جيبه وبدأ يجففه وهو يُلقي نظرة خالية من التعبير إلى الشرطي الذي كان يستجوبه.

سألته السيدة فيما إذا كان يشعر بأنه بوضع أفضل ،، لكنه أشار إليها بأن تعيد إليه قبعته، ثم وضع قبعته على رأسه بوهن، ونهض وهو يترنح وغادر المكان تحت المطر الذي كان يتساقط بينما كانت السيارات التي تمر بسرعة إلى جانبه تدفع نحوه بالوحل القذر....

٦

عاد السيد كلينتون إلى مكتبه ، ذلك لأن ما كان يفخر به دوماً هو أنه خلال عشر سنوات لم يكن قد تخلف ولا حتى ليوم واحد عن دوامه في المكتب... لكنه كان يشعر بالدوار، وبذلك كان قد أنجز عمله بشكل آلي وهو في حالة من الذهول مما جعله ينسى للمرة الأولى في حياته أن يخلع أكمامه الإضافية (أكمام يضعها الموظف لوقاية ملابسه من التلوث بالأحبار) وهذا ما لاحظته زوجته أيضاً عندما كانا يتناولا العشاء.

أما السيدة كلينتون فهي امرأة قصيرة القامة مُكتنزة الجسم تبدو على وجهها علامات العزم والتصميم . عيناها مفعمتان بالحيوية وفمها الصغير يوحي بالحزم. وبما أن لكل منا أسلوبه الذي يناسبه تماماً في الحياة . فكان ما تُعبّر به السيدة كلينتون عن نفسها بأن تعرض كل أحد في الكنيسة كل ما يُميّزها من خصال . كانت تجلس في المقدمة وهي تنشد الأناشيد الدينية بطريقة خاطئة لكنها كانت تشعر بذلك وأكثر من أي وقت بأن ما تفعله يُجسد شخصيتها. لكن سلوك السيدة كلينتون الأخلاقي فوق مستوى الشبهات كما كان إيمانها صادقاً.

قالت لزوجها وهما يتناولان العشاء:

"انتقلت السيدة تيلي وزوجها اليوم إلى البيت الثاني في المبنى وبذلك نزعت أخيراً تلك الستائر القذرة .، ذلك لأن السيدة كلينتون كانت تقضي معظم الوقت بمراقبة تحركات جيرانها .، وكانت دوماً تتحدث مع زوجها عن أحداث اليوم أثناء تناولهما العشاء.

لكن السيد كلينتون لم يلق بالاً لملاحظتها هذه المرّة ، وإنما دفع بطبق اللحم البارد من أمامه بتعبير عن الاشمئزاز.

قالت السيدة كلينتون:

" تبدو الليلة ساهماً على غير عادتك."

قال السيد كلينتون:

"كنت قد شاركت اليوم في لجنة تحكيم بالنيابة عن المدير وقد تسبب لي ذلك بالواقع ببعض الدوار."

" لم؟ هل كان هناك ما هو استثنائي؟"

" كل ما في الأمر أن بعض البؤساء كانوا تضوروا جوعاً حتى الموت."

هزت السيدة كلينتون كتفيها وقالت:

" أستغرب ذلك! ولكن لَم كان عليك الذهاب إلى مكتب التحقيقات؟ ليس بإمكاني احتمال مثل أولائك الأشخاص."

نظر إليها السيد كلينتون للحظة ثم غادر المائدة وهو يقول :

" حسناً عزيزتي، سوف أذهب إلى سريري ،بإمكاني أن أقول بأنني لابد أن أصبح بوضع أفضل في الصباح."

قالت السيدة كلينتون" جيد اذهب إلى فراشك وسوف أجلب لك بعض الشراب الساخن. أعتقد أنك أصبت ببعض البرد وسوف يفيدك بعض التعرّق الجيّد.

جلبت له شراباً ساخناً ووقفت ترقبه وهو يشربه بتمهل . ثم وضعت عليه المزيد من الملاءات وتركته وذهبت إلى الأسفل لكي تتناول شرابها الاعتيادي قبل الذهاب إلى الفراش.

لكن السيد كلينتون كان طوال الليل يتقلّب من طرف لآخر.، كان يشعر بحرارة لا تُطاق مما جعله ينزع عنه ملابسه. ثم تزايد توتره إلى الحد الذي جعله ينهض من الفراش لكي يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، ثم عاد إلى فراشه وغرق في نوم مُضطرب.

كان ينام ويستيقظ ويعود وينام ويستيقظ من جديد وهو يشاهد أمامه تلك الوجوه الرهيبة للجثث التي شاهدها في مستودع الجثث. لم يكن بإمكانه أن يمحو من مخيلته تلك الصورة الشنيعة لذلك الطفل النحيل بوجهه الشاحب وعينيه المفتوحتين... ذلك الطفل الذي مات جوعاً ... كما كان يشاهد أمامه وجه ذلك العجوز، ذلك الوجه الخالي من التعبير الذي تنتشر عليه التجاعيد والذي تبدو عليه فقط شدّة المعاناة من الجوع... لكنه كان قد بدأ يرتعش جداً لشدّة الرهبة عندما تخيّل وجه تلك الشابة التي ماتت غرقاً وعندما عادت إلى مخيلته صورة تلك الجثة المُتعفنة.، وكان قد دفن وجهه في الوسادة وبدأ يبكي...ويبكي ... ويبكي بصمت لكي لا يوقظ زوجته.

طلِع الصباح أخيراً لكن السيد كلينتون كان قد وجد نفسه محموماً وظَمئاً لا يكاد يقوى على الحركة . وبذلك كانت السيدة كلينتون قد استدعت الطبيب ، وهو رجل اسكتلندي بليد وحذر ، لكن السيدة كلينتون الحكيمة كانت تعتمد عليه اعتماداً كلياً لأنه كان يوافقها على كل ما تُبديه من آرائها حول أمراض أطفالها.

قال الرجل الحكيم أن السيد كلينتون قد أصيب ولابد بالبرد وبأنه يعاني من التهاب رئوي. ثم ذهب لاستكمال جولته الطبية بعد أن وعد بإرسال الأدوية إليه وبأنه سوف يمرّ من جديد في اليوم التالي للاطمئنان عنه. لكن حالة السيد كلينتون كانت قد ساءت، وكان قد بدأ يهتاج ويهذي.، وعندما سألته زوجته عن حالته وهي تُمهد الوسائد تحت رأسه، كان قد ألقى عليها نظرة خالية من التعبير وتمتم :

" ليباركك الله ! يصلنا في الأيام الأسوأ ما يقارب الإثني عشر ممن هم مثلهم أي ممن يموتون جوعاً."

وعندما سألها الطبيب في اليوم التالي" ماالذي يتحدث عنه زوجك؟"

أجابت " كان قد شارك قبل الأمس في إحدى لجان التحقيق، وبرأيي أن ذلك الأمر كان له تأثيره الكبير على عقله."

قال الطبيب " لاداعِ للقلق. أعتقد أنه سيعود إلى رشده غداً، في مثل حالته يتحدث الناس دوماً عن مثل هذه الأشياء الغريبة..."

ثم كان الطبيب بعد بضعة أيام قد توصل إلى الاستنتاج الأخير الذي هو أن إصابة السيد كلينتون هي الحمى التيفية وبأن السيد كلينتون مريض جداً.

ظلّ السيد كلينتون لعدة أيام طريح الفراش ،كان مستلقياً على ظهره بين الحياة والموت ينظر إلى من هم حوله بعينين فاترتين مُتشبثاً بملاءات السرير بضعف ،. كما كان لساعات يُغمغم لنفسه بصوت خافت بأشياء غريبة بحيث لم يكن بإمكان أحد أن يسمع ما يقوله. إلا أن الطبيب والسيدة الطبيعة كان قد قهرا أخيراً الجراثيم وبذلك تحسنت حالة السيد كلينتون.

٧

كانت السيدة كلينتون وهي تتحدث ذات يوم مع إحدى جاراتها في غرفة النوم ،، بينما كان المريض هادئاً مما جعلهما تعتقدان بأنه لازال نائماً قالت:

"نعم ، بإمكاني أن أقول بأنني عانيت الكثير معه، لاأحد يعلم ما مررت به من معاناة."

قالت صديقتها " حسناً وبإمكاني أن أقول بأنك لم توفري جهداً وبأنك اعتنيت به كما قد تفعل أية ممرضة مختصة."

وكانت السيدة كلينتون قد ضمت يديها معاً ونظرت إلى زوجها بشعور من الرضى. لكن السيد كلينتون كان مستيقظاً وكان ينظر أمامه بعينين متسعتين ثابتتين،، تدور في ذهنه العديد من الأفكار المّشوشة.

همست السيدة كلينتون " ألا يبدو غريباً؟"

ثم التزمت المرأتان الصمت وهما ترقبانه.

"ثم سألها السيد كلينتون فجأة دون أن يستدير بنظره إليها " أأنت هنا إيمي ؟"

" نعم حبيبي! هل تحتاج لشيء؟"

ظلّ السيد كلينتون صامتاً لبضع دقائق،، بينما انتظرت السيدتان بصمت.

ثم قال أخيراً " إيمي ، اجلبي لي الكتاب المقدس."

سألته السيد كلينتون بدهشة " الكتاب المقدس؟"

" نعم عزيزتي"

همست وهي تتظاهر بأنها تُمهد له الوسادة:

"أووه ، آمل ألا يعود إلى الهذيان ثم لمست جبينه لكي تتبيّن فيما إذا كان محموماً، وسألته دون الإشارة من جديد إلى الكتاب المقدس:

" أأنت بخير تماماً عزيزي؟"

" نعم إيمي ، أنا بخير تماماً!"

" هل تعتقد أن بإمكانك النوم لبعض الوقت؟"

" لست أشعر بالنعاس، أريد أن أقرأ، اجلبي لي الكتاب المقدس من فضلك ."

نظرت السيدة كلينتون بيأس وبعجز إلى صديقتها ، كانت تخشى أن يكون هناك خطأ ما ، ولم تكن تدري ما الذي عليها أن تفعله. لكن جارتها أشارت بنظرة ذات مَغزى إلى صحيفة " الديلي تلغراف" التي كانت على الكرسي المجاور، وبذلك أشرق وجه السيدة كلينتون ونظرت إلى زوجها وقالت:

" هاهي الصحيفة عزيزي"

حينئذ صدرت عن السيد كلينتون حركة تشير إلى التوتر وقال:

" لا أريد الصحيفة، أريد الكتاب المقدس."

نظرت السيدة كلينتون إلى صديقتها بمزيد من الحيرة بأكثر من وقت مضى. وهمست لها:

" لم يَسبق له أن فعل ذلك، ولم يكن قد فاته يوماً قراءة هذه الصحيفة منذ زواجنا ."

ثم قالت لزوجها بصوت مرتفع:

" أعتقد أن من الأفضل لك ألا تقرأ الآن، سوف يأتي الطبيب بعد وقت قصير وسوف أساله عن ذلك."

وعندما جاء الطبيب قال بعد فترة طويلة من التأمل:

" لست أعتقد أن هناك أي ضرر من أن ندعه يقرأ الكتاب المقدس، لكن عليك أن تراقبيه... أعتقد بأنه لم يسبق أن أصيب أحد في العائلة بالجنون أليس كذلك؟"

أجابت السيدة كلينتون" لست أعتقد ذلك وهذا بحسب معلوماتي ، لكنني كنت أسمع دوماً بأن والدة عمتي كانت غريبة الأطوار جداً ولكن ليس لذلك أية علاقة بالأمر، لأننا لم نكن نتواصل معاً قبل زواجنا."

تناول السيد كلينتون الكتاب المقدس وفتح صفحة العهد الجديد وبدأ يقرأ . قرأ فصلاً بعد فصل وكان بين فترة وأخرى يتوقف قليلاً للتأمل أو لكي يُعيد قراءة بعض المقاطع التي تلفت الانتباه، إلى أن أنهى قراءة القسم الأول.، ثم أعاد الكتاب لزوجته وقال :

" إيمي أتعلمين ؟ بودي أن أفعل شيئاً لتلك المخلوقات المِعوزة. أعتقد أنه ليس من المناسب لنا أن نعيش لأنفسنا فقط في هذا العالم."

وكانت السيدة كلينتون قد تأثرت جداً بما قاله واستدارت إلى الجهة الأخرى لكي تُخفي دموعها التي بدأت تسيل من عينيها، لكن الصدمة كانت أكثر من طاقة احتمالها وبذلك كان عليها أن تُغادر الغرفة لكي لا يشعر زوجها بانفعالها... كانت بعد ذلك قد استدعت الطبيب على الفور، وقالت له بصوت مُنكسر وهي تبكي:

" أخشى ... أخشى أن يكون زوجي المسكين سيموت."

ثم أعلمته عن مطالعته المتواصلة للكتاب المقدس، وعن الملاحظة التي أبداها للتو . بدت علامات الجديّة على الطبيب وأخذ يفكر ثم سألها من جديد:

" أأنت متأكدة من عدم وجود وراثة جنون في العائلة؟"

" نعم، لاتوجد في العائلة مثل هذه الحالات حمداً لله!."

" هل أنت متأكدة بأنك لم تلحظي سابقاً بعض التصرفات الغريبة في سلوكيته؟ "

" لا، لست أعتقد ذلك.، لايمكن أن يخطر ببالي مثل ذلك.، ولكن لم يسبق أن سمعته يتحدث بهذه الطريقة. كان على الدوام رجلاً متوازناً رائعاً."

٨

ثم بدأ السيد كلينتون يتماثل للشفاء يوماً بعد يوم وكان بعد أن أصبح بصحة جيدة، قد قرر أن يذهب إلى عمله في المكتب . كان يبدو وكأنه عاد تماماً إلى شخصيته السابقة، ولم يعد يتحدث عن تلك النظريات والأفكار الغريبة المروعة.

كان بإمكان المراقب العادي أن يعتقد بأنه استعاد شخصية الموظف المثالي الذي كانت له منذ ستة أشهر... لكن السيدة كلينتون التي كانت تلقت تلك الصدمة الكبيرة لم يعد بإمكانها أن تنظر إليه بعينين غافلتين.، وبذلك لاحظت بعض التغيير في طريقة تصرفه مما جعل قلقها يتزايد...

كان السيد كلينتون قد أصبح أكثر صمتاً من السابق .، وكان يتناول عشاءه دون أن ينبس ببنت شفة، ودون أن يبدو عليه الاهتمام بما يسمعه بأي من الأحاديث أو من الملاحظات التي تتحدث بها زوجته . كما أنه لم يعد يقرأ الصحيفة في المساء كما كان من عادته أن يفعل، وإنما كان يصعد إلى الطابق العلوي من المنزل لكي يقف أمام النافذة المفتوحة ويتأمل النجوم.

كما كانت قد أصبحت له طريقة غامضة في الابتسام .لم يكن بإمكان السيدة كلينتون أن تفهم مغزاها.

كما كان بالإضافة إلى ذلك قد بدأ يفقد انضباطه السابق.، لم يعد يتقيد بساعات العودة إلى المنزل، وعندما كانت زوجته تسأله عن سبب ذلك كان يهزّ كتفيه ويبتسم على نحو غريب.، ثم كان ذات مرة قد قال لها بأنه كان يتجول لكي يطلع على أحوال الناس.

ووجدت السيدة كلينتون بأن تفسيره لعدم انضباطه ولعدم انتظامه غير مرضٍ على الإطلاق. وكانت قد استنتجت بعد استشارة طويلة من ذلك الطبيب بأن من واجبها أن تكتشف ما يقوم به زوجها أثناء تلك الفترة الطويلة التي يُمضيها بعد خروجه من المكتب قبل عودته إلى المنزل.

وبذلك كانت ذات يوم وفي حوالي السادسة قد وقفت أمام باب المبنى الكبير الذي كان فيه مكتب السيد كلينتون وانتظرته ...

ظهر زوجها من الباب وكان بعد أن وقف لمدة دقيقة أو دقيقتين أمام المدخل تعلو وجهه تلك الابتسامة الغامضة، قد بدأ يمشي بتمهل في الشارع المزدحم.،

وبذلك لم يكن من العسير على السيدة كلينتون أن تتبعه لأنه كان قد فقد أيضاً مشية رجل الأعمال ، تلك المشية السريعة وإنما كان يمشي الهوينا وهو ينظر بعدم اكتراث حوله وإلى كل من الطرف اليمين والطرف الأيسر كما لو أنه ليس في عجلة من أمره وكما لو أن ليست لديه أية واجبات عائلية كرّب أسرة وأن هناك زوجة وأولاد بانتظار عودته إلى المنزل....

ثم كان بعد فترة قد توجه إلى شارع جانبي .، تبعته زوجته بكل استغراب فلم لديها تكن أية فكرة عن الوجهة التي يقصدها. ثم كانت بائعة زهور صغيرة قد مرّت بجانبه وقدمت له زهرة صفراء ووقف السيد كلينتون وأخذ ينظر إليها .، كان بإمكان السيدة كلينتون أن ترى أن الفتاة الصغيرة قذرة وبأن ملابسها رثة قذرة.، لكن السيد كلينتون وضع يده على رأسها وهو ينظر إلى عينيها وكان بعد أن منحها قطعة نقدية صغيرة قد انحنى وقبّل رأسها بحنان وتركها بعد أن قال لها " ليباركك الله "...

شُدهت السيدة كلينتون تماماً وحدثت نفسها:

" لم يسبق لي أن شاهدته يفعل ذلك قط !..." ثم مرت إلى جانب بائعة الزهور الصغيرة وألقت عليها نظرة حانقة مما جعل تلك الصغيرة تهرب بسرعة...

ثم تابع السيد كلينتون سيره بتمهل وكان من حين لآخر يتوقف وهو ينظر إلى بعض النسوة الجالسات أمام البوابات أو إلى الأولاد المتجمعين حول بائع المثلجات. ثم شاهدته السيدة كلينتون بعد ذلك وهو يشتري المثلجات ويُسدّد ثمنها ويناولها لطفل صغير كان ينظر بعينين تملأهما الرغبة إلى رفاقه الذين كانوا يلعقون المثلجات بكل سرور. وكان قد توقف بعد ذلك لمدة طويلة لكي يرقب مجموعة من الفتيات الصغيرات يرقصن على أنغام موسيقى أرغن يدوي ثم منحهن أيضاً بعض المال...

تمتمت السيدة كلينتون " لو استمر في هذا التصرف فسوف يُنفق كامل ميزانية المنزل

زمّت شفتيها بأكثر من صرامة وهي تفكر بالتفسير الذي سوف تحصل عليه منه عندما سيعود إلى المنزل. وكان السيد كلينتون أخيراً قد عرّج على حيّ فقير ضيق تفوح منه رائحة نتنة مما جعلها تخاف تقريباً من أن تتبعه إليه. لكن ما كانت فيه من امتعاض وفضول ومن إحساس قوي بالواجب كان قد تغلب عليها.، وبذلك كانت قد تتبعته وهي تسدّ أنفها وتشقّ طريقها بين نفايات الخضار وكان عليها أن تتجنب أيضاً قطة ميتة كانت في وسط الطريق.

وكان شعور السيدة كلينتون بالاشمئزاز من زوجها قد ازداد عندما شاهدته يدخل إلى إحدى الحانات وتساءلت السيدة كلينتون وهي تنظر من الباب وتشاهده يتحدث مع اثنين أو ثلاثة من الرجال الخشني المظهر كانوا يقفون أمام البار ويشربون الخمر:

" أهذا هو المكان الذي يقصده كل يوم؟"

لكنها انتظرت بتصميم، كانت قد عزمت على متابعة الأمر حتى النهاية مهما كانت النتيجة وكانت على استعداد للانتظار طوال الليل.

ثم خرج زوجها من الحانة بعد فترة قصيرة واتجه نحو ممر ضيق في أحد الأزقة، وذهب مباشرة للتحدث مع سيدة ضخمة القامة ذات تقاطيع خشنة، وكان بعد أن تبادل معها بضع كلمات قد دخل معها إلى المنزل وأغلقا الباب خلفهما... وكانت السيدة كلينتون قد أدركت بذلك كل شيء وقالت بأسى بالغ وامتعاض:

" كنت مخدوعة به تماماً!..."

كانت ردّة فعلها الأولى أن تطرق الباب بعنف لكي تدخل إلى البيت وتنتزع زوجها من بين ذراعي تلك المرأة الضخمة التي أغوته. لكنها خشيت من أن تستقبلها منافستها بعنف، وكان احتمال الهزيمة قد جعلها تجد أن مثل هذا التصرف لا يليق بسيدة مجتمع محترمة مثلها،

وبذلك عادت أدراجها وخرجت من ذلك الزقاق الضيق وهي تخشى حتى من أن تتلوث أخلاقياُ في مثل ذلك المكان... مشت وهي ترتجف لشدة الغضب ثم صعدت إلى سيارة عامة وتوجهت إلى المحطة لكي تلحق بالقطار المتوجه إلى كامبرويل. كانت عندما وصلت إلى منزلها في شارع أدونيس قد رمت نفسها على أحد المقاعد وهي تلهث وقالت:

" أووه! أووه!

ثم أخذت تستعد لعودة زوجها وهي تحدث نفسها:

" حسناً! سوف نرى عندما سيعود إلى المنزل، سوف نرى..."

وعندما عاد زوجها إلى المنزل قال :

" عزيزتي، أخشى أن أكون قد تأخرت أكثر من المعتاد، وهذا بالفعل فقد تجاوزت الساعة التاسعة."

لكنها أجابته بهزة عنيفة برأسها:

" لا تُكلمني ! أنا على علم تماماً بما كنت فيه."

سألها بلطف " ما الذي تعنيه حبيبتي؟"

قالت باشمئزاز" تتبعتك بعد ظهر اليوم وشاهدتك تدخل إلى منزل تلك المرأة الساقطة. ما الذي تقوله الآن؟ "

وكانت تتحدث بكل ثقة.

قال السيد كلينتون وهو يبتسم " من تكونين بالنسبة إلي أيتها المرأة ؟"

قالت السيدة كلينتون بغضب شديد:

" لا تخاطبني بكلمة " يا امرأة "! أتسأل عما أنا بالنسبة إليك ؟ أنا زوجتك، ولدي في هذه اللحظة في جيبي

وثيقة الزواج."

ثم انتزعت الوثيقة من جيبها بعنف وقالت بعد أن وضعتها أمامه:

" أنا زوجتك، وعليك أن تخجل من نفسك..."

قال " يا امرأة ! أنت لست بالنسبة إلي أكثر من أية امرأة أخرى!"

" ولديك الجرأة أن تقول لي هذا في وجهي ... أووه ... أنت... أنت أيها اللئيم! لن أحتمل هذا ! أقولها لك بأنني

لن أحتمل هذا منك . أعلم أنه لن يكون بإمكاني أن أحصل على الطلاق ... لأن القوانين مُجحفة في

إنكلترا، لكنني سوف أحصل على التفريق عن طريق القضاء... كان علي أن أدرك بأنكم جميعاً متشابهون،

كل منكم يُشبه الآخر في الطريقة التي يتعامل بها مع النساء. كنت قد أنهكت نفسي لأجلك ،

وأنشأت لك أولادك، ولست أدري ما الذي قصّرت فيه، وأنت الآن تتركني لأجل امرأة أخرى. ثم أجهشت في البكاء. ابتسم السيد كلينتون وبدت في عينيه نظرة غريبة ثم قال:

" أنت لا تُدركين عما تتحدثين عنه !"

توجه نحو زوجته ووضع يده على كتفها وقال:

" جففي دموعك وسوف أعلمك بكل شيء."

نظرت إليه السيدة كلينتون بغضب ثم دفنت وجهها في منديلها . لكنه استدار دون أن يلفت إليها ووقف أمام المرآة وبدأ يتحدث إليها وهو ينظر إلى نفسه بتجهم:

" كنت أثنا مرضي قد فتحت عيني على الواقع . وكنت وأنا ممدداّ على سريري أفكر طوال تلك الساعات الطوال بأولئك الفقراء البؤساء الذين سمعت قصتهم في محكمة التحقيق في الوفيات المشتبه بها. وكنت طوال الليل أشاهد أمامي تلك الوجوه... فكرّت بشقاء وببؤس البشرية وبقسوة قلوب البشر...

ثم اتقد في نفسي شعاع من النور وبذلك عدت إلى الكتاب المقدس، قرأت وقرأت ما ورد فيه وكنت كلما قرأت أكثر يزداد اتقاد ذلك النور في قلبي وبذلك أدركت بأن على المرء ألا يعيش لنفسه فقط.، وبأن هناك شيء آخر في الحياة.، وبأن من واجب المرء أن يساعد الفقراء والمحتاجين.، وقررت أن أبذل كل ما لدي من إمكانية لمساعدة الفقراء والبؤساء والمحتاجين ، عندما سأتماثل للشفاء .، وأنا الآن أطبق هذه المبادئ وفق علمني الكتاب المقدس..."

رفعت السيدة كلينتون رأسها وأجهشت بالبكاء وهي تستمع إلى ما يقوله زوجها باستغراب وتقول " يا للعجب! يا للعجب ! ما الذي يتحدث عنه؟"

استدار السيد كلينتون نحوها ، اقترب منها ووضع يده على كتفها من جديد وقال:

" إيمي ، هذه هي الأمور التي أمضي بها وقتي . أنا أذهب إلى المناطق الفقيرة وإلى الأزقة القذرة وإلى الطرقات الموحلة لكي أحاول إدخال السعادة على قلوب الناس... أنا أحاول مساعدتهم في مِحنهم وأحاول أن أجعلهم يرون ذلك النور المجيد الذي أصبح ينير أمامي الطريق. والآن ليلة سعيدة ! ثم غادر الغرفة.

كانت السيدة كلينتون في اليوم التالي قد اتصلت بالطبيب وحدثته عن تصرفات زوجها الغريبة.

هزّ الطبيب رأسه بتأمل وتمهل ثم ضرب بأصابعه على رأسه وقال:

" حسناً، أعتقد أن عليك الانتظار لبعض الوقت لكي نرى كيف سوف تسير الأمور. كل ما بإمكاني أن أفعله الآن هو أن أكتب لك وصفة ببعض الأدوية عليه أن يتناولها ثلاث مرات في اليوم بعد الوجبات، كما كان قد وصف للسيد كلينتون دواء مهدئاً قد تكون له فائدته ، وإن لم يكن له أي تأثير على ذلك الرجل ،في طمأنة الزوجة إلى حدّ بعيد .

٩

كانت حالة السيد كلينتون في الحقيقة قد ساءت بالفعل. أصبح يتأخر أكثر فأكثر في العودة مساءً إلى المنزل،، وكانت زوجته تتقزز من مظهره القذر الذي يتسبب به تجواله في تلك الأماكن. كان يرفض الاستحمام كما كان أكثر صَمتاً من أي وقت مضى،، وحتى أنه عندما كان يتكلم، كان يتحدث بالعبارات الواردة في الكتاب المقدس فقط. وترتسم دوماً على شفتيه تلك الابتسامة الغامضة، كما كانت تلوح في عينيه دوماً تلك النظرة المُحبطة. كانت السيدة كلينتون تُجبره على تناول الأدوية لكنها كانت فقدت تماماً الثقة في فعاليتها ،عندما عاد السيد كلينتون ذات ليلة في الساعة الثانية عشرة مصطحباً معه رجلاً أشعثاً قذراً ممزق الثياب يبدو متضوراً من الجوع تفوح منه رائحة الشراب. قالت السيدة كلينتون عندما شاهدت ذلك الرجل:

" ما هذا جيم ؟"

قام السيد كلينتون بذلك بواجب التعارف بأن قال:

" هذه إيمي ! وهذا شقيقك إيمي !"

صاحت السيد كلينتون وهي تستشيط غضباً:

" ما الذي تقصده بكلمة شقيقك؟ هذا ليس بشقيقي .ليس لدي أي أشقاء."

كرر السيد كلينتون " هذا شقيك وهو أيضاً شقيقي.، أرجو أن تكوني طيبة معه."

كررت السيدة كلينتون" قلت لك هذا الرجل ليس شقيقي.، توفي شقيقي أدولفوس عندما كان في سن الثانية وكان الشقيق الوحيد لي."

وكان كل ما فعله السيد كلينتون أنه نظر إليها تلك النظرة الوديعة المعتادة.

ثم سألته وهي تستشيط غضباً " لِم اصطحبته إلى المنزل؟"

" إنه يتضور جوعاً، سوف أعطيه البعض من الطعام. وبما أن ليس لديه مأوى فسوف أؤمن له المأوى."

" المأوى؟ أين؟

"هنا في بيتي وفي سريري!"

صاحت السيدة كلينتون " أتقول في سريرك !هذا لن يحدث أبداً... أبداً... "

ثم التفتت إلى الرجل وهي تدفع زوجها بعيداً عنه وقالت:

" هيي.. أنت... اخرج من هنا! لن أستقبل في بيتي الصعاليك المتشردين. اخرج من هنا !"

كانت السيدة كلينتون امرأة قوية البنية شديدة العزم ،أمسكت بعصا زوجها وفتحت الباب وأخذت تلوّح بها لذلك الرجل.

قال السيد كلينتون معترضاً " إيمي! ، إيمي!"

لكن الرجل اندفع بسرعة إلى الباب وكانت السيدة كلينتون قد أصابته بضربة على ظهره وهو في طريقه إلى الباب . وكانت بعد أن أغلقت الباب خلفه بعنف قد عادت إلى غرفة الجلوس وارتمت على أحد المقاعد وهي تلهث...

بعد أن استرد السيد كلينتون رباطة جأشه من وقع المفاجأة قال:

" يا امرأة ! وكانت تلك قد أصبحت طريقته الجديدة في توجيه الحديث إليها؛ ثم بدأ يتحدث بجديّة وحزن وقال:

" رميت شقيقك في الخارج، وبذلك رميت زوجك في الخارج وأنت بذلك قد نبذت نفسك."

قالت السيدة كلينتون بغضب شديد:

" لا تُكلمني ! آن الوقت لذهابك إلى فراشك ، تعال إلى الأعلى."

لكنه أجابها " من الآن وصاعداً لن أذهب مطلقاً إلى غرفتك، رفضت إيواء ذلك الرجل الذي هو ربما أفضل مني، فلِم سيكون علي أن أفعل ذلك ؟ اغربي عن وجهي يا امرأة، اذهبي ودعيني بمفردي."

قالت السيدة كلينتون " لا تبدأ الآن بمحاولة التأثير علي بهذا الأسلوب ، تعال إلى سريرك"

لكن السيد كلينتون أجابها بتصميم:

" قلت لك لن أفعل ذلك، اذهبي واتركيني!"

قالت السيدة كلينتون بغيظ وهي تحمل المصباح:

" حسناً سوف أذهب ولن أترك لك المصباح " ثم غادرت الغرفة وبقي السيد كلينتون في الظلام.

لم تعد السيدة كلينتون تعيش على وفاق تام مع زوجها بعد ذلك .فعلى الرغم من أنه كان يعاملها بأسلوبه اللطيف المعتاد ، لكنه كان يتركها دوماً لكي يمضي الليل على أريكة غرفة الجلوس.

لكن أكثر ما كان يُغيظ السيدة كلينتون هو أن زوجها لم يعد يمنحها كعادته كل يوم سبت المبلغ الأسبوعي الذي كان قد خصّصه لها ،، وكان البرود الذي ساد بينهما قد جعلها تمتنع عن الإشارة إلى ذلك ،، لكن اقتراب يوم دفع القسط الرابع للإيجار كان قد اضطرها إلى الضغط على كرامتها وإلى طلب المال منه.

قالت:

" جيمس !" فلم تعد تناديه جيمي كما كانت تفعل في السابق، "ألن تعطني المال لأجل الإيجار؟"

قال زوجها وهو يبتسم تلك الابتسامة الجوفاء:

"المال؟ ليس لدي أي مال.

" ما الذي تعنيه بذلك؟ لم تكن قد أعطيتني أي مبلغ منذ عشرة أسابيع."

" ذلك لأنني أعطيت المال لمن هم في حاجة إليه أكثر مني."

" لا أظنك تقصد القول بأنك أنفقت كل راتبك على الآخرين؟"

" نعم هذا ما فعلته عزيزتي"

قالت السيدة كلينتون وهي تَصرّ على أسنانها :

" أنت أيها الخَرِف!... بإمكاني أن أفهم إعطاءك ثلاثة بنسات أو ستة بنسات لكن لست أفهم كيف تمنح كامل راتبك للفقراء ! ألم يتبق لديك أي شيء؟"

"لا"

" أنت أيها الأحمق! وهل سيكون عليّ الآن أن أتقبل إنفاقك راتبك بالكامل على المتشردين والكسالى والعاطلين عن العمل ويعلم الله على من أيضاً !"

لم يجب السيد كلينتون. بدأت السيدة تذرع الغرفة جيئة وذهاباً وهي تعتصر يديها.ثم قالت أخيراً :

" اسمع جيمس أنا أعلم بأنه لن يفيد البكاء على اللبن المُراق ولكن عليك منذ اليوم أن تُسلّمني راتبك الشهري فور حصولك عليه . أتسمع ما أقوله؟ أعلمك بأنني لن أحتمل تفاهتك هذه بعد الآن ."

لكن السيد كلينتون قال بهدوء " لن أحصل على أي راتب بعد الآن."

نظرت إليه السيدة كلينتون.، كان هادئا مبتسماً كعادته وأضاف"

" لم أعد أعمل في المكتب"

صاحت" جيمس ! لا تقل بأنك طُردت من العمل ؟"

" أووه. أعلموني بأنني لم أعد أؤدي عملي على الوجه المطلوب .، وبأنني أصبحت مُهملاً أرتكب الأخطاء .، وبأنني لا أتقيد بمواعيد الدوام أتأخر في القدوم وأغادر العمل قبل انتهاء الدوام.، ثم طلبوا مني قبل أمس أن أترك العمل.

كنت قد سهرت إلى جانب رجل مريض، إلى جانب رجل على فراش الموت كان بحاجة إلي.، فكيف سيكون بإمكاني الذهاب إلى المكتب ؟ لكنني في الحقيقة لم أهتم كثيراً بالأمر.، كان العمل في المكتب يُعيقني عما أقوم به من عمل خيري."

قالت السيدة كلينتون " ولكن ما الذي ستفعله الآن؟"

" لدي عملي الذي هو أكثر أهمية بالنسبة إلي من عشرة آلاف مكتب."

" ولكن كيف سيكون بإمكانك كسب عيشك؟ وما الذي سيحل بنا؟"

" أرجوكِ لاداع لأن تزعجيني بمثل هذه الأمور . تعالي واعملي معي في مساعدة الفقراء."

" جيمس فكّر بأولادك."

" ماهو الفارق لدي بين أولادي وبين غيرهم من الأولاد."

" ولكن"

" قلت لك لا تزعجيني بمثل هذه الأمور. أليس لدينا ما يكفي من مال ؟ حتى أن لدينا بعض المدخرات ؟"

ثم غادر الغرفة وترك زوجته في حالة من المعاناة الشديدة.

ولكن ما تلا ذلك كان أسوأ بكثير... ذلك لأن السيد كلينتون كان بعد بضعة أيام قد أعلم زوجته فور عودته إلى المنزل برغبته في التحدث معها حول أمر هام . قال:

" كنت أراجع حساباتي اليوم ووجدت بأنني كنت قد استثمرت مبلغاً يصل إلى السبعمائة جنيه في مختلف أنواع الأسهم."

أجابت زوجته " حمداً لله! فهذا هو الشيء الوحيد الذي سوف يحمينا من الجوع الآن بما أنك لم تعد تفعل شيئاً الآن سوى التسكع بدلاً من أن تعمل مثل أي شخص محترم."

"حسناً ، كنت أفكر... كنت أقرأ في الكتاب المقدس (الإنجيل)، أعطِ كل ما لديك واتبع طريق الهدى..."

قالت السيدة كلينتون بغضب شديد :

" أنا عِلم تام بما قلته ومنذ كنت طفلة."

ثم استمر في القول :

" ثم جاء إلي الوحي وقال لي أن علي أن أمنح كل ما لدي للفقراء... وباختصار، قررت أن أبيع ما لدي من أسهم ومن سندات مالية فقد ارتفع ثمنها الآن وأصبح سبعة أضعاف ثمنها عندما اشتريتها... أنا أعلم بأنه كان استثماراً جيداً لذا سوف أقوم بتحريرها وسوف أستلم المال لكي أنفقه على الفقراء."

انفجرت السيدة كلينتون بالبكاء.

ثم قال لها زوجها على نحو مَهيب:

" لا تبكِ .، فهذا واجبي، كما أنه من الواجبات المُحببة إلي، فكم سوف يُسعدني أن أجلب السعادة لمائة من العائلات الفقيرة. أن أقدم العون لرجل فقير يتضور جوعاً، وأن أجعل الأطفال الصغار الفقراء يتنشقون الهواء الريفي النقي فهم بحاجة ماسة إلى ذلك... من واجبي مساعدة الفقير وإطعام الجائع وإكساء العاري ! آه... أتمنى لو كنت أمتلك مليون من الجنيهات ! ثم فتح ذراعيه ونظر إلى السماء وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة نشوة...

كان الأمر هذه المرة في غاية الأهمية والخطورة وبذلك وجدت السيدة كلينتون بأنه لم يعد هناك أي مجال لإضاعة الوقت بمحاولة مناقشة مع زوجها . أسرعت إلى الطابق العلوي.، ارتدت معطفها وأسرعت بالذهاب إلى صديقهم الطبيب.

عندما سمع الطبيب ما روته له بدت عليه علامات الجدّية أكثر من أي وقت مضى. وقال:

"حسناً ، أعتقد أن الأمر هو بالفعل في غاية الخطورة . لم يسبق لي أن سمعت بمن يتصرف بهذه الطريقة ... كنت عرفت بالطبع بعض الأشخاص الذين كتبوا وصياتهم التي تبرعوا بموجبها بكل ما يمتلكونه من أموال للجمعيات الخيرية بعد وفاتهم ، أي عندما لن يكون لديهم أية حاجة إليها ، ولكن لم يسبق لأي رجل عاقل وبصحة جيدة أن فعل ذلك وهو على قيد الحياة ..."

قالت السيد كلينتون وهي تكاد تفقد صوابها" ولكن ما الذي علي أن أفعله الآن؟؟"

قال الطبيب" حسناً ، سيدة كلينتون ، أعتقد أن عليك طلب مساعدة كاهن الأبرشية. قد يكون بإمكانك أن تطلبي منه التحدث مع زوجك . في الواقع إن ما أصيب به زوجك هو ما يُدعى " بالهوس الديني" لذا قد يستطيع الكاهن أن يشرح له الأمور وأن يقنعه بالإقلاع عن ذلك. يستحق الأمر المحاولة على كافة الأحوال."

توجهت السيدة كلينتون على الفور إلى السيد إيفان (الكاهن) وبعد أن شرحت له الوضع اتفقا على أن يزورهم في اليوم التالي لكي يرى ما الذي سيكون بإمكانه أن يفعله مع زوجها.

١٠

كانت السيدة كلينتون بانتظار قدوم السيد إيفان الكاهن قد رتبت المنزل وارتدت ملابسها وأصلحت زينتها. كان يُقال بأنها امرأة ذات ذوق رفيع وكانت هكذا بالفعل . غلّفت المقاعد بأغطية من قماش قطني مُطبّع ونسقتها بشكل فني ولمّعت القطع الأثرية التي كانت تفخر باقتنائها ،، كما وضعت بعض الزهور النضرة في الأواني الزجاجية ،وكانت بعد أن توقفت للنظر إليها للحظة للتأكد من أن كل شيء على ما يرام قد صعدت إلى الطابق العلوي لاستكمال زينتها... وكانت خلال نصف ساعة قد أنهت جميع الترتيبات وجلست بانتظار قدوم الضيف.

قرع جرس الباب وظهر السيد إيفان.... كان السيد إيفان من الرجال الجادّين المؤمنين. كان يخاف الله ويُنفق الكثير من المال على أعمال الخير، كما كان يشنّ باستمرار حرباً شعواء ضد النساء الفاسقات. خلع السيد إيفان معطفه ووضعه خلف الكرسي ثم جلس وبدأ يفرك يديه.

قالت السيد كلينتون :

" طلبت من زوجي البقاء في المنزل لأنك ترغب الاجتماع به لكنه خرج، لكنه ... وكانت السيدة تختار دوماً الكلمات التي تتلفظ بها بمثل هذه المناسبات ... لكنه وعدني بالعودة في الساعة الرابعة وبإمكاني أن أقول بأنه يفي دوماً بوعده."

" جيد جداً"

" سيد إيفان هل بإمكاني أن أقدم إليك بعض الشاي؟"

قال السيد إيفان وهو يفرك يديه بقوة :

"أووه ، شكراً جزيلاً."

تناولا الشاي معاً وهما يتحدثان عن مختلف الأمور التي تخص أبرشية المنطقة السكنية.، وكانت السيدة كلينتون قد حاولت بحكمة أن تمتدح السيد إيفان وأن تشغل وقته لحين قدوم زوجها.

وعندما وصل السيد كلينتون أخيراً كانت زوجته قد تسللت من الغرفة لكي تُفسح المجال للكاهن لمحاولة إعادته إلى صوابه.

قال الكاهن بعد فترة قصيرة من الصمت :

" حسناً سيد كلينتون ، جئت لكي أتحدث إليك حول وضعك... أعلمتني زوجتك بأنك تبنيت بعض وجهات النظر الغريبة حول الأمور الدينية.، وهي ترغب بأن أتحدث إليك وأناقشك حولها."

أجاب السيد كلينتون" أنت رجل دين . وأنا في خدمتك."

كان السيد إيفان من النوع الذي لا يؤيّد استخدام أسلوب المخاطبة بالألقاب الدينية خارج الكنيسة وكان يجد ذلك في غير محله ،لكنه لم يُعلق على الأمر وإنما قال:

" حسناً سيد كلينتون . التدين من الأمور الجيدة جداً بالطبع، كما أنه أفضل شيء في هذه الحياة.، لكن لا يجوز أن يُسيء المرء استخدامه.، ثم كرّر العبارة الأخيرة بكل وقار، كما لو أن الشخص الذي يتحدث إليه لم يكن أكثر من طالب سيء السلوك ، لا يجوز أن يُساء استخدامه ولا أن يُبالغ المرء فيه. بودي الآن أن أعرف وجهة نظرك في هذا الأمر."

ابتسم السيد كلينتون بلطف وأجاب :

" سيدي ، ليست لدي أية وجهات نظر محددة . القاعدة الوحيدة التي تُوجهني الآن هي " أحب لجارك ما تحبه لنفسك.."

همهم الكاهن، فلم يكن هناك في الحقيقة أي مجال للشك في ذلك، لكنه كان في الواقع مُتحيزاً بعض الشيء ضد الرجل الذي استشهد بتلك الفقرة.، كان في ذلك بعض التزمّت. وبذلك قال:

لكن زوجتك تقول بأنك تتسكع مع العديد من الأشخاص الشاذين؟"

" بل كنت قد وجدت الكثير من الشقاء والتعاسة بين الناس وبذلك حاولت أن أساعدهم وأن أخفف عنهم."

" أنا أؤيدك تماماً بالطبع في زيارة الأشخاص الذين يحتاجون إلى المساعدة ،، وأنا بالذات أقوم بالكثير من مثل هذه الزيارات،، لكنك على ما يبدو كنت تتسكع مع من يتسكعون في الحانات ومع النساء الساقطات."

"لمكنت قد عبّرت جيداً عما أقصده فأنا لم أصل بعد إلى زيارة جميع لأشخاص الصالحين وإنما أنا أزور الخاطئين والآثمين لكي أساعدهم على التوبة ؟"

أجاب السيد إيفان وقد قطب حاجبيه قليلاً :

" لا أشك في ذلك ولكن بكل وضوح وبساطة ليس على المرء أن يفعل ذلك إلى الحدّ الذي يجعله يُطرد من عمله.

" يبدو أن زوجتي قد أطلعتك جيداً على كل أموري الشخصية."

"حسناً، أعتقد بأنك لم تفعل جيداً بأن تسببت في طردك من عملك."

"أعتبر هذا كما يقال " تخلى عن كل شيء واتبعني..."

كان ذلك بالتأكيد مثلاً سيئاً مما جعل السيد إيفان يزم شفتيه ويرفع حاجبيه بدهشة ويصمت. حدث نفسه "هذا الشخص أسوأ بكثير ممن هم من أنصاف المثقفين، فهم يتمسكون بفكرة لا يفهمون مغزاها وبذلك هم يرتكبون الكثير من الحماقات..."

ثم أضاف بصوت أعلى" حسناً، دعنا نترك كل هذا ولنتحدث عن الأهم. يبدو أنك تنفق أموالك على أولائك الأشخاص إلى الحدّ الذي جعل زوجتك وأولادك يُعانون من ذلك."

قال السيد كلينتون وهو يُحدّق في عيني الكاهن:

" كنت بذلك قد أطعمت الجائعين، وكسوت العراة وسقيت العطشى."

" نعم، نعم، نعم، هذا كله جيّد جداً، لكن عليك أن تتذكر دوماً بأن الإحسان يبدأ ممن هم في منزل المرء... لن يكون علي أن أعترض على قيام رجل أي ثري يقوم بمثل هذه الأمور، لكن من المؤكد أن من الخطر بالنسبة إليك أن تقوم بذلك. أعلمتنين زوجتك أعلمتني بأن الأمر وصل بك مؤخراً إلى أن تقوم باسترداد جميع ما ادخرته من أموال لكي تمنحها للآخرين.

قال السيد كلينتون" هذا صحيح تماماً."

كان ذهن السيد إيفان في غاية التقى والورع والصدق مما يحول دون أن تخطر بباله أية فكرة سيئة ،، وكان أي رجل شرير آخر في مكانه لابدّ أن يقول أن السيد كلينتون عبارة عن شخص مخبول تماماً.

لكنه سأله تأكيداً على ذلك :

" حسناً، ألا تُدرك بأن ما تفعله في غاية السخف وبأنه أمر لم يسبق أن سمع به أحد؟"

قال السيد كلينتون:

" قم ببيع كل ما لديك ووزعه على الفقراء... هذا ما قاله القديس سان لوك ألا تذكر ذلك؟"

" أنا أعرف ذلك بالطبع ولكن من الطبيعي ألا يتم تطبيق مثل هذه الأمور بشكل حرفي."

" هذا ما ورد تماماً في الكتاب المقدس فلِم تقول بأنه ليس من المطلوب أن يتم العمل به بشكل حرفي؟"

هزّ السيد إيفان كتفيه وقد نفذ صبره.

" حقاً ، ألا ترى بأن هذا من المستحيل؟. لايمكن أن يستمر الكون بهذا الشكل... فكيف بإمكانك أن تتوقع أن يعيش أولادك لو أنك تبرعت بكل ما لديك من أموال.؟"

ابتسم السيد كلينتون بنوع من الشفقة على الكاهن .

وتابع السيد إيفان حديثه:

" فكّر بنفسك ...على المرء أن يفكر بنفسه، لأن الله (عزّ وجلّ) يساعد من يساعدون أنفسهم. كيف سيكون بإمكانك أن تعيش عندما ستخسر القليل مما تبقى من أموالك؟ ببساطة لن يكون أمامك سوى تذهب إلى الملجأ... لذا علي أن أقول لك بأن ما تفعله من السخف."

لم يعد السيد كلينتون يلتفت إلى الكاهن وإنما بدأ يُنشد ما ورد في الكتاب المقدس:

"لا تعتمدوا على ثرواتكم في الأرض.، فتلك الثروات سوف تفنى بالصدأ والعتّ ، وسوف يستولي عليها اللصوص .، ولكن اعتمدوا على ثرواتكم في الجنان حيث لايوجد صدأ ولا لصوص..." ثم استدار إلى الكاهن البائس مدّ يده وأشار إليه بإصبعه وقال:

" كنت قد سمعتك يوم الأحد الماضي تقرأ هذه الكلمات في الكنيسة. اخرج من هنا !... أريدك أن تخرج من هنا !... أنت رجل فاسق... أنت ذئب في ثياب خروف... اخرج !. ثم بدأ يتوجه نحوه مّهدداً ،مما جعل السيد إيفان يُسارع في الخروج وهو في غاية السخط.

وكان عندما شاهد السيدة كلينتون في الخارج قد قال لها بغضب شديد :

" ليس بإمكاني أن أفعل شيئاً على الإطلاق. لم يسبق أن سمعت بمثل هذه الحماقات. لابد أن زوجك إما يكون مجنوناً أو أنه وقع بين براثن المُنشقين.، وهذا كل ما بإمكاني أن أقدمه إليك من تفسير."

١١

وصلت السيدة كلينتون بذلك إلى الحدّ وفقدت صوابها.، كان زوجها قد باع جميع ما يمتلكه من الأسهم ومن سندات مالية وبذلك أصبحت الأموال في المصرف بانتظار تسليمها لمن خصصّها لهم...

بدأت تُشاهد بمخيلتها الإفلاس الذي أصبح وشيكاً. شاهدت بمخيلتها جميع الأمور السيئة التي سوف تحلّ بعائلتها... شاهدت كيف سيتم بيع منزلها ثم أثاث منزلها أمام عينيها... وشاهدت أولادها وقد أضحوا في الحضيض... وشاهدت نفسها وقد اضطر إلى العمل لكي تكسب عيشها إما في الحياكة أوفي التمريض... وبذلك كانت قد ذهبت على الفور إلى الطبيب وروت له كيف أخفقت خطتهما لإنقاذ زوجها.

قال الطبيب حينئذ:

" سيدة كلينتون، الحقيقة أنني وصلت مع زوجك إلى الحدّ النهائي.، ولست أدري بالفعل ما علي أن أفعله لأجله. الشيء الوحيد الذي بإمكاني أن أقترحه عليك الآن هو إحالته إلى أخصائي بالأمراض العقلية لفحص مَلكاته العقلانية. وأنا أعتقد بالفعل بأن هناك أذيّة ما في عقله ، وقد يكون من الأفضل لصالحك ولصالحه أن يكون قيد الاحتجاز."

أجابت السيدة كلينتون وقد بدأت تبكي :

"حسناً دكتور، أنا لا أرغب بالطبع أن يتم أن يتم وضعه قيد الاحتجاز.، فهذا أمر رهيب ولن أشعر مطلقاً بلحظة من السكينة ولآخر حياتي لو تم ذلك ، لكن أرجوك بحق الله أن تجعل الأمر يتم قبل أن تضيع الأموال.، ثم بدأت تنتحب بشدة.

أعلمها الطبيب بأنه سيكتب على الفور تقريراً لأحد الأخصائيين لكي تتم دراسة حالة زوجها من قبل لجنة طبية مختصة في اليوم التالي.

وبذلك كانت السيدة كلينتون في اليوم التالي قد استعدت لاستقبال الطبيب الأخصائي، وارتدت ثوبها الحريري الأسود .

جاء الطبيب المختص . كان طويل القامة مُهمل المظهر يبدو وكأنه استيقظ للتو من النوم. لكنه كان ذكياً جداً وكان بذات الوقت قليل الصبر مع الأشخاص البُلهاء، وكان نادراً ما يجتمع بشخص ما دون أن يجده بشكل أو بآخر في غاية الغباء.

كان السيد كلينتون كما فعل سابقاً قد خرج من المنزل لكن السيدة كلينتون فعلت ما بوسعها لتسلية الطبيب المختص الذي كان يتحدث دون توقف رغم أنه بذات الوقت عديم الصبر إلى حدّ كبير تجاه أحاديث الآخرين.

كان من عادته أن يقول:

" لِم لا يفهم الناس بحق الله بأن من الأفضل لهم أن ينتبهوا لما يقولونه ؟"

ثم بدأ على الفور بالتفوّه بسيل من الكلمات التي تُدعم وتُفسر الأمر وهو يعطي الأمثلة عن تلك الحقيقة.

قالت السيدة كلينتون بلطف:

" لابد أنك تشاهد الكثير من الحالات الغريبة."

أجاب المختص" نعم هذا بالفعل"

ثم قالت" أعتقد بأن من الممتع أن يكون الشخص طبيباً."

"نعم. نعم."

"لآبد أنك تشاهد الكثير من الحالات الغريبة."

كرّر الطبيب المختص وهو يقطب حاجبيه وينقل نظره من جهة لأخرى :

"نعم، نعم، " ثم سأل بتوتر " ولكن متى سيأتي ذلك الرجل؟"

لكنه لم يعد يتمكن من تمالك نفسه وقال أخيراً :

" سيدة كلينتون ، بودي أن أتحدث مع طبيبه على انفراد ، إن لم تمانعي في ذلك .، بإمكانك الانتظار في الغرفة المجاورة."

قالت السيدة كلينتون وهي تنهض من مقعدها:

" من المؤكد أنني لا أرغب بالتدخل في الأمر. رغم أنها وجدت بأن طريقة تصرف الطبيب المختص في غاية الغرابة. وكانت عندما روت لإحدى صديقاتها ذلك فيما بعد قد قالت " لكنه عبقري بالطبع، لا مجال للشك في ذلك، والعباقرة هم دوماً من غريبي الأطوار."

بعد أن انسحبت السيدة كلينتون كان الطبيب المختص قد سارع بالقول وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه:

" امرأة لا تُحتمل بالفعل، اعتقدت بأنها سوف تستمر بالحديث طوال الليل... بإمكان مثل هذه المرأة أن تتسبب لأي رجل بالجنون... لم لا يأت ذلك الرجل بحق الله ؟ هو بالطبع مثله مثل غيره من الناس الذين لا يعرفون قيمة الوقت. أتوقع أن تكون هذه المرأة من النوع المعتاد على تعاطي المُسكرات.، هذا مثير للاشمئزاز كيف بإمكان النساء أن يفعلن ذلك ! وكان وهو يتكلم قد نظر إلى ساعته للمرة الثامنة خلال عشر دقائق.

عندما ظهر السيد كلينتون أخيراً قال له :

" حسناً أيها الرجل ما الذي تشكو منه؟ ثم أضاف بينما كان السيد كلينتون على وشك الإجابة على سؤاله :

" انتظر دقيقة" ثم فتح دفتره وقال " أنا على استعداد الآن . ماالذي تشكو منه؟"

أجاب السيد كلينتون بابتسامة " ما أشكو منه هو أن هذا العالم يفتقر إلى التعاضد."

رفع المختص حاجبيه وبعد أن تبادل مع طبيب العائلة نظرة ذات مَغزى، قال دون أن يلتفت إلى السيد كلينتون:

" من المدهش أن يكون بإمكانه أن يفهم مثل هذا السؤال المباشر، بعض الأشخاص يتخبطون لساعات لفهم السؤال.، ولكن أترى بإمكاني بسؤال واحد أن أصل إلى تسلسل أفكاره. ثم التفت إلى المريض من جديد وقال:

" هل هناك ما تتخيّله من بعض الأشياء ؟"

"بالطبع أنا أشاهدك أمامي."

قال الطبيب المختص بتوتر:

" لم أقصد ذلك " ثم التفت إلى زميله وقال " أتعلم، إنه مخبول تماماً ".

ثم أعاد السؤال " هل تشاهد الأشياء التي لا يُشاهدها الآخرون ؟"

أجاب السيد كلينتون " نعم ! مع الأسف. أشاهد الحمقى يختالون على ظهور جيادهم."

سجل الطبيب الملاحظة وسأله من جديد " أهذا ما تُشاهده بالفعل ؟ وهل هناك أية أشياء أخرى؟"

" أشاهد الشرور والآثام تضرب الأرض بأجنحتها."

سجل الطبيب الملاحظة.

" أشاهد البؤس والشقاء والأسى في كل مكان ."

قال الطبيب لزميله " يبدو أن لديه بالفعل بعض التهيؤات " ثم سأله:

" هل تعتقد بأن زوجتك تضع لك بعض الأشياء في الشاي الذي تتناوله؟"

" نعم"

هتف الطبيب بسرور " أه! هذا ما أردت الوصول إليه!. هل تعتقد أن الناس يحاولون تسميمك. ما الذي يضعونه في الشاي؟"

أجاب السيد كلينتون " حليب وسكر."

قال المختص لزميله بصوت خافت " عقلية بليدة جداً . أعتقد بأنه لاحاجة للدخول في المزيد من التفاصيل. ليس هناك أي شك في ذلك ... فتلك النظرة الغريبة في عينيه، وتلك الابتسامة ذات الطابع الخاص المميّز، جميعها من النقاط الواضحة التي تشير إلى الجنون، هذا بالإضافة إلى تلك الفكرة المنافية للعقل بأن يمنح أمواله للفقراء! ... سمعت سابقاً بأشخاص يستولون على أموال الفقراء. ولايوجد في ذلك ما يُشير إلى الجنون... لكن الأمر الآخر هو بحد ذاته هو من الجنون... كما أن هناك أيضاً تقريرك عن تصرفاته الأخرى وبأنه يوزع المثلجات على الأطفال. المثلجات من الأشياء الضارة وعلى الدولة أن تمنعها !.. وهذه بالذات فكرة في غاية الغرابة ، بأن يحاول إصلاح العالم بالمثلجات!.هذا جنون مُحقق .حسناً ، حسناً ، علي أن أغادر الآن."

وضع قبعته على رأسه وهو لايزال يتكلم وحتى أنه كان قد استمر في حديثه وهو ينزل السلالم إلى أن خرج من المنزل.

لكن طبيب العائلة لم يكن قد غادر لكي يتحدث مع السيدة كلينتون ، وقال لها:

" نعم ، الأمر كما شخّصته تماماً . ليس بالشخص المسؤول عن تصرفاته . أعتقد أنه أصيب بالجنون من بداية مرضه. فعندما يفكر المرء بالأسلوب الذي تصرّف به منذ ذلك الوقت.، بأن يتصل بالناس لكي يحاول إصلاحهم ، وتلك الأفكار حول إطعام وإكساء العراة والفقراء، وأن يرغب أخيراً بمنح كل ما لديه من أموال للفقراء . كل تلك من النقاط التي تُشير إلى ذهن مُشوّش تماماً."

تنهدت السيدة كلينتون بعمق وسألته "برأيك ما هو الشيء الأفضل الذي علينا أن نلجأ إليه الآن؟ "

أجاب الطبيب:

" آسف جداً سيدة كلينتون ، لكن في الحقيقة .، لابد أن الأمر سيكون بالطبع صدمة كبيرة بالنسبة إليك.، لكنني في الواقع أرى بأن من الأفضل اتخاذ الترتيبات لوضعه قيد الاحتجاز."

بدأت السيدة كلينتون تبكي ونظر إليها الطبيب بتعاطف .

ثم قالت أخيراً :

" آه، حسناً ، إن كان هذا ما يجب أن يتم فأنا أرى أن من الأفضل أن يتم هذا الأمر على الفور لكي يكون بإمكاني على الأقل أن أنقذ المبلغ . وكانت بذلك قد جففت دموعها...

ملاحظة : المَغزى الأخلاقي من هذه القصة بسيط جداً، ولاحاجة للمزيد من التوضيح...

THE OUTSTATION

الموقع النائي

للكاتب سومرست موجهام

وصل المساعد الجديد بعد الظهيرة. وعندما السيد واربورتون، المُفوّض المقيم في الموقع، بأن المركب كان على مرأى النظر وضع قبعته الفلّينية الواقية من الشمس، وتوجّه على الفور إلى محطة رسوّ السفن (في الميناء). وكان الحرس الثمانية الذين هم من الجنود "الدياك" الصغار قد وقفوا بوضعية الاستعداد. لاحظ واربورتون بارتياح بأن وقفتهم وقفة عسكرية، وبأن ملابسهم نظيفة وأنيقة، وبأن بنادقهم تلمع. وهم بذلك موضع فخر يُنسب إليه... وقف السيد واربورتون ينتظر في محطة الوصول إلى جانب منعطف النهر الذي سوف يندفع حوله المركب خلال لحظة. كان يبدو أنيقاً جداً بلباسه القطني النظيف وبحذائه الأبيض. وكان يحمل تحت ذراعه عصاً ذات رأس مُذهّب من مالاكا كانت قد وهبت له من سلطان البيراك...

لكن السيد واربورتون كان بانتظار القادم الجديد بمزيج من المشاعر. كان هناك مزيد من العمل في المنطقة، بحيث لم يعد بإمكان رجل واحد أن يقوم به على الوجه المطلوب. كما لم يكن من المناسب أن يترك الموقع، خلال جولاته في البلدة التي كانت تحت وصايته، بين يدي أحد الكتاب المواطنين. إلا أنه ولفترة طويلة جداً كان الرجل الأبيض الوحيد في المنطقة، بحيث لم يكن من السهل عليه أن يواجه وصول شخص آخر دون هاجس. كان معتاداً على الوحدة. فلم يكن طوال فترة الحرب، ولمدة ثلاث سنوات، قد اجتمع بأي شخص انكليزي.

كان عندما طُلب منه ذات مرّة أن يستقبل موظفاً في علم الغابات قد أصيب بالهلع، وعندما كان ذلك الغريب على وشك الوصول، كان بعد أن أعدّ كل ما يلزم لاستقباله، قد كتب له ملاحظة صغيرة قال فيها بأن عليه أن يذهب في جولة إلى ما وراء النهر، ثم هرب ومكث بعيداً إلى أن تم إعلامه بواسطة أحد المراسلين أن ضيفه غادر الموقع.

ظهر المركب الآن في قناة مرفأ الوصول الواسعة. كان مُحتشداً بالسجناء، "الدياك" المحكومين بمختلف أنواع الجرائم، وكانت مجموعة من الحراس الأقوياء بانتظار مرافقتهم إلى السجن . لدى وصول المركب إلى طرف النهر، ظهر رجل من تحت المظلة ونزل إلى الشاطئ. قدّم الحارس حينئذ تحية السلاح.

قال الرجل " ها نحن هنا أخيراً !، بحق الله، لقد تشنجت عضلاتي. أحضرت لك معي بريدك." وكان يتكلم بكثير من المرح.

مدّ السيد واربورتون يده نحوه بتهذيب. وقال "أعتقد أنك السيد كوبر؟"

"هذا صحيح، هل كنت تتوقع أي شخص آخر؟"

كان في ذلك السؤال نيّة المزاح، لكن المفوّض المقيم لم يبتسم ثم قال: "اسمي واربورتون. سأرافقك إلى مكان إقامتك. وسيجلبون لك أمتعتك."

ثم تقدّم برفقة كوبر في الطريق الضيق، إلى أن دخلا إلى مُجمّع سكني كان فيه "بنغال" صغير (مسكن من طابق واحد).

قال واربورتون " حاولت أن أجعله صالحاً للسكن بقدر ما كان بإمكاني ذلك، ولكن لم يسبق أن أقام فيه أحد بالطبع لعدد لا بأس به من السنوات."

كان البنغال مَبنياً على دعامات، وكان يتألف من غرفة جلوس طويلة تُطلّ على شرفة عريضة، وكانت هناك

في الخلف، غرفتا نوم من كل جانب من الممر

قال كوبر " سوف يُناسبني."

"أعتقد بأنك ترغب في الاستحمام وفي تغيير ملابسك. وسوف يسعدني جداً أن تتناول معي العشاء الليلة. هل تُناسبك الساعة الثامنة؟"

" سوف تناسبني أية ساعة تحدّدها."

ابتسم واربورتون ببعض الارتباك ابتسامة مهذبة ، ثم انسحب وعاد إلى الحصن حيث كانت إقامته.

لم يكن انطباعه عن السيد ألان كوبر مُرضياً جداً، إلا أنه كان رجلاً مُنصفاً، وكان يعلم بأنه ليس من العدل تكوين فكرة عن أي شخص بمجرد تلك اللمحة السريعة...

بدا كوبر في حوالي الثلاثين. كان طويل القامة، نحيل الجسم، له وجه شاحب ليس فيه نقطة واحدة من اللون.، كان وجهه بكامله بطابع واحد ، كان له أنف ضخم معقوف وعينان زرقاوان. كان لدى دخوله إلى "البنغال" قد خلع قبعته الفلّينية ورماها للخادم ، وبذلك لاحظ واربورتون بأن لكوبر جمجمة كبيرة مُغطاة بشعر بني قصير، تتباين بعض الشيء مع ذقنه النحيلة الصغيرة. كان يرتدي بنطالاً قصيراً وقميصاً من اللون الكاكي (اللون الأسمر الذي يميل إلى الصفرة) لكن ملابسه كانت جميعها رثّة ومُلوّثة، وكانت قبعته الفلينية البالية تبدو وكأنها لم تُنظف منذ أيام. فكّر السيد واربورتون " يبدو هذا الشاب وكأنه أمضى أسبوعاً على متن سفينة بخارية، أو أنه كان قد أمضى الثماني والأربعين ساعة الماضية مُستلقياً في أسفل المركب.

ثم حدّث نفسه من جديد "سوف نرى كيف سيبدو عندما سيأتي لتناول العشاء."

ذهب واربورتون إلى غرفته حيث تم ترتيب أمتعته بشكل أنيق، كما لو كان لديه خادماً انكليزياً خاصاً به. خلع ملابسه، ونزل السلالم إلى الطابق السفلي حيث كان حمام المنزل، وأغرق نفسه بالماء البارد...

وكان التنازل الوحيد الذي قام به واربورتون لذلك الجو الحار ، هو أن ارتدى سترة رسمية بيضاء، لكنه كان من ناحية أخرى، قد ارتدى قميصاً نظيفاً بباقة عالية وجواربا حريرية وحذاءً من الجلد الأصلي، وكان بذلك قد ارتدى ملابسه بشكل رسمي كما لو أنه كان سيتناول العشاء في ناديه في "بول مول"...

وبصفته مُضيفاً حريصاً، كان قد ذهب بعد ذلك إلى غرفة الطعام لكي يتأكد من أن مائدة الطعام قد أعدّت بالشكل اللائق. كانت الغرفة مُشرقة بنباتات السحلبية اليانعة، كانت الأواني الفضية لامعة، والمناديل مَطوية بأشكال مُتقنة. وكانت الشموع المُحتجبة داخل شمعدانات الفضة تنشر ضوءاً هادئاً. ابتسم واربورتون تعبيراً عن استحسانه، وعاد إلى غرفة الجلوس لكي ينتظر قدوم ضيفه.

ظهر كوبر الآن، كان لايزال مرتدياً بنطاله الكاكي القصير وقميصه الكاكي وتلك السترة الرثّة التي وصل بها. جَمُدت ابتسامة الترحيب على وجه واربورتون .

قال كوبر "مرحباً، أرى أنك ارتديت ملابسك الرسمية، لم أكن أعلم أنك ستفعل ذلك، كنت على وشك ارتداء سارونغ (لباس مالاوي)."

"لا أهمية لذلك على الإطلاق، أستطيع القول أن خَدَمك كانوا مُنشغلين عنك."

"أتعلم، لا داعِ لأن ترتدي هذه الملابس الرسمية لأجلي."

"لم أفعل ذلك لأجلك، فأنا أرتدي الملابس الرسمية دوماً لأجل العشاء."

"حتى عندما تكون بمفردك؟"

أجاب السيد واربورتون وهو يُحدّق بضيفه ببرود " وعلى الأخصّ عندما أكون بمفردي."

وكان السيد واربورتون قد شاهد وميض لهوٍ في عيني كوبر، واصطبغ وجهه بحمرة الغضب. كان السيد واربورتون رجلاً حادّ المزاج، وبإمكان المرء أن يلحظ ذلك من وجهه الأحمر، ومن تقاطيعه التي توحي بالمشاكسة، ومن شعره الأحمر الذي كان قد بدأ يخطّه الشيب، وعينيه الزرقاوين الباردتين برود التسلّط، المتفحّصتين اللتين يمكن أن تومضا فجأة بالغضب.

لكن السيد واربورتون كان مع ذلك رجلاً عصرياً وكان يعمل على أن يكون دوماً كذلك. لذا كان عليه أن يبذل كل ما بوسعه للتأقلم مع هذا الشخص.

وقال "عندما كنت أعيش في لندن، كنت أتردّد على الأوساط التي تعتبر عدم ارتداء اللباس الرسمي للعشاء كل ليلة، بمثابة عدم الاستحمام كل صباح. ولم أجد أي سبب للتوقف عن مثل هذه العادة الجيّدة عندما جئت إلى بورنيو . لم أكن خلال سنوات الحرب الثلاث قد شاهدت أي رجل من البيض. ومع ذلك فلم يسبق أن أهملت أبداً ارتداء الملابس الرسمية في أية مناسبة كنت فيها بوضع جيّد للقدوم إلى العشاء. لم يمض بعد وقت طويل جداً على وجودك في هذه البلدة، صدّقني، ليست هناك طريقة أفضل من هذه لكي تُحافظ على القدر المناسب من الاعتزاز بالنفس الذي يجب أن يكون لديك، فعندما يستسلم رجل أبيض، ولو كان ذلك بأقل درجة، إلى تأثيرات الجو المحيط به، سوف يفقد بسرعة احترامه لنفسه، وعندما يفقد احترامه لنفسه، فبإمكانك التأكد من أن المواطنين سوف يتوقفون عن احترامهم بعد وقت قصير ."

قال كوبر "حسناً، لو كنت تعتقد بأنني سأرتدي قميصاً بعقدة وبياقة قاسية في هذا الطقس الخانق ، فسوف يؤسفني أن أخيّب ظنك."

قال واربورتون "بإمكانك بالطبع أن ترتدي ما تراه مناسباً عندما تتناول الطعام في بنغالك الخاص، ولكن عندما سوف تُسعدني بتناول العشاء معي، ربما سوف تتوصل إلى الاستنتاج، بأن من التهذيب أن ترتدي اللباس المُعتاد للمجتمع المُتحضّر."

ثم دخل اثنان من الفتيان المالاويين، بالسارونغ والسونغو، ذات الياقات البيضاء والأزرار الذهبية ، كان أحدهما يحمل أحدهما شراب "الجين"، كما يحمل الثاني صينية كانت فيها بعض أطباق الزيتون وسمك البلم الصغير. ثم بدأ الاثنان يتناولان العشاء. كان واربورتون يُطري على نفسه بأن لديه أفضل طباخ، طباخ صيني وفي بورنيو بالذات، وبأنه تكبّد الكثير من العناء في الحصول على مثل هذا الطعام الجيّد بقدر ما كان ذلك ممكناً في مثل هذه الظروف الصعبة، وبأنه بذل الكثير من الجهد في الحصول على الأفضل بما لديه من مواد.

ثم قال لكوبر وهو يناوله لائحة الطعام "هل ترغب في الإطلاع على لائحة الطعام؟"

كانت اللائحة مكتوبة باللغة الفرنسية وكان للوجبات أسماء رنّانة.، وكان اثنان من الخدم يقومان على خدمتهما .، وفي ذات الوقت كان اثنان آخران يَذريان بمراوح ضخمة في زوايا متعاكسة من الغرفة، لكي يُحركان الهواء الشديد الرطوبة. كان الطعام سخياً وكانت الشمبانيا ممتازة.

وبذلك سأله كوبر "أهذا ما تفعله لنفسك يومياً؟"

نظر واربورتون دون اكتراث إلى لائحة الطعام وقال :

"لم ألحظ بأن في هذا العشاء ما يختلف عن المعتاد. أنا شخصياً أتناول القليل جداً من الطعام، لكنني أحرص على أن يتم تقديم وجبة عشاء مناسبة لي كل ليلة.، ففي ذلك ما يشغل وقت الطباخ كما أنه انضباط جيّد للخدم."

ثم استمر الحديث بينهما ولكن بصعوبة. كان السيد واربورتون دمثاً بحِنكة، وربما كان ذلك لأنه وجد بعض التسلية الماكرة في الحرج الذي كان يتسبب به أحياناً لزميله. كان كوبر قد أمضى بضعة أشهر في "سيمبولو" وكانت استفسارات واربورتون منه عن بعض أصدقائه في كوالا سولار قد بدأت تُنهك قواه.

سأله " بالمناسبة، هل كنت قد التقيت شخصاً يُدعى هينيرلي؟ أعتقد أنه ترك الخدمة هناك من فترة قريبة؟"

"أووه، نعم، هو الآن في الشرطة، هو شخص نصّاب فاسد."

"لم أكن أتوقّع أن يكون كذلك. لأن عمه اللورد باراكلوج صديقي، وقد وصلتني يوم أمس فقط رسالة من الليدي باراكلوج تطلب فيها مني الاهتمام به."

"كنت سمعت بأن له صلّة قرابة بشخص أو بآخر، وأعتقد بأنه حصل على عمله بواسطة ذلك الشخص، كما أن كان سابقاً في إيتن وأكسفورد، وأعتقد بأنه لم يُغفل إعلامك بذلك."

قال واربورتون "أنت تُدهشني، فكل عائلته كانت في إيتن وأكسفورد ومن مئات السنين، كان علي أن أتوقّع أن يعتبر ذلك من الأمور البديهية."

"أعتقد بأنه مُتصلّف (مُتكبّر) وخبيث."

"أين تابعت دراستك؟"

"ولدت في باربادوس، وتلقيت تعليمي هناك."

"أووه، أنا أفهم!.."

كان السيد واربورتون قد حاول أن يُضمّن إجابته المختصرة تلك أكبر قدر ممكن من الإساءة إلى كوبر.

احمر وجه كوبر وظلّ صامتاً للحظة.

استمر السيد واربورتون في حديثه " كنت قد تلقيّت رسالتين أو ثلاث من كوالا سولا ر وكان انطباعي بأن السيد هنيرلي من الأشخاص الناجحين جداً. يقولون بأنه رياضي من المرتبة الأولى."

"أووه، نعم، هو ذو شهرة جداً في ذلك لأنه تماماً من النوع الذي يمكن أن يحبه أهالي كوالا سولا ر. أنا لست ممن يهتمون كثيراً بالرياضي المتميّز، فما هي الأهمية على المدى البعيد بأن يكون بإمكان الرجل أن يلعب لعبة الغولف أو التنس بشكل أفضل من الآخرين؟ ومن الذي يهتم إن كان بإمكانه أن يُصيب خمس وسبعين في لعبة البيلياردو؟ الحقيقة أنهم في انكلترا يولون أهمية أكثر من اللازم لمثل هذه الأمور."

"هل تعتقد ذلك؟ كان لدي انطباع بأن الرجل الرياضي المتميّز كان قد ظهر من الحرب وبأنه ليس أسوأ من أي شخص آخر."

"أووه، إن كنت ستتحدث عن الحرب فأنا الشخص الذي يعلم جيّداً عما أتحدث عنه. كنت في ذات الفوج الذي كان فيه هينرلي، وأستطيع أن أقول لك بأنه لم يكن بإمكان الرجال احتماله وبأي ثمن."

"وكيف عرفت ذلك؟"

"لأنني كنت أحد أولائك الرجال."

"أووه، أعتقد أنك لم تكن قد حصلت على رتبة عسكرية."

"كانت لدي فرصة كبيرة في الحصول على الرتبة.،إلا أنني كنت ما أستطيع تسميته من "سكان المستعمرات".، ولأنني لم أكن قد تلقيت تعليمي في مدرسة حكومية، لم يكن لدي أي نفوذ، لذا كنت طوال الوقت في الرتب الأخيرة."

وكان كوبر قد قطب حاجبيه. كان يبدو وكأنه كان يجد صعوبة في منع نفسه من الانفجار بعنف وبأن يُهينه.

رقبه السيد واربورتون، ضاقت عيناه الزرقاوان الصغيرتان ،كان بذلك قد كوّن فكرته عنه.

ثم بدأ السيد واربورتون يتحدث مع كوبر عن العمل المطلوب منه، مُغيّراً بذلك مجرى الحديث. وعندما دقّت الساعة العاشرة كان قد نهض وقال :

"حسناً، لن أستبقيك أكثر من ذلك، أعتقد بأنك تعبت في رحلتك."

بعد أن تصافحا قال كوبر " أتساءل فيما إذا كان بإمكانك أن تجد لي خادماً. فالخادم الذي كان لدي سابقاً تركني عندما كنت في طريقي من ك.س. كان قد حمل أمتعتي الشخصية إلى المركب وكل شيء ثم اختفى.، ولم أتبيّن ذلك إلى أن غادرت المركب."

"سوف أطلب ذلك من رئيس الخدم لدي، لاشك أن بإمكانه العثور على الشخص المناسب لك."

"جيّد، اطلب منه فقط أن يُرسله إلي، ولو أعجبني فسوف أستخدمه."

كان القمر ساطعاً، لذا لم تكن هناك حاجة إلى ضوء المصباح، اتجه كوبر من الموقع إلى بنغاله.

فكّر واربورتون "أتساءل لأي سبب من الأسباب على وجه الأرض، أرسلوا إلي مثل هذا الشخص؟ فلو كان هذا هو نوع الرجل الذي سوف يجعلونه الآن يحصل على فرصة البروز فلست أتوقع الكثير من ذلك."

ثم بدأ يتجوّل في حديقته.

كان الحصن مَبنياً على سفح هضبة وكانت الحديقة تمتد إلى ضفة النهر، وكانت هناك تعريشة (أغصان مُتشابكة) على الضفة، كان من عادة السيد واربورتون المجيء إلى هذا المكان بعد العشاء كي يدخن سيجاره. حيث كان في كثير من الأحيان، يسمع من جانب النهر الذي يتدفّق في الأسفل ، صوت أحد المالاويين الذي جعله جبنه الشديد لا يتجرأ على التحدث في ضوء النهار، أو قد يسمع بعض الأحاديث أو شكوى من أحدهم أو اتهام أو جزء من معلومة أو من تلميح مفيد كان يُهمس به، وهو ما لم يكن قد يتوصل إلى معرفته مطلقاً بالطريق الرسمي..

ألقى السيد واربورتون نفسه بثقل على كرسي طويل من القش. وحدّث نفسه :

"كوبر هذا ! شخص غيور، قليل التهذيب، مغرور، مُتكبّر ومُتعنّت (مُتمسك برأيه)"

لكن توتر السيد واربورتون لم يكن ليصمد أمام جمال ذلك الليل الهادئ. كان الهواء ممتزجاً برائحة لطيفة تنبعث من أزهار شجرة نمت في مدخل التعريشة، وكانت اليراعات تبرق بلون فضي باهت وهي تُرفرف في طيرانها البطيء. وكان القمر قد شقّ القمر طريقه على ضفة النهر الواسع على قدمي عروس سيفا المضيئتين. وفي الضفة الأبعد، كانت ظلال صفوف أشجار التمر تتمايل برفق قُبالة السماء، وبذلك كان السلام قد حلّ في قلب واربورتون.

كان واربورتون غريب الأطوار، وكانت له مسيرة حياة فريدة من نوعها. كان في سن الواحد والعشرين قد ورث ثروة كبيرة (عشرة آلاف جنيه). لكنه عندما غادر أكسفورد، كان قد غرق في حياة اللهو، التي كانت في ذلك الوقت (فهو الآن في الرابعة والخمسين من عمره) أفضل ما قد يُتاح لشاب في مثل سنه ومن عائلة جيّدة. كانت له شقته في شارع ماونت، وكانت له عربة خاصة، ومقصورة (كشك) صيد في يرويكشاير. كان يتردّد على جميع الأماكن التي تجتمع فيها الطبقة الراقية من المجتمع. كان وسيماً، مرحاً، وكريماً،

وبذلك كان من الشخصيات المعروفة في مجتمع لندن في بداية التسعينات.

لم يكن المجتمع في ذلك الوقت قد فقد ألَقه وخصوصيته بعد، ولم تكن الحرب البورمية التي هزّته تخطر بالبال. كما لم يكن هناك من تَوقّع الحربَ العالمية التي حطمته سوى بعض من هم من المتشائمين.، وبذلك لم يكن من غير المبهج أن يكون المرء في ذلك الوقت شاباً وثرياً. كان رفّ موقد واربورتون في ذلك الوقت، مُكتظاً ببطاقات المناصب الرفيعة التي كانت قد عُرضت عليه الواحدة تلو الأخرى.، وكان السيد واربورتون يعرضها بكل رضى.

فهو من النوع النفّاج (الشخص الذي يحب التفاخر ومخالطة من هم من طبقة اجتماعية أعلى) لكنه لم يكن نفّاجاً خجولاً، يشعر بعض الشيء بالخجل من إعجابه بمن هم أفضل منه، كما لم يكن نفّاجاً يُناشد مودة الأشخاص الذين حصلوا على الشهرة في المجال السياسي أو ممن حصلوا على صيت في الفنون، ولا نفّاجاً ينبهر بالأثرياء، وإنما كان ذلك النفّاج الحقيقي المَحض العادي الذي يحب اللوردات كثيراً... كان شديد الحساسية وسريع الغضب، لكنه كان يُفضل أن يُذمّ من شخص من مستوى رفيع من أن يُمتدح من شخص من العامة.

لم يكن اسم السيد واربورتون يَرد كثيراً في بوركيس بيراج، ولكن كان من المدهش أن يشاهد المرء تلك البراعة التي اعتاد أن يُشير بها إلى قرابته البعيدة بالعائلة النبيلة التي ينتمي إليها. لكنه لم يكن يذكر مطلقاً ولا حتى كلمة واحدة عن ذلك الصناعي الشريف في ليفربول، الذي كان قد حصل منه عن طريق والدته على كل تلك الثروة .. وربما كان أكثر ما يُخيفه في الحياة العصرية التي كان يعيشها في "كويس" أو في "أسكوت"، عندما يكون بصحبة إحدى الدوقات وحتى بصحبة من هم من الأمراء، أن يقوم أحد أولائك الأقرباء بالإشارة إلى معرفته بذلك الصناعي...

كانت تلك النقيصة واضحة جداً فيه مما جعله يعرف بها بسرعة. لكن من ناحية أخرى تبذيره في المال من ناحية أخرى كان من شأنه أن يحول دون التسبب له بازدراء من حوله. كان الكبار (الطبقة العليا) الذين يهيم بهم يسخرون منه، إلا أنهم كانوا في أعماقهم يشعرون بأن افتتان واربورتون بهم لا يُعتبر من الأمور التي تدعو للاستغراب. صحيح أن واربورتون المسكين كان بالطبع، وبشكل مخيف، من الأشخاص النفّاجين، إلا أنه كان على كافة الأحوال من الأشخاص الجيّدين.

كان دوماً على استعداد لأن يُظهّر شيكاً لصالح نبيل مُعدم. ولو صادف أن كنت في وضع مالي حرج، فبإمكانك دوماً أن تعتمد عليه في الحصول على مئة جنيه. كان يُقيم حفلات عشاء جيّدة.، وكان يلعب الورق بشكل سيء، لكنه لم يكن يهتم على الإطلاق بمقدار ما يخسره من أموال، عندما تكون الرفقة من النخبة. كان السيد واربورتون مقامراً، قليل الحظ، لكنه كان خاسراً جيداً ، وكان من المستحيل ألا يُعجب المرء بذلك البرود الذي كان قد خسر به مبلغاً قدره خمسة آلاف جنيه في لعبة قمار واحدة... وبذلك كان ولعه بالمقامرة، الذي كان تقريباً بذات قوّة ولعه بالألقاب السبب في تدميره. كانت الحياة التي عاشها مُكلفة جداً، وكانت خسائره في القمار هائلة. كان في البداية قد بدأ يُراهن على الخيول بمبالغ طائلة، ثم في سوق الأوراق المالية ، كما كانت فيه بعض السذاجة، مما جعل عديمي الضمير يعتبرونه فريسة ممتازة. ولست أدري فيما إذا كان قد أدرك في وقت ما بأن أصدقائه الأذكياء كانوا يهزؤون به خلف ظهره، لكنني أعتقد بأن غريزة غامضة فيه كانت تجعله يشعر بأن ليس بإمكانه سوى أن يُظهر عدم اكتراثه بالمال.، وقد استمر ذلك إلى أن وقع بين أيدي الدائنين.، وكان بذلك قد أفلس عندما وصل إلى الرابعة والثلاثين.

كان واربورتون مُتشرّباً بفكرة طبقته الاجتماعية، إلى الحدّ الذي جعله لا يتردّد في اختيار خطوته المقبلة.، فعندما يخسر رجل في مكانته كل ما لديه من المال، لابد أن يذهب إلى المستعمرات... لم يسمعه أحد يتذمّر،

كما لم يكن قد اشتكى حتى من أن أحد أصدقائه النبلاء كان قد أشار عليه بمضاربة مشؤومة وبذلك تسبب في خسارته كل ما كان لديه من أموال ... كما لم يكن قد طالب من كان أقرضهم المال بردّ ما كانوا اقترضوه منه لكي يتمكن من سداد ديونه.، وإنما قام بسداد جميع ديونه (ولو كان صاحب المصنع في ليفربول المُستهان به قد علم بذلك لهرب الدم من عروقه) .

دون أن يطلب المساعدة من أحد.، وبما أنه لم يكن قد التحق بأي عمل طوال حياته، فلم يكن قد لجأ للبحث عن موارد للعيش في ليفربول ، وظلّ مبتهجاً، عديم الاهتمام، وبكامل مرحه.

فلم يكن يرغب بمضايقة أحد ممن كان معهم بالتحدث عن محنته. صحيح أن السيد واربورتون كان نفّاجاً لكنه كان أيضاً رجلاً محترماً.

كانت الخدمة الوحيدة التي طلبها من أي من أصدقائه الكبار (النبلاء)، الذين عاش برفقتهم اليومية لسنوات، هو كتاب توصية. وكان الرجل المؤهل لأن يفعل ذلك في ذلك الوقت هو السلطان سيمبولو الذي كان قد كلفه بالعمل لديه.

كان السيد واربورتون في الليلة التي سبقت إبحاره، قد تناول العشاء في ناديه للمرة الأخيرة. حيث قال له الدوق هيرفورد العجوز:

"سيد واربورتون، بلغني أنك سوف تسافر بعيداً."

"نعم، أنا ذاهب إلى بورنيو."

" حقاً، ما الذي ستفعله هناك؟"

"أووه ، الحقيقة أنني أفلست"

"أهذا صحيح؟ أنا آسف! حسناً، يجب أن تُعلمنا بموعد عودتك. أتمنى أن تمضي وقتاً سعيداً."

"نعم، هناك الكثير من إمكانيات الصيد في ذلك المكان، كما تعلم."

ثم كان ذلك الدوق قد أومأ إليه برأسه وتركه.

وبذلك كان السيد واربورتون بعد بضع ساعات يرقب شاطئ إنكلترا الذي يتراجع بين السحب، وقد ترك وراءه كل ما كان يجعل لحياته قيمة.

مرّ عشرون عاماً على ذلك، كان واربورتون خلالها قد استمر بمراسلة مختلف سيدات الطبقة الراقية. كانت رسائله مُسلية ومِهذارة. لم يكن يوماً قد فقد محبته لذوي الألقاب، لذا كان يولي اهتماماً كبيراً بالإعلانات التي تُنشر في مجلة التايمز (التي كانت تصله بعد ستة أسابيع من تاريخ صدورها)، حول ذهابهم وإيابهم. كان يُتابع العواميد التي تُدوّن أنباء الولادات والوفيات والزيجات، وكان دوماً على استعداد لإرسال رسالة تهنئة أو تعزية. كانت الصحف المصورة تُعلمه عن وضع الناس، وبذلك استطاع، خلال زياراته الدورية لإنكلترا، أن يُمسك بجميع الخيوط التي تربطه بالحياة الاجتماعية هناك كما لو أنها لم تكن قد انقطعت. كان يعرف كل شيء عن أي شخص جديد قد يظهر على الساحة الاجتماعية.، كما كان اهتمامه بعالم الأزياء لايزال بذات القوة التي كان فيها عندما كان أحد الشخصيات الاجتماعية ، وكانت لاتزال تبدو له الشيء الوحيد الذي له أهميّته بالنسبة إليه.

لكن اهتماماً آخراً كان قد ظهر في حياة السيد واربورتون حتى بدون أن يشعر بذلك ، وهو المنصب الذي وجد فيه نفسه، والذي كان قد أرضى غروره. فلم يعد ذلك المتملّق الذليل الذي يستجدي ابتسامات الكبار، وإنما أصبح السيد الذي كانت كلمته قانوناً.، كان قد عُوّض بحامية الجنود "الدياك" التي كانت تُقدّم له تحية السلاح كلما مرّ بها... أحب واربورتون إصدار الأحكام على أتباعه.، وكان يسره تسوية النزاعات بين المتنافسين من الرؤساء فيهم. وعندما كان الصيادون في الأيام الماضية يُثيرون المشاكل، كان يتولى تأديبهم

وهو يشعر بنوع من طرب الاعتزاز بالنفس . كان مزهواً بنفسه إلى الحدّ الذي جعله لا يتقبّل إلا أن يكون من الرجال البواسل، وبذلك كان قد اشتهر بينهم بقصة جميلة حول شجاعته في المغامرة بمفرده في قرية محاصرة، لكي يجعل بعض القراصنة المتعطشين للدماء يستسلمون له.

كان قد أصبح إدارياً مُحنّكاً، وكان صارماً عادلاً وشريفاً. كما أنه شيئاً فشيئاً كان قد بدأ يحمل للمالاويين حباً عميقاً، ويهتم بعاداتهم وأعرافهم كما أعجب بفضائلهم. لم يكن بتململ على الإطلاق من الاستماع إلى أحاديثهم، وكان يتغاضى عن أخطائهم بمجرد ابتسامة وهزّة من كتفيه.

وقد يقول: "كنت في السابق، على علاقة حميمة مع أكبر الشخصيات في إنكلترا، لكنني لم أعرف أبداً رجالاً أفضل من هؤلاء المالاويين الكرماء الأصل، الذين أفخر بأن أدعوهم أصدقائي."

أحب كالسيد واربورتون كِياستهم وتصرفاتهم الراقية، وطيبتهم وانفعالاتهم الفجائية.، وأصبح يعرف بغريزته كيفية التعامل معهم تماماً. لكنه على الرغم من العاطفة الصادقة التي ربطته بهم لم يكن يتسامح مع سلوكية الرجال البيض الذين يخضعون طوعاً لعادات المواطنين الأصليين... لم يكن قد قدم أية تنازلات... كما لم يحذو حذو العديد من الرجال البيض بأن يتخذ من امرأة مواطنة زوجة له. ولسبب ما في طبيعته يبرّره العرف، كان يجد بأن ذلك ليس فقط مثيراً للاشمئزاز، وإنما هو أيضاً منافٍ للكرامة. فليس من المتوقّع أن يكون لأي رجل ،كان قد أطلق عليه ألبر إدوارد أمير ويلز اسم جورج، أي نوع من الارتباط مع مواطنة. وعندما كان يعود إلى بورنيو بعد زياراته لإنكلترا كان ذلك قد أصبح يتم بما يُشبه الفرج.، فلم يعد أصدقائه الآن شباباً، كما لم يعد هو أيضاً كذلك، وإنما كان هناك جيل جديد ينظر إليه كرجل مُسن مُتعِب. كان يُحدث نفسه :

"يبدو أن إنكلترا قد فقدت اليوم قدراً لا بأس به مما كان قد أحبه فيها أيام شبابه، لكن بورنيو بقيت كما هي وقد أصبحت موطنه الآن. وهو ينوي البقاء في الخدمة فيها أطول ما قد يكون ذلك ممكناً، كما أنه يأمل من كل قلبه أن يموت على الأقل قبل أن يُجبر على التقاعد. حتى أنه كان قد أورد في وصيته، بأنه يرغب في أن يُعاد جسده إلى سامبولا لكي يتم دفنه فيها، أينما كان البلد الذي يتوفى فيه، لكي يكون بين هؤلاء الأناس الذين أحبهم، وإلى جانب خرير مياه ذلك النهر الذي يتدفق بهدوء."

لكنه كان يُخفي مثل تلك العواطف عن الرجال، فلم يكن بإمكان من يُشاهد ذلك الشخص الأنيق القوي البنية، ذو الوجه الضخم الحليق والشعر الأشيب، أن يحلم بأنه يُخفي مثل ذلك الإحساس المرهف العميق. كان يعرف جيداً كيف يجب أن يتم التعامل مع من حوله في ذلك الموقع. وبذلك كان خلال الأيام القليلة التي تلت يراقب مُساعده بعين حذرة، مما جعله يتبيّن بسرعة بأنه من الأشخاص والمثابرين المؤهلين للعمل.، لكن العيب الوحيد الذي وجده فيه، هو تلك الفظاظة التي يتعامل بها مع المواطنين.

قال له ذات مرّة "المالاويون خجلون وحساسون جداً، وأعتقد بأنك سوف تدرك بأنك سوف تحصل على نتائج أفضل بكثير لو حرصت دوماً على أن تكون معهم مهذباً وصبوراً وطيباً." وكان كوبر قد أطلق حينذاك ضحكة قصيرة مُقتضبة وقال:

"ولدت في باربادوس وكنت أثناء الحرب في أفريقيا، ولست أعتقد بأن هناك الكثير ما أجهله عن الزنوج."

قال واربورتون بحدّة " أنت جاهل تماماً، لكننا نتحدث الآن عن المالاويين وليس عن الزنوج."

"أليسوا من الزنوج؟"

وكان واربورتون قد أجاب "أنت جاهل بالفعل." ولم يُضِف شيئاً.

كان واربورتون في أول أيام الأحد التي تلت وصول كوبر، قد وجّه إليه الدعوة من جديد لتناول العشاء معه.، وقام كعادته بإعداد جميع الترتيبات الرسمية، رغم أنهما كانا قد تقابلا في المكتب في اليوم السابق، كما تقابلا بعد ذلك في الحصن، وتناولا معاً بعض المشروبات على شرفة الحصن في الساعة السادسة مساء. وكان قد أرسل إليه بذلك ملاحظة مهذبة صغيرة إلى بنغاله بواسطة أحد الخدم .

جاء كوبر، وكان هذه المرّة بالملابس الرسمية، ولكن رغماً عنه . شعر السيد واربورتون بالسرور من أن تكون رغبته قد احترمت، إلا أنه لاحظ بازدراء بأن ملابس ذلك الشاب مُحاكة بشكل سيء، وبأن قميصه لم يكن يُناسبه .لكنه كان في تلك الليلة بمزاج جيّد، وقال له وهما يتصافحان:

"بالمناسبة، لقد تحدثت مع رئيس الخدم لدي حول إيجاد خادم لك، وقد رشح لي ابن أخيه.

كنت قابلته، يبدو صبياً ذكياً ومتعاوناً. هل ترغب برؤيته؟"

"لا مانع لدي من ذلك ."

"هو الآن بالانتظار ."

ثم نادى واربورتون خادمه وطلب منه إرسال ابن أخيه إليهما. وخلال لحظة كان قد مثل أمامه شاب نحيل طويل القامة، يبدو في العشرين من عمره. كان الشاب في غاية الأناقة في السارونغ،(وهو معطف صغير أبيض، وطربوش بدون شرابة، مصنوع من قماش مخملي أرجواني) كان اسمه عباس. نظر إليه واربورتون باستحسان.، وتحدث إليه بأسلوب لطيف بلغة مالاوية اصطلاحية سلسة. فعلى الرغم من أنه واربورتون كان يميل إلى أن يكون متهكماً مع الرجال البيض إلا أن تعامله مع المالاويين كان يتصف بمزيج من العطف والتنازل. كان يقف في موقف السلطان، لكنه كان يعلم جيداً كيف يحافظ على كرامته، كما يعلم بذات الوقت كيف يجعل المواطن يشعر بالراحة.

استدار واربورتون إلى كوبر وسأله "هل يناسبك؟"

أجاب كوبر "نعم، أستطيع أن أقول بأنه ليس أكثر نذالة من أي من الباقين."

وكان السيد واربورتون قد أعلم الفتى بأنه قد تم استخدامه وطلب منه الانصراف، ثم قال لكوبر :

"من حسن حظك أن تجد مثل هذا الفتى، فهو من عائلة جيدة جداً جاءت من مالاكا منذ مئة عام تقريباً."

قال كوبر "لست أهتم كثيراً فيما إذا كان للخادم الذي يُنظف لي حذائي ويجلب لي الشراب عندما أرغب بذلك، دم أزرق في عروقه أم لا. كل ما أطلبه هو أن يقوم بما أطلبه منه وأن يحرص على القيام بذلك بهمّة."

زمّ واربورتون شفتيه إلا أنه لم يُجب.

ثم ذهبا معاً لتناول العشاء، كان الطعام ممتازاً، وكان النبيذ جيداً. ثم بدأ تأثيره يظهر عليهما، وبدأ كل منهم يتحدث مع الآخر ليس فقط بدون حدّة، وإنما أيضاً بمودة. كان السيد واربورتون من النوع الذي يحب أن يُريح نفسه، وكان قد اتخذ لنفسه عادة أن يفعل ذلك بأكثر من المعتاد في ليالي الأحد ،. لذا بدأ يعتقد بأنه ربما كان جائراً بحق السيد كوبر.، فهو ليس بالطبع بالرجل النبيل، لكنها ليست غلطته، وعندما تعرفه جيداً قد تجده شخصاً طيباً جداً. أما أخطاؤه فربما كانت أخطاء في التصرف، لكنه بالتأكيد شخص مثابر في عمله، ومن الأشخاص الوجدانين والمجّدين. وكان واربورتون عندما وصلا إلى تناول الحلوى قد شعر بأنه يميل بكل طيبة لكل الجنس البشري.

قال "هذا أول يوم أحد لك هنا، وسوف أقدم إليك كأساً خاصاً من شراب (بورت). لم يتبق لدي سوى دستتين منه، وأنا أحتفظ بها للمناسبات الخاصة."

ثم أعطى تعليماته بذلك لخادمه وتم جلب الزجاجة. رقب واربورتون الخادم وهو يفتحها وقال:

"كنت قد حصلت على زجاجة البورت هذه من صديقي القديم شارل هولينكتون. كانت لديه منذ أربعين عاماً، وهي لدي منذ مدة لا بأس بها وهو يعرف بأن لديه أفضل قبو لحفظ الخمور في إنكلترا."

"هل هو تاجر خمور؟"

ابتسم واربورتون وقال "ليس تماماً، فأنا أتحدث عن اللورد هولينكتون في قصر "ريغ" الذي هو من أغنى النبلاء في إنكلترا، وهو صديق قديم جداً لي. كنت مع شقيقه في "إيتن".

كانت تلك فرصة ليس بإمكان السيد واربورتون أن يُقاومها على الإطلاق، وبذلك روى له حكاية صغيرة كان هدفه الوحيد منها، على ما يبدو، أن يُشير إلى أنه كان قد عرف أحد النبلاء.

كان الشراب بالتأكيد جيّداً جداً . ، شرب كأساً ثم كأساً ثانية وثالثة وبذلك كان فقد كل الحِرص، فلم يكن قد تحدث إلى رجل أبيض منذ أشهر، وبدأ يروي له القصص وتباهى بصحبته للكبار (النبلاء).

كنت ستعتقد لدى الإصغاء إليه، بأن تشكيل الوزارات واتخاذ القرارات السياسية، في وقت من الأوقات ، كان يتقرّر بناء على اقتراح منه يتم الهمس به في أذن دوقة، أو قد يتم طرحه على مائدة العشاء ،لكي يعمل بموجبه مستشار الملك الخاص بكل امتنان...كانت قد تجدّدت لديه ذكريات الأيام التي قضاها في أسكوت وغودود وكوز والحفلات الملكية في يوركشاير وفي اسكتلنده، التي كان يذهب إليها كل عام.

قال: " كان لدي آنذاك خادم يدعى فورمان، أفضل من كانوا لدي من خدم، وما الذي تتوقع أن يكون قد لفت نظري إليه؟ أنت تعلم بأن أماكن جلوس الخدم في غرفة مدبرة المنزل، من خادمات نساء ومن خدم رجال، يكون عادةً حسب الأسبقية في مراتب سيداتهم وأسيادهم. كان ذلك الخادم قد قال لي ذات مرّة بأنه

أصبح يشمئز من الذهاب إلى حفل تلو الآخر أكون فيه الشخص الوحيد من العامة. فهذا يعني بأن عليه الجلوس في آخر الطاولة، وبذلك يكون أفضل ما يؤكل من اللقم قد نفذ قبل يصل إليه أي طبق. وعندما رويت ذلك لدوق هيرفورد العجوز،انفجر ضاحكاً وقال " لو كنت أنا ملك إنكلترا لكنت سأجعلك نائب الكونت لسبب واحد فقط، هو لكي أمنح خادمك مثل تلك الفرصة. وكنت قلت " اتخذه لك أيها الدوق، فهو أفضل الخدم الذين عرفتهم. وقال "حسناً، واربورتون، ما دام جيّداً بما فيه الكفاية بالنسبة إليك، فسوف يكون جيداً أيضاً بالنسبة إلي، أرسله إلي على الفور."

ثم روى له ما حدث في مونت كارلو، عندما كان واربورتون والدوق الكبير فيدور يلعبان الورق شراكة مما أدى ذات ليلة إلى إفلاس المصرف، ثم روى له ما حدث عندما لعب البكرة في مارينباد مع إدوارد السابع الذي كان في ذلك الوقت بالطبع أمير ويلز فقط .

قال" أذكر بأنه قال لي: جورج، لو سحبت الآن الخمسة، فسوف تخسر حتى قميصك وكان على حق... أعتقد بأنه لم يكن قد قال كلمة حق أكثر من تلك طوال حياته. كان من أروع الرجال، كنت دوماً أقول بأنه أفضل دبلوماسي في أوروبا، لكنني في ذلك الوقت كنت شاباً أحمقاً، ولم يكن لدي الإدراك الكافي لكي أعمل بنصيحته. وأستطيع أن أقول بأنني لو لم أكن قد سحبت تلك الخمسة لما كنت هنا اليوم."

كان كوبر يرقبه طوال الوقت، وفي مقلتي عينيه البنيتين العميقتين قسوة وتكبّر وعلى شفتيه ابتسامة استهزاء. كان قد سمع الكثير عن السيد واربورتون في كوالا سولا ر. حيث كانوا يقولون عنه " ليس من النوع السيئ، وهو يُدير منطقته بدقّة الساعة، ولكن كم هو نفّاج بحق الله! " كانوا يسخرون منه بشكل ودّي، لأن من المستحيل أن يكره المرء مثل ذلك الرجل الذي كان في غاية الكرم وفي غاية الطيبة.

كان كوبر كان قد سمع سابقاً قصة أمير ويلز ولعبة البكرة، وكان يّصغي إليه دون حِلم ، فقد شعر منذ البداية بالاستياء من تصرفات ذلك المُفوض المُقيم. وبما أن كوبر من النوع شديد الحساسية، فكان قد ضجر من تهكّمات واربورتون المهذبة.، الذي كانت لديه البراعة في تلقّي الملاحظة التي لا يوافق عليها بنوع من الصمت المُدمّر. كان كوبر قد عاش لفترة قصيرة فقط في إنكلترا، وكان يكن كراهية خاصة للإنكليز.، كما كان يستاء بشكل خاص من موضوع صبي المدرسة الحكومية وكان يخشى دوماً أن يُعامله الآخرون بتنازل أو بنوع من التعالي، مما جعله، لكي يستبقهم في القيام بذلك، يتصرف بالأسلوب الذي جعل الجميع يعتقدون بأنه مغرور بشكل لا يُحتمل. وكان قد قال أخيراً :

"حسناً، فمع كل ما نجم عن الحرب من أحداث، فأنا أرى بأنها كانت قد فعلت شيئاً جيّداً واحداً، لأنها حطمت قوة الأرستقراطية... كانت الحرب البورنية قد بدأت بذلك، ثم كانت حرب العام ١٩١٤.قد وضعت لها نهايتها. "

قال واربورتون بكآبة واستسلام المهاجر الذي لا زال يتذكر بلاط لويس الخامس عشر:

" نعم ، تم القضاء على العائلات الكبيرة في إنكلترا، ولم يعد بإمكانهم أن يعيشوا في قصورهم الرائعة، وسوف تصبح ضيافتهم الملكية عما قريب مجرد ذكرى."

قال كوبر "وهذا برأيي من الأمور الجيّدة أيضاً."

أجابه واربورتون "عزيزي كوبر البائس، ما الذي بإمكانك أن تعرفه عن المجد الذي كان في اليونان وعن عظمة روما؟"

وكان قد أومأ بيديه إيماءة كبيرة وقد بدت عيناه للحظة حالمتان برؤيا من الماضي.

قال كوبر "حسناً، صدقني، لقد سئِمنا من كل ذلك الفساد. ما نريده الآن هو حكومة عملية من رجال الأعمال. كنت ولدت في مستعمرة كرون، وعشت طوال حياتي في المستعمرات، ولست أهتم ذرة واحدة باللوردات.، والشيء الخطأ في إنكلترا هو تلك النفّاجية، وإذا كان هناك ما يثُقل على كاهلي فهو الشخص لنفّاج."

نفّاج!... اصطبغ وجه واربورتون بحمرة قانية، واتقدت عيناه بالغضب. كانت تلك الكلمة قد لاحقته طوال حياته. لم تكن سيدات الطبقة الراقية، اللواتي كان يستمتع بصحبتهن أيام شبابه، تمِلْنَ إلى اعتبار تقديره لهن في غير محله، حتى أن مزاج سيدات الطبقة الراقية كان قد تعكّر أكثر من مرّة عندما صادف وجاء ذكر تلك الكلمة المروعة على لسانه. كان يعلم بأنه ليس بإمكانه أن يتجاهل حقيقة أن هناك أشخاصٌ بغيضون كانوا يُسمونه بالنفّاج.

كم كان ذلك جائراً؟ ولماذا؟ فلم يكن هناك ما يكرهه من بين جميع العيوب أكثر من أن يكون المرء نفّاجاً. فهو دون شك يحب الاختلاط بمن هم من طبقته الاجتماعية، ويشعر بأنه في مكانه الملائم عندما يكون برفقتهم وبرفقتهم فقط وفقط، ولكن كيف يكون بإمكان أي شخص بحق السماء، أن يُقول بأن ذلك من النفّاجية ؟ "الطيور على أشكالها تقع ".

لذا أجاب "أنا أتفق معك تماماً. فالنفّاج هو رجل يُعجب أو يزدري الآخر، لأنه من طبقة أعلى من طبقته الاجتماعية، وهي النقيصة الأكثر سوقية في مجتمعنا الإنكليزي."

لكنه لاحظ نظرة تهكم في عيني كوبر، الذي كان قد وضع يده على فمه لكي يُخفي الابتسامة العريضة التي ارتسمت على شفتيه، لكنه بذلك كان قد جعلها ملفتتاً أكثر للنظر. ارتجفت يدا السيد واربورتون قليلاً.

لم يكن كوبر على الأرجح قد أدرك إلى أي مدى كان قد أهان رئيسه، فعلى الرغم من أنه كان شديد الحساسية، إلا أنه كان بذات الوقت متلّبد الإحساس بشكل غريب تجاه مشاعر الآخرين.

ثم كان العمل يُجبرهما بين فترة وأخرى على أن يجتمعا معاً لبضع دقائق أثناء النهار، كما كانا يلتقيان في الساعة السادسة لتناول الشراب على شرفة السيد واربورتون. لأن تلك كانت من العادات الراسخة في البلدة منذ القدم، وبذلك لم يكن السيد واربورتون ليتخلى عنها مهما كان . إلا أن كل منهما كان يتناول وجباته بمفرده، كوبر في بنغاله والسيد واربورتون في الموقع. كانا بعد أن ينتهي العمل في المكتب، يتجولان إلى أن يحلّ الغسق، ولكن كان كل منهما يمشي بمفرده. لم يكن في البلدة سوى القليل من الدروب التي تتصل بها الغابة بمباني القرية، لذا فعندما كان السيد واربورتون يلمح مساعده ماراً بقربه بخطواته السريعة، كان يستدير على أعقابه إلى الطرف الآخر لكي يتفادى رؤيته. كان كوبر بسلوكه السيئ وبتمسّكه برأيه وبعدم تسامحه قد بدأ يضرب على أعصاب السيد واربورتون .

لكنه لم يكن قد وصل إلى آخر حدّ إلى أن جرت بينهما حادثة عرضية بعد مرور بضعة أشهر على وجود كوبر في الموقع، كانت قد جعلت كراهية السيد واربورتون لكوبر تتحول إلى حقد مرير.

كان السيد واربورتون قد اضطر إلى السفر في جولة تفتيشية خارج البلدة وبذلك ترك الموقع تحت إشراف كوبر وبقدر كبير من الثقة دون ريب ،. بما أنه كان قد توصّل إلى استنتاج لا لبس فيه، بأن كوبر شخص مؤهل. وكان الشيء الوحيد الذي لم يعجبه فيه هو عدم وجود أي تسامح لديه. كان كوبر شريفاً عادلاً ومُجدّاً، لكن لم يكن لديه أي تعاطف تجاه المواطنين. وكان ما يُضحك واربورتون بمرارة أن يلاحظ بأن تكون نظرة ذلك الرجل الذي يعتبر نفسه متساوياً مع أي رجل آخر، إلى ذلك العدد الكبير من الرجال كأتباع لديه... كان قاسياً مستأسدّاً بالنسبة لتعامله معهم ولم يكن لديه أي تفهّم لعقلية المواطنين.

كان السيد واربورتون قد أدرك بسرعة كبيرة أن المالاويين يكرهونه ويخافون منه. إلا أنه لم يكن قد استاء تماماً من ذلك، فلم يكن سيسره كثيراً أن ينعم مساعده بشعبية قد تجعله منافساً له...

أعدّ السيد واربورتون ما يلزم من الترتيبات، وانطلق في رحلته التفتيشية، ثم عاد خلال ثلاثة أسابيع.

كان البريد قد وصل خلال تلك الفترة وأول ما لفت نظر السيد واربورتون عندما دخل إلى غرفة الجلوس كانت كومة كبيرة من الصحف المفتوحة. كان كوبر قد استقبله و داخلا معاً إلى الغرفة . استدار السيد واربورتون نحو أحد الخدم الذي كان في الخلف، وسأله بحزم عن معنى تلك الصحف المفتوحة. سارع كوبر بالتعليل قائلاً:

"كنت أرغب بقراءة كل ما كتب عن جريمة ولفرهامبتون، وبذلك استعرت صحف التايمز التي تعود إليك. وقد أعدتها ثانية كما ترى، كنت أعلم بأنك لن تُمانع."

استدار إليه السيد واربورتون وقد شحب لشدة الغضب وقال:

"لكنني أمانع. و أمانع جداً."

قال كوبر برباطة جأش "أنا آسف، في الواقع، لم يكن بإمكاني أن أنتظر عودتك."

"أتساءل كيف لم تقم أيضاً بفتح رسائلي الخاصة."

وكان كوبر دون أن يتأثر بذلك قد ابتسم لما كان فيه رئيسه من سخط. وقال:

"أووه، ليس هذا بذات الشيء تماماً، ومع ذلك لم يخطر ببالي بأنك سوف تمانع في إطلاعي على صحفك، فليس فيها أي شيء خاص."

توجّه واربورتون نحو كومة الصحف. كان هناك حوالي الثلاثين منها وقال" أنا أعترض كثيراً على أن يقرأ أي شخص صحيفتي قبل أن أقرأها، وأعتقد بأن هذه وقاحة منك، فقد اختلطت ببعضها البعض."

قال كوبر وقد انضم إليه أمام الطاولة "بإمكاننا أن نُعيد ترتيبها بسهولة."

لكن واربورتون صاح "لا تلمسها!"

قال كوبر "أتعلم، من السخف أن تختلق مثل هذا الشجار لأجل أمر بسيط كهذا."

"كيف تجرؤ على مخاطبتي هكذا؟"

قال كوبر " فلتذهب إلى الجحيم." ثم اندفع إلى خارج الغرفة.

تُرك السيد واربورتون وهو يتأمل أوراقه المُبعثرة ويرتجف لشدّة الانفعال . كانت أكبر متعة لديه في الحياة قد دمرت بتلك اليدين القاسيتين الوحشيتين.

غالبية الأشخاص الذين يعيشون في الأماكن البعيدة، يفتحون صحفهم بصبر نافذ عندما يصلهم البريد، وهم يتناولون أولاً النسخ الأخيرة منها لكي يطلعوا على آخر أخبار موطنهم. لكن السيد واربورتون لم يكن هكذا. وإنما كانت تعليماته لوكيل الأنباء بأن يكتب على الغلاف الخارجي لكل نسخة من الصحف التي يرسلها إليه تاريخ صدورها.، وعندما كانت تلك الرزمة الضخمة تصله، كان السيد واربورتون ينظر إلى تلك التواريخ ويُرقّمها بعناية بالقلم الأزرق اللون.، وكانت أوامره لرئيس الخدم بأن يضع واحدة فقط منها على الطاولة مع كوب الشاي الذي يتناوله في الصباح في الشرفة . كان السرور الاستثنائي للسيد واربورتون، بأن يفتح الغلاف ويقرأ الصحيفة الصباحية وهو يرتشف الشاي.، فقد كان في ذلك ما يمنحه وَهم من يعيش في موطنه.

كان كل صباح اثنين يقرأ عدد الاثنين من صحيفة التايمز التي صدرت منذ ستة أسابيع. وكان في أيام الأحد يقرأ صحيفة "الأوبزيرفر". كان ذلك بالنسبة إليه بمثابة الصلة بالحضارة على غرار ولعه بارتداء اللباس الرسمي للعشاء. وكان من دواعي فخره أنه، ومهما كان نوع الأنباء التي قد ترد في تلك الصحف، لن يستسلم لرغبة فتح أية صحيفة قبل الوقت المخصص لها. ففي فترة الحرب كان التشويق بالنسبة إليه أحياناً لا يُحتمل .، وكان ذات يوم ،عندما قرأ أن هناك بداية للانسحاب، قد تعرّض إلى صراعات الترقّب، الذي كان قد يوفّره على نفسه بمجرد ذريعة بسيطة هي بفتح الصحيفة الأخيرة التي كانت مُلقاة على أحد الرفوف بانتظاره. كانت تلك من أقسى المِحن التي تعرّض إليها في حياته، لكنه استطاع مع ذلك أن يتغلب عليها. وها قد قام هذا المخبول الأخرق الآن بفتح تلك الرزم الأنيقة لأنه أراد فقط أن يعرف فيما إذا كانت امرأة بغيضة قد قتلت زوجها الكريه.

استدعى السيد واربورتون خادمه وطلب منه أن يجلب له بعض أوراق التغليف. ثم قام بطيّ الأوراق بما أمكنه من عناية، ووضع غلافاً حول كل منها وقام بترقيمها من جديد. لكن ذلك كان عملاً كئيباً. وبذلك قال "لن أسامحه أبداً. أبداً."

كان الخادم قد رافقه بالطبع في بعثته، فلم يكن السيد واربورتون يسافر مطلقاً بدونه، لأن ذلك الخادم كان يعلم جيداً كيف كان يرغب بأن يتم أداء الأشياء. كما أن السيد واربورتون لم يكن ذلك المسافر الذي بإمكانه أن يتخلّى عن الرفاهيّة التي اعتاد عليها.

كانت هناك خلال تلك الفترة ومنذ عودتهما بعض الثّرثرة بين الخدم.، وكان السيد واربورتون قد علم بأن لدى كوبر بعض المشاكل مع خدمه، وبأن الجميع، ما عدا الشاب عباس، كانوا قد تركوا العمل لديه. وبأن عباس رغب أيضاً بذلك، ولكن وبما أن عمّه كان قد وضعه هناك بناء على تعليمات المفوّض المقيم فقد خشي من أن يترك عمله دون إذنٍ من عمه.

قال الخادم " لقد أعلمته بأنه فعل خيراً بذلك. لكنه يشعر بالتعاسة وهو يقول بأنه ليس بالبيت الجيّد . هو يرغب بمعرفة فيما إذا كان بإمكانه أن يرحل كما رحل الآخرون."

قال واربورتون "لا، عليه أن يبقى، يجب أن يكون لدى السّيد خدم. هل تم استبدال الخدم الذين تركوا العمل لدى السيد كوبر؟"

أجابه الخادم "لا، سيدي، أحد يرغب في ذلك."

قطب واربورتون حاجبيه. كان كوبر شخصاً وقحاً ومخبولاً، لكن له أيضاً منصبه الرسمي، وبذلك يجب أن يتم تأمين الخدم له فليس من المناسب ألا تتم إدارة منزله بشكل غير لائق.

ثم قال "أين الخدم الذين تركوا العمل؟"

"هم في الكامبونغ (المجمّع) أيها السيد."

"اذهب وابحث عنهم الليلة وبلّغهم أنني أتوقع منه العودة إلى بيت السيد كوبر قبل فجر الغد."

"لكنهم يقولون بأنهم لا يرغبون في ذلك."

"هذا أمر."

وبما أن ذلك الخادم كان يعمل منذ خمس عشر عاماً لدى السيد واربورتون لذا كان يعرف تماماً معنى تلك اللهجة التي بدت في صوت سيده. لم يكن يخشاه، فقد مرّ بهما الكثير معاً، كما أن المفوّض المقيم كان قد أنقذ حياته ذات مرة في الغابة، ولكن لولاه لكان المقيم أيضاً قد غرق في أحد الشلالات. لكنه كان يعلم جيداً متى كان عليه أن يُطيعه دون أي استفسار.

قال "سوف أذهب إلى المجمّع."

توقّع السيد واربورتون أن ينتهز مرؤوسه كوبر أول فرصة كي يعتذر عن وقاحته، ولكن كان لدى كوبر من سوء التهذيب مما يمنعه من التعبير عن الأسف، وبذلك كان قد تجاهل الأمر تماماً عندما التقى الرجلان في المكتب صباح اليوم التالي .

وبما أن السيد واربورتون كان قد تغيب لثلاثة أسابيع، فقد كان من الضروري أن يكون لهما اجتماع مطول بعض الشيء. وعندما انتهى الاجتماع كان السيد واربورتون قد صوفه بالقول :

"أعتقد بأنه لم يعد لدينا ما نبحثه معاً، شكراً لك."

استدار السيد كوبر لكي يذهب، لكن السيد واربورتون استوقفه وقال "بلغني أن لديك بعض المشاكل مع خدمك."

أطلق كوبر ضحكة جافة وقال :

"كانوا قد حاولوا ابتزازي، وكانت لهم الجرأة على الهرب، الجميع ماعدا ذلك الفتى غير الكفء عباس، إلا أنني صمدت. وها قد عادوا جميعاً على أعقابهم."

"ما الذي تقصده بذلك؟"

"كانوا جميعاً على رأس عملهم هذا الصباح، الطباخ الصيني والجميع، كانوا يعملون هناك بكل هدوء، أعتقد بأنهم توصلوا إلى الاستنتاج بأنني لست أحمقاً كما أبدو."

قال واربورتون "ليس الأمر هكذا على الإطلاق، كانت عودتهم بناء على أوامري الفورية."

احمرّ وجه كوبر قليلاً وقال "سوف أكون ممتناً لو لم تتدخل في أموري الشخصية."

"هذه ليست أمورك الشخصية، فعندما يهرب خدمك، سوف يجعلك ذلك بوضع الاستهزاء. لك الحرية في أن تجعل من نفسك مخبولاً، لكن ليس بإمكاني أن أسمح بذلك. فمن غير اللائق أن لا تكون لديك الخدمة المناسبة في بيتك. لذا كنت على الفور من سماعي أن خدمك تركوك، قد طلبت منهم العودة إلى أماكنهم منذ الفجر. كان هذا كل ما فعلته."

ثم أومأ له السيد واربورتون برأسه بما يُفيد بانتهاء المقابلة. لكن كوبر لم يلتفت لذلك وقال:

"أتريدني أن أعلمك بما فعلته أنا ؟ استدعيتهم وصرفت كامل مجموعة الشياطين تلك من الخدمة.

أعطيتهم مهلة عشر دقائق لمغادرة المجمّع."

هزّ واربورتون كتفيه وقال:

"ما الذي يجعلك تعتقد بأنه سيكون بإمكانك الحصول على آخرين؟"

"طلبت من كاتبي الخاص (المقصود سكرتيري) الاهتمام بالأمر."

فكر السيد واربورتون للحظة ثم قال:

"أعتقد أنك قد تصرفت بحماقة، ومن الأفضل بالنسبة إليك في المستقبل أن تتذكّر بأن السادة الجيّدين يجعلون الخدم جيدين."

"هل هناك شيء آخر تريد أن تُعلمّني إياه؟"

"أريد أن أعلمّك حِسن التصرف، لكنها سوف تكون مهمة صعبة على ما يبدو، لذا ليس لدي ما يكفي من وقت كي أضيعه معك. سوف أتدبّر أمر تأمين الخدم لك."

"أرجو ألا تُتعب نفسك لأجلي. فأنا قادر تماماً على تدبّرهم لنفسي."

ابتسم السيد واربورتون بمرارة . كان يشعر في قرارة نفسه بأن كوبر يشعر نحوه بالكراهية كما كان هو أيضاً يشعر تجاهه بالكراهية، وكان يعلم أيضاً بأنه لا يوجد ما هو أكثر مرارة من أن يتقبّل المرء الخدمات من شخص يكرهه، وبذلك قال :

"اسمح لي بأن أعلمك بأنه ليس لديك الآن أية فرصة لتأمين الخدم سواء أكان ذلك من الصينيين أو من المالاويين، كما أنه ليس لديك فرصة الحصول على خادم انكليزي أو طباخ فرنسي. لن يأتي أحد للعمل لديك إلا إذا تم ذلك بناء على أوامري. هل تريد مني أن أطلب منهم ذلك؟"

"كلا."

"كما تريد، عمت صباحاً."

وكان السيد واربورتون بعد ذلك قد راقب تطور الموقف بمزاج سيء.

لم يكن كاتب كوبر قد تمكن من إقناع أي مالاوي أو دياكي أو صيني بالدخول إلى بيت مثل ذلك السيد. كما لم يكن الفتى عباس الذي بقي مخلصاً له، يُجيد طهي سوى بعض الأطباق الوطنية، وبذلك وجد كوبر نفسه كشخص شره، بأنه قد أتُخم بذلك الأرز الأبدي. كما لم يكن هناك من ينقل الماء في الوقت الذي كان يحتاج فيه إلى حمام عدة مرات في اليوم في ذلك الحر الشديد. كان يشتم عباس، لكن عباس كان يقاومه بعناد، ولم يكن يتقبل القيام بأكثر من بالعمل الذي يختاره هو.

وكان أكثر ما يزعج كوبر أن يعلم بأن الفتى بقي معه لأن المفوّض المقيم قد أصرّ على ذلك. واستمر الوضع هكذا لمدة أسبوعين... وكان كوبر ذات صباح قد وجد في منزله جميع الخدم الذين كان قد صرفهم من الخدمة.

شعر بغضب شديد لكنه كان قد تعلم التصرف ببعض العقلانية، وبذلك جعلهم هذه المرّة يبقون دون أن يتفوّه بكلمة واحدة وابتلع إذلاله، إلا أن الازدراء الصعب الاحتمال الذي كان يشعر به تجاه حماقات السيد واربورتون، كان قد تحول إلى حقد بغيض. فقد جعله ذلك المفوّض المقيم بتلك الضربة الماكرة، أضحوكة جميع المواطنين.

لم يعد الرجلان يتواصلان مع بعضهما. حتى أنهما خرقا العادة التي ظلت محترمة لبعض الوقت ،بأن يتشاركا في يزور الموقع، على الرغم من الكراهية الشخصية بينهما. ثم عاش كل منهما في منزله الخاص المُستقل كما لو أن الشخص الآخر لا وجود له. وبما أن كوبر كان قد انهمك تماماً في العمل، فكان من الضروري أن تكون لديهما بعض الأمور التي تتطلب أن يتم إنجازها معاً في المكتب. وبذلك اعتاد السيد واربورتون أن يرسل إليه بانتظام أية رسالة عليه إبلاغها إلى مساعده بكتاب رسمي. كان كل منهما يشاهد الآخر باستمرار، كان ذلك ما لا يمكن تجنبه، إلا أنهما لم يكونا يتبادلان أكثر من بضع كلمات في الأسبوع. وأصبح عدم تمكنهما من تجنب رؤية بعضهما يضرب على أعصابهما. كان كل منهما يطيل التفكير في ذلك النفور المتبادل بينهما ، كما كان كل ما يُفكر به السيد واربورتون في جولته اليومية، هو مقدار كراهيته لمساعده.

أما الشيء المخيف أكثر فهو أنه كان عليهما مع كل الاحتمالات أن يستمرا بذلك الوضع، وأن يواجه كل منهما الآخر بذلك العداء المميت، إلى أن يُحال واربورتون على التقاعد، وقد يكون ذلك بعد ثلاث سنوات أو أكثر...

لم تكن لدى واربورتون الأسباب الكافية لإرسال شكوى بحق كوبر إلى مركز القيادة الرئيسي. كان كوبر يعمل بشكل مُرضٍ جداً، كما كان من العسير جداً العثور على رجل قد يتقبل العمل في ذلك الموقع النائي في ذلك الوقت.

صحيح أن بعض الشكاوى المبهمة وأن بعض التلميحات كانت قد وصلته بأن المواطنين كان يجدون كوبر قاسياً. وبأن لديهم بالتأكيد شعور بعدم الرضى.، لكن كل ما بإمكان السيد واربورتون أن يقوله ، عندما تحقّق من حالات معينة، هو أن كوبر أظهر الكثير من القسوة عندما لم يكن الاعتدال في غير محله، وبأنه كان عديم الإحساس عندما قد يكون هو مُتعاطفاً تجاههم . لم يفعل كوبر شيئاً يمكن أن يُوبخ عليه، لكن واربورتون كان يراقبه. فقد تجعل الكراهية المرء في كثير من الأحيان نيّر البصيرة... كانت لدى واربورتون بعض الشكوك بأن كوبر كان يُسيء استخدام المواطنين، لكنه ذلك كان يبقى دوماً في حدود القوانين، لأن كوبر كان قد شعر بذلك بأنه قد يُثير سخط رئيسه. كان واربورتون يُحدث نفسه " لكنه قد يذهب بعيداً (يتمادى) بذلك ذات يوم."

لم يكن هناك من يعرف أكثر من واربورتون، مقدار ما قد تتسبب به الحرارة المستمرة من سرعة التهيّج، وكم أن من العسير السيطرة على النفس بعد ليلة من الأرق. لكنه كان يبتسم لنفسه بهدوء ويقول :

"سوف يوقع كوبر نفسه بين يديه عاجلاً أو آجلاً".

وعندما سنحت الفرصة أخيراً لواربورتون كان قد ضحك بصوت مرتفع! ...

كان كوبر الشخص المسؤول عن السجناء: كانوا يشقون الطرقات، يبنون المظلات، وكانوا عند الحاجة ،يجدّفون لإرسال المراكب من وإلى النهر، ويحافظون على نظافة البلدة، وكانوا بطريقة أخرى يوظفون أنفسهم في أعمال مفيدة. كما وقد يتم تكليفهم حتى بالخدمة في المنازل، فيما إذا كانوا ممن يُحسنون التصرف. كان كوبر يضبطهم بشدّة في ذلك ويحب أن يراهم يعملون. كما كان يجد متعة في اختلاق المهام المرهقة لهم. وعندما أدرك السجناء بسرعة، بأن كوبر يجعلهم يؤدون بعض الأعمال غير المفيدة، كانوا يقومون بها بشكل سيء وكان كوبر يعاقبهم بتمديد ساعات عملهم. كان ذلك بالطبع مخالفاً للقوانين، لذا فعندما تم إبلاغ السيد واربورتون بالأمر كان قد أعطى تعليماته على الفور، ودون العودة إلى مرؤوسه، بوجوب التقيد بالساعات التي كانت حدّدت سابقاً للعمل...

كان كوبر عندما كان يقوم بجولته المُعتادة عليهم، قد صُعق برؤية السجناء يعودون بتمهل إلى السجن. رغم أنه كان قد أعطى تعليماته بأن لا يُسمح لهم بالعودة إلى أن يحلّ الغسق. وعندما سأل السجّان المسؤول عن سبب مغادرتهم العمل، أعلمه بأنها كانت أوامر المفوّض المقيم.

حينئذ ذهب كوبر بسرعة إلى الحصن وهو يستشيط غضباً. كان واربورتون حينذاك يرتدي لباسه النظيف وقبعته الفلّينية، وبيده عصاه، تتبعه كلابه، وهو على وشك الخروج في نزهة بعد الظهيرة. ارتقى كوبر السلالم بسرعة وتوجه مباشرة نحو المفوّض المقيم وانفجر بالقول بغضب شديد:

"أريد أن أعرف ما الذي تقصده بحق الجحيم، من نقض أوامري بأن يستمر السجناء في العمل حتى السادسة مساء."

فتح واربورتون عينيه الزرقاوين الباردتين متظاهراً بدهشة كبيرة وقال:

"هل جننت؟ أأنت جاهل بحيث لا تعلم بأنه لا يجوز لك أن تُخاطب رئيسك الأعلى بهذه الطريقة؟"

قال كوبر "أووه ، فلتذهب إلى الجحيم. السجناء هم عهدتي، وليس لك الحق في التدخّل. فلتهتم بأمورك وسوف أهتم أنا بما يخصّني. أريد أن أفهم بحق الله ما الذي تقصده بأن تجعلني أبدو سخيفاً. سوف يعرف الجميع في هذا المكان بأنك نقضت أمري؟"

ظلّ واربورتون هادئاً جداً وقال:

"ليست لديك سلطة إعطاء الأمر الذي أعطيته. وقد نقضت أمرك لأنه كان قاسياً ومُستبّداً. صدقّني لم أكن قد جعلتك تبدو سخيفاً بنصف القدر الذي جعلت به نفسك الآن بمثل هذا التصرف."

قال كوبر " لقد كرهتني منذ اللحظة الأولى لوصولي إلى هنا. وقد فعلت كل ما بإمكانك لكي تجعلني أكره العيش في هذا المكان، ذلك لأنني لن ألعق لك حذائك.، وبذلك طعنتني بسكينك لأنني لن أقوم بتملّقك."

وكان كوبر الذي يتكلم بسرعة وغضب قد اقترب بذلك من الأرض الخطرة (النقطة الحسّاسة)، وكانت نظرة واربورتون قد أصبحت أكثر برواداً وأكثر حدةً.

وقال "أنت مخطئ، كنت قد وجدتك وغداً، لكنني كنت راضياً تماماً عن عملك."

قال كوبر " أنت أيها النفّاج، أنت أيها النفّاج اللعين. اعتقدت بأنني وغد لأنني لم أكن في "إيتن" . فلتعلم بأنهم سبق وأعلموني في كوالا سولار بما علي أن أتوقعه منك... لماذا، ألست تعلم بأنك كنت أضحوكة في كل نواحي الدولة؟... كنت أمنع نفسي بصعوبة من الانفجار بالضحك عندما كنت تروي لي قصة أمير ويلز. يا إلهي، كم انفجروا ضحكاً في النادي عندما كانوا يرونها. بحق الله، فأنا أفضّل أن أكون نذلاً من أن أكون نفّاجاً مثلك."

كان كوبر بذلك قد أوصل واربورتون إلى الحدّ الأخير. صاح به:

"إن لم تخرج من بيتي في هذه اللحظة فسوف أضربك."

اقترب الآخر منه أكثر ووضع وجهه أمام وجهه تماماً وقال:

"فلتلمسني، المسني. بحق الله، كم أرغب في أن أراك تضربني. هل تريدني أن أقولها مرّة أخرى؟ أنت نفّاج، نفّاج."

كان كوبر شاباً قويّ العضلات وأطول من واربورتون بثلاث إينشات (بوصات)، بينما كان واربورتون مُكتنزاً وفي الرابعة والخمسين. عندما ضربه واربورتون بقبضة يده بقوّة ، كان كوبر قد أمسك بذراعه ودفعه إلى الوراء وقال:

"لا تكن أبلهاً، تذكّر بأنني لست رجلاً نبيلاً. لكنني أعرف كيف أستخدم يداي."

ثم أطلق ضحكة استهزاء وابتسم ابتسامة عريضة انتشرت على وجهه الشاحب الحاد بالكامل، وأسرع إلى أسفل سلالم الشرفة. أما واربورتون فقد ارتمى على أحد المقاعد .كان قلبه يخفق بشدة بين أضلاعه لشدة الغضب.، وكان العرق ينبع من جسمه كما لو أن لديه حرارة مرض الحَصفة . مرّت به لحظة رهيبة اعتقد خلالها بأنه سوف ينفجر بالبكاء. لكنه أدرك فجأة بأن خادمه كان على الشرفة، وبذلك استعاد سيطرته على نفسه بشكل عفوي. اقترب منه خادمه وقدم له كأساً من الماء ، تناول منه واربورتون الكأس دون أن يتكلم وشربها حتى آخر قطرة. ثم سأله وهو يحاول بصعوبة أن يرسم ابتسامة على شفتيه المشدودتين:

"ما الذي تريد أن تقوله لي؟"

قال الخادم "سيدي، السيد المساعد رجل سيء. يرغب عباس من جديد بتركه."

قال واربورتون "دعه ينتظر قليلاً. فسوف أكتب إلى الإدارة في كوالا سولا ر لكي أطلب نقله إلى مكان أخر."

"سيدي السيد كوبر لا يصلح للعمل مع المالاويين."

قال واربورتون "اتركني بمفردي."

انسحب الخادم بصمت، وكان واربورتون بذلك قد بقي بمفرده مع أفكاره. شاهد النادي في كوالا سولا ر، شاهد الرجال الجالسون حول الطاولة على الشرفة بستراتهم القطنية بعد أن أبعدهم المساء عن لعبة الغولف أو التنس.، شاهدهم يضحكون وهم يروون قصته الشهيرة مع أمير ويلز في مارينباد.

كان يشعر بحرارة شديدة لشدة ما كان فيه من خجل وبؤس. نفّاج!.. اعتبره الجميع كذلك!.. في الوقت الذي كان فيه كان يعتبرهم دوماً من الأشخاص الطيبين جداً... كان على الدوام رجلاً محترماً بما يكفي لأن لا يكون لديه أي فارق من أنهم من مرتبة اجتماعية أخرى مختلفة تماماً. لكنه أصبح الآن كرههم .، لكن كراهيته لهم لم تكن لتقارن بكراهيته لكوبر. فلو كان قد وصل إلى ضرب كوبر لكان كوبر سيهزمه.

وبدأت دموع الإحساس بالإهانة تسيل على وجهه المُكتنز الأحمر، وجلس هناك لبضع ساعات وهو يدخن لفافةً بعد لفافة ويتمنى لو أنه كان ميتاً.

ثم جاء الخادم أخيراً وسأله فيما إذا كان يرغب بارتداء ملابسه للعشاء.

"بالطبع!" كان دوماً يرتدي الملابس الرسمية للعشاء. وبذلك نهض من مقعده بعناء وارتدى قميصه المُقوّى ذي الياقة المرتفعة.، وجلس كعادته أمام المائدة التي تم تزيينها على نحو جميل، وكان اثنان من الخدم يقومان على خدمته كالمعتاد، في الوقت الذي كان فيه اثنان آخران يلوّحان بمراوحهما الكبيرة...

أما هناك في البنغال، وعلى بعد مائتي ياردة فقط، فكان كوبر يأكل وجبته القذرة، مرتدياً السارونغ والباغو. كانت قدماه عاريتان، وكان يقرأ وهو يأكل رواية بوليسية قذرة.

جلس واربورتون بعد العشاء لكي يكتب رسالة. كان السلطان خارج البلاد في ذلك الوقت لكنه كتب رسالة سريّة وخاصة إلى ممثله قال فيها :

" السيد كوبر يؤدي عمله بشكل مُرضٍ تماماً، لكن الحقيقة أنه لم يكن بإمكانه أن يتفاهم معه. وأضاف بأن كلاً منهما يضغط على أعصاب الآخر بشكل مخيف، وبأنه سوف يكون مُمتنّاً جداً لو تم نقله إلى موقع أخر."

وكان في صباح اليوم التالي قد أرسل الرسالة مع مراسل خاص. بعد مضي خمسة عشر يوماً كان الردّ قد وصله مع البريد الشهري. كان عبارة عن رسالة خاصة صغيرة تتضمن ما يلي:

عزيزي السيد واربورتون،

لم أكن أرغب بالردّ على رسالتك بشكل رسمي، وبذلك وجدت بأن أكتب بضعة أسطر بنفسي. أما في حال إصرارك على ما طلبته، فسوف أنقل الأمر بالطبع إلى السلطان، لكنني أعتقد بأنك سوف تكون أكثر حكمةً بأن تتخلى عن ذلك. أعلم جيداً بأن السيد كوبر شخص فظ، لكنه رجل كفؤ، وقد كان له دوره الصغير جداً أثناء الحرب، لذا أعتقد بأنه يجب أن يتم منحه أية فرصة. أعتقد بأنك بعض الشيء تميل بشكل كبير إلى اعتبار الوضع الاجتماعي للرجل من الأمور الهامة.

ولكن يجب أن تتذكر بأن الأوضاع التي كانت سائدة قد تغيرت. قد يكون من الأمور الجيدة جداً بالطبع، أن يكون الرجل نبيلاً، لكن من الأفضل أن يكون كفؤاً ومُجدّاً في العمل.، وأعتقد بأنك لو أظهرت بعض التسامح، فسوف يكون بإمكانك التفاهم بشكل جيّد جداً مع كوبر.

المخلص لك جداً

ريتشارد تمبل

سقطت الرسالة من يدّ السيد واربورتون. كان من السهل جداً أن يقرأ ما بين السطور. أهذا ما فعله السيد ديك تمبل، ديك تمبل الذي كان قد عرفه لمدة عشرين عاماً، ديك تمبل، الذي ينحدر من عائلة جيدة في المقاطعة، قد اعتبره نفّاجاً، وهو لذلك السبب لم يولي طلبه الاهتمام. شعر السيد واربورتون فجأة بأنه مُثبط الهمّة. وبأن العالم الذي كان ينتمي إليه قد انقضى وبأن المستقبل قد أصبح الآن بيدّ جيل وضيع يُمثلّه من هم مثل كوبر. كوبر الذي يكرهه بكل جوارحه. مدّ يده لكي يملأ كأسه، وكان رئيس الخادم بتلك الحركة قد تقدم نحوه.

قال له "لم أكن أعلم بأنك هنا."

التقط الخادم الرسالة الرسمية من الأرض. أه... لابد أنه كان بالانتظار لأجل ذلك...

سأله الخادم "سيدي، هل سيغادر السيد كوبر؟"

أجابه واربورتون "كلا"

قال الخادم "سوف تقع كارثة."

ونظراً لحالة الإرهاق التي كان فيها واربورتون، فلم تكن تلك الكلمات في البداية قد أوحت إليه بأي شيء، جلس في مقعده ونظر إلى الخادم وهو في غاية الاهتمام.

وسأله

"ما الذي تقصده بذلك؟"

"السيد كوبر لا يتصرف بشكل مقبول مع عباس."

هز واربورتون كتفيه،، فكيف سيكون بإمكان رجل مثل كوبر أن يعرف كيف يجب أن يتم التعامل مع الخدم؟ فقد عرف السيد واربورتون جيداً مثل هذا النوع من الرجال: سوف يتعامل كوبر معهم للحظة بأسلوب رخيص من عدم الكلفة ثم يعاملهم معهم بعد ذلك بقسوة وتهوّر.

قال له "بإمكان عباس أن يترك العمل ويعود إلى عائلته."

قال الخادم " لكن السيد كوبر احتجز أجوره لكي يمنعه من الهرب. لم يدفع له شيئاً منذ ثلاثة أشهر. طلبت منه أن يتحلّى بالصبر. لكنه غاضب، لن يرغب في الإصغاء لصوت العقل. ولو استمر السيد كوبر في إساءة معاملته فسوف تحدث كارثة."

قال واربورتون "كنت مُصيباً في إعلامي بذلك."

وحدّث نفسه " ذلك المخبول! هو دون شك لايعلم سوى القليل عن المالاويين بحيث يعتقد بأن بإمكانه أن يهينهم على نحو آمن ،فسوف يفيده كثيراً لو تلقّى خنجراً في ظهره."

وكان قلب واربورتون وكأنه قد توقف عن الخفقان ، كل ما عليه هو أن يَدع الأمور تأخذ مجراها، وسوف يجد نفسه يوماً ما قد تخلّص من كوبر. ابتسم ابتسامة باهتة لتلك الفكرة وتلبد ذهنه تماماً. ثم عاد قلبه يخفق بسرعة أكبر.

شاهد أمامه الرجل الذي يكرهه مُمدّداً على وجهه في أحد طرقات الغابة وفي ظهره سكين. نهاية مناسبة لذلك النذل المُستأسد. تنهد السيد واربورتون.

كان من واجبه مع ذلك أن يقوم بإبلاغه وبتنبيهه إلى الأمر، نعم، عليه بالطبع أن يفعل ذلك. وبذلك كان قد كتب ملاحظة صغيرة للسيد كوبر يطالبه فيها بالمجيء إلى الموقع على الفور.

ظهر كوبر أمامه في غضون عشر دقائق. لم يكونا قد تحدثا معاً منذ اليوم الذي حاول فيه السيد واربورتون أن يضربه لكنه لم يطلب منه الآن أن يجلس.

سأله كوبر "هل تريد التحدث إلي؟"

لم يكن مظهر كوبر أنيقاً كما لم يكن نظيفاً جداً، كما كانت تُغطي وجهه ويداه بقع حمراء سببتها لسعات البعوض، كان على ما يبدو قد حكّ جلده إلى درجة سيلان الدم منه، وكانت تبدو على وجهه نظرة ضيق وتجهّم.

قال واربورتون "بلغني بأن لديك من جديد بعض المتاعب مع خدمك. يشتكي عباس، ابن شقيق خادمي، من أنك احتجزت أجوره لمدة ثلاثة أشهر. وأنا أعتبر هذا من التصرفات الأكثر استبدادية. يرغب الفتى بترك العمل لديك، وأنا لا ألومه على ذلك بالتأكيد، يجب أن أصّر على أن تُسدد له أجوره في الوقت المحدد."

أجاب كوبر " لم أختر أن يكون عليه أن يترك العمل لدي. وأنا أحتجز أجوره لأنني فعلت ذلك ضماناً لحسن تصرفه."

قال واربورتون "أنت لا تعرف تماماً طباع المالاويين. المالاويون حساسون جداً تجاه الإهانة والسخرية، وهم من النوع الانفعالي والحقود الذي يميل إلى الانتقام.، ومن واجبي أن أحذرك لكي لا توصل ذلك الفتى إلى الحدّ الذي قد يُعرّضك إلى خطر كبير."

ضحك كوبر ضحكة ازدراء خافتة وقال " ما الذي تعتقد بأنه قد يفعله؟"

"أعتقد بأنه سوف يقتلك."

"لماذا، وهل تهتم لذلك؟"

قال واربورتون وهو يضحك ضحكة خفيفة "لا، لست أهتم بذلك، وسوف أحتمل الأمر بكل جلادة، لكنني أرى أن من واجبي الرسمي أن أقوم بتحذيرك."

"وهل تعتقد بأنني سأخاف من ذلك الزنجي اللعين؟"

"هذا الأمر لا يعنيني على الإطلاق."

"حسناً، فلتدعني إذن أقول لك بأنني أعرف جيداً كيف أحمي نفسي. ذلك الخادم عباس عبارة عن حثالة، وهو نذل وسارق، وأقسم بالله بأنني سوف أدقّ عنقه في حال محاولته العبث معي بتلك الحيل الحقيرة."

قال السيد واربورتون" هذا كل ما أردت أن أقوله لك، عِمت مساء."

ثم أشار إليه بحركة تدلّ على طلب انصرافه. عَلت وجه كوبر الحمرة، وللحظة، لم يكن يعلم ما الذي عليه أن يفعله أو يقوله. ثم أدار ظهره وخرج من الغرفة وهو يتعثر...

رقبه السيد واربورتون وهو يخرج وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة باردة. لقد أدى واجبه نحوه.

لكن ما الذي كان سيخطر بباله لو أنه علم بأن كوبر عندما عاد إلى بنغاله كان صامتاً ومكتئباً، وبأنه رمى نفسه على سريره، وبأنه في تلك الوحدة المرّة، كان قد فقد كل سيطرته على نفسه وانفجر ببكاء كاد يجرح صدره، وبأن دموعه سالت بغزارة على خديه النحيلين.

لم يعد واربورتون يجتمع بكوبر إلا نادراً، ولم يكن يتحدث إليه على الإطلاق. كان كعادته يقرأ صحيفة التايمز كل صباح، ويؤدي عمله في المكتب، ويتريض، ويرتدي ملابسه الرسمية للعشاء .، ويتناول عشاءه ويجلس أمام النهر لكي يُدخن سيجاره. ولو أنه صادف كوبر فكان يتجاهله تماماً.

وعلى الرغم من أن كل منهما لم يكن يغفل للحظة عن وجود الآخر بالقرب منه، إلا أن كلاً منهما كان يتصرف كما لو أن الشخص الآخر لا وجود له. ولم يكن لمرور الوقت أي أثر في إخماد ذلك العداء الذي كان بينهما. كان كل منهما يراقب الآخر ويعرف كل ما يقوم به. وعلى الرغم من أن واربورتون كان في شبابه من الصيادين الماهرين إلا أنه كان مع السن قد اكتسب ذلك النفور من قتل الحيوانات المتوحشة في الغابة. أما كوبر فكان يخرج ببندقيته للصيد أيام الأحد وأيام العطل. وكان حصوله على صيد ما، بمثابة الانتصار على واربورتون، وعندما لم يكن ذلك يتم ، كان واربورتون يهزّ كتفيه ويضحك ضحكة خافتة ويقول لنفسه "يحاول العداءون للخلف أن يكونوا الآن من الرياضيين!".

كان يوم عيد الميلاد أسوأ فترة بالنسبة لكليهما: تناول كل منهما العشاء بمفرده، كل منهما في مكان إقامته، وتعمّد كل منهما أن يصل إلى حدّ الثمالة. كانا الرجلين الوحيدين من البيض في المئتي ميل من تلك المنطقة النائية، على الرغم من أنهما يعيشان على بعد صَيحة عن بعضهما.

ثم أصيب كوبر في بداية العام بالحمى، وكان واربورتون عندما لمحه من جديد قد دهش برؤية مقدار ما أصبح نحيلاً. كان يبدو مريضاً ومُنهكاً. كانت تلك الوحدة غير الطبيعية، التي لم تكن ل ناجمة عن أية ضرورة، تضغط على أعصابه إلى حدّ كبير. كما كانت تضغط أيضاً على أعصاب السيد واربورتون الذي لم يكن في كثير من الأحيان يتمكن من النوم ليلاً. كان يظلّ مستيقظاً وهو يُطيل التفكير. أما كوبر فقد بدأ يُسرف في الشراب. وبذلك أدرك واربورتون بأن الأمر قد وصل به دون شك إلى حدّ النهاية. إلا أن كوبر لم يكن مع ذلك يتصرف مع المواطنين بالشكل الذي قد يُعرضه إلى لوم رئيسه. كانا في حالة حرب ضارية صامتة، بحيث كان ذلك بمثابة الاختبار لمدى قدرتهما على الاحتمال...

مرّت الأشهر، ولم تكن هناك أية بادرة تُشير إلى أن أحدهما سوف يضعف أمام الآخر. كانا أشبه برجلين يقيمان في مناطق الليل الأبدي، وفي نفسيهما شعور مَقيت لإدراكهما بأنه لن يكون هناك فجر بعد الآن، وكما لو أن حياتهما سوف تستمر بتلك الرتابة الشنيعة وبذلك القدر الكبير من الحقد إلى الأبد...

لذا فعندما حدث المحتوم أخيراً، كان وقعه على واربورتون بكل ما في الصدمة لما هو غير متوقع. كان كوبر قد اتهم الخادم عباس بسرقة بعض ملابسه، وعندما أنكر الفتى السرقة أكان قد أمسك به من ياقة قميصه ورفسه ورماه من فوق سُلم البنغال.

طالَبه الفتى بأجوره، فكان أن وجّه إليه كوبر جميع أنواع الشتائم التي يعرفها، وهدّده بتسليمه إلى الشرطة لو أنه مكث بعد ذلك ساعة واحدة في المجمّع. وفي صبيحة اليوم التالي اعترض الخادم مجدداً طريق كوبر بينما كان خارج الحصن في طريقه إلى مكتبه، وطالبه مرة ثانية بأجوره. لكن كوبر ضربه على وجهه بقبضة يده المُطبقة بإحكام، وبذلك سقط الفتى على الأرض وعندما نهض كان الدم يسيل من أنفه.

استمر كوبر في طريقه إلى عمله، إلا أنه لم يكن قد تمكن من الاستمرار في العمل في ذلك اليوم. كانت تلك الصفعة قد هدّأت من توتره، وبالإحباط. أدرك أيضاً بأنه كان بذلك قد ذهب بعيداً في تصرفه مع الخادم. كان قلقاً وكان يشعر بالمرض وبالبؤس وبالإحباط . كان واربورتون في ذلك الوقت جالساً في المكتب المجاور له. شعر كوبر بحافز قويّ يدفعه إلى الذهاب إليه لكي يروي له ما حدث. قام بحركة على كرسيه، لكنه كان يعرف بأن واربورتون فسوف يصغي إليه بذلك الاحتقار البارد. وكاد يرى أمامه ابتسامة التنازل التي سيتفضل بها عليه...

وكان كوبر للحظة قد شعر بخوف مُربك مما قد يفعله عباس وهو الأمر الذي حذره به واربورتون تماماً. تنهد، كم كان مخبولاً!.. إلا أنه كان بعد ذلك قد هزّ كتفيه بضيق وحدث نفسه:

" لِم عليه أن يهتم بذلك... فقد يكون ذلك قَدره الذي عاش لأجله !.. لكن كل ذلك كان بسبب واربورتون، فلو لم يكن واربورتون قد أدار إليه ظهره لما حدث كل ذلك. كان واربورتون قد جعل حياته جحيماً منذ البداية. ذلك النفّاج! لكنهم جميعاً هكذا... كل ذلك لأنه من مستعمرة. كان من المشين ألا يكون قد حصل على رتبة أثناء الحرب، فهو مثله مثل أي شخص آخر من المجدين المثابرين ، لكن كان هناك الكثير من أولائك النفّاجين القذرين.، وسوف يكون من المعيب جداً أن يصل الآن ما فعله مع الخادم إلى مسامع واربورتون . لابد أن واربورتون سيعرف ما حدث فذلك الشيطان العجوز يعرف كل شيء. لم يكن خائفاً... لم يكن خائفاً ... لن يخاف من أي مالاوي في بورنيو... وبإمكان واربورتون أن يذهب إلى الجحيم..."

وكان على حق في الاعتقاد بأن واربورتون سوف يعرف ما حدث. كان رئيس الخدم لديه قد أعلمه بذلك عندما خرج لتناول الغداء.

سأله واربورتون "أين ابن أخيك الآن؟"

أجاب "لست أدري، سيدي. لقد رحل."

ظل واربورتون صامتاً. نام قللكنه كلمالغداء كعادته . لكنه في ذلك اليوم كان قد وجد نفسه مُتنبّها جداً، وكان رغماً عنه وكأنه يرى بعينيه ذلك البنغال الذي يأخذ فيه كوبر الآن قسطاً من الراحة.

ذلك الغبي!.. كان هناك بعض التردّد في ذهن واربورتون. هل أدرك ذلك الرجل مدى الخطر المُحدق به الآن؟ المفترض أن يكون عليه أن يرسل في طلبه، لكنه كلما كان قد حاول التفاهم مع كوبر كان الأخير يُهينه ... تصاعد الغضب، الغضب الجامح فجأةً في قلب واربورتون مما جعل عروقه تنتفض في صدغيه.

أطبق بإحكام على قبضتيه وحدّث نفسه:

" لقد تلقى ذلك الوغد تحذيره. ليس هذا من شأني، ولو حدث له شيء الآن فهذه ليست غلطتي. ربما كان عليهم أن يأخذوا برأيه في كوالا سولار، وأن ينقلوا كوبر من هذا الموقع."

كان واربورتون في تلك الليلة قد شعر بعدم الارتياح بشكل غريب . خرج إلى الشرفة بعد تناول طعام العشاء. وكان عندما جاء الخادم إلى مكان إقامته، قد سأله فيما إذا كان قد شاهد عباس.

أجاب الخادم "لا، سيدي، أعتقد أنه ربما ذهب إلى القرية التي يُقيم فيها شقيق والدته."

ألقى إليه واربورتون نظرة حادّة، لكن الخادم كان ينظر إلى الأسفل، ولم تتلاقى عيناهما. ثم نزل واربورتون بعد ذلك إلى جانب النهر وجلس إلى جانب تعريشته، لكنه لم يكن يشعر بالسلام. كان النهر يتدفق بصمت على نحو مشؤوم أشبه بثعبان ضخم وينزلق ببطء نحو البحر، وكانت أشجار الغابة تبدو ثقيلة فوق النهر، وكأنها تحبس أنفاسها وتنذر بالخطر. لم يغرّد أي طير، ولم تكن هناك أية نسمة تُحرك أوراق الشيَم، وكان كل ما حوله يبدو كأنه بانتظار حدوث أمر خطير ما....

مشى واربورتون عبر الحديقة إلى الطريق. كان بنغال كوبر يبدو بكامله أمامه من هناك. كان هناك ضوء في غرفة الجلوس. وكان يتردد عبر الطريق صوت موسيقى زنجية أمريكية، لابد أن كوبر يستمع الآن إلى الفونغراف. ارتعد واربورتون فلم يكن قد تمكن حتى الآن من أن يتخلى عن ذلك البغض الغريزي لتلك الآلة الموسيقية. كان عليه أن يتحدث مع كوبر. إلا أنه استدار وذهب إلى بيته... أمضى واربورتون وقتاً طويلاً في القراءة إلى أن تمكن من النوم. لكنه لم يكن قد تمكن من النوم طويلاً، وكان يحلم أحلاماً مزعجة، ثم خيل إليه أنه استيقظ على صوت صرخة حدّث نفسه " لابد أنه ذلك حلماً أيضاً، فليس بالإمكان أن يصل أي صوت من ذلك البنغال إلى غرفته ". ظل مُستلقياً إلى أن طلع الفجر.، ثم سمع صوت وقع أقدام سريعة، وأصوات مختلفة، ثم سمع صوت رئيس خدمه الذي اقتحم عليه الغرفة فجأة دون إنذار.

ظلّ قلب واربورتون ساكناً.

"سيدي، سيدي."

قفز السيد واربورتون من سريره وقال " سوف آتي في الحال."

وضع نعليه والسارونغ وسترة البيجاما وأسرع عبر المجمع إلى بنغال كوبر. كان كوبر مستلقياً في فراشه بفمٍ مفتوح، بخنجر مُغمد في قلبه. لقد تم قتله أثناء نومه. جفل السيد واربورتون، ولكن ليس لأنه لم يكن يتوقع أن يراه هكذا، وإنما كان قد جفل لأنه شعر في داخله فجأة باتقاد بما يُشبه الشعور بالغبطة فقد تم إزاحة حمل كبير عن كاهليه...

كان كوبر بارداً تماماً.

أخرج واربورتون الخنجر من الجرح. كان ذلك الخنجر قد أغمد بقوّة شديدة في صدره مما اضطره لأن يبذل جهداً لكي يتمكن من إخراجه. نظر إلى الخنجر وعرفه، إنه الخنجر الذي كان قد عرضه عليه أحد الباعة منذ أسابيع، والذي علم لاحقاً بأن كوبر اشتراه.

سأل واربورتون بحزم "أين عباس؟"

"عباس في قرية شقيق والدته."

وقال الضابط الذي جاء من الشرطة المحلية واقفاً في أسفل السرير "اصطحب اثنين من الرجال واذهب إلى القرية واقبض عليه."

ثم قام السيد واربورتون على الفور بما يلزم من الإجراءات، وكان قد أعطى تعليماته بوجه جامد وبكلمات مُقتضبة وحاسمة. ثم عاد إلى الحصن. أخذ حمامه وحلق ذقنه وارتدى ملابسه وذهب إلى غرفة الطعام، حيث كانت بانتظاره إلى جانب طبقه النسخة المُغلّفة من جريدة التايمز. تناول بعض الفاكهة، وسكب له رئيس الخدم بعض الشاي، بينما قدّم له الخادم الثاني صحن البيض. أكل السيد واربورتون بشهية جيّدة.

كان رئيس الخدم لايزال واقفاً إلى جانبه سأله واربورتون "ما الأمر؟"

قال الخادم "سيدي، كان عباس ابن شقيقي طوال الليل في منزل شقيق والدته. إمكاني أن أثبت ذلك. سوف يُقسم عمه بأنه لم يغادر الكامبونغ."

التفت إليه واربورتون ونظر إليه بتجهم ، ثم قال:

" تم قتل السيد كوبر من قبل عباس، وأنت تعرف ذلك تماماً كما أعرفه أنا أيضاً، يجب تأخذ العدالة مجراها."

قال الخادم "سيدي، لن تشنقه. أليس كذلك؟"

تردّد السيد واربورتون للحظة، ورغم أن صوته ظلّ صارماً وقاسياً، إلا أن تغييراً كان قد حدث في نظرته. كانت فيها لمعة استطاع المالاوي أن يتبيّنها على الفور. وبذلك لمعت في عينيه أيضاً نظرة تفاهم جوابية.

قال واربورتون " كان هناك قدر كبير من الإثارة، لذا سوف يُحكم على عباس بالسجن لفترة قصيرة من الزمن." ثم تلا ذلك فترة تردّد تناول خلالها واربورتون بعض المربى. ثم قال :

"عندما سُينهي عباس جزءاً من فترة السّجن، سوف أتخذه خادماً لدي، وبإمكانك تدريبه على واجباته. فليس لدي أي شك بأنه كان قد اتخذ بعض العادات السيئة في بيت السيد كوبر."

سأله الخادم "سيدي، هل على عباس أن يقوم بتسليم نفسه؟"

أجاب واربورتون "سوف يكون ذلك تصرفاً عقلانياً منه."

وكان واربورتون بعد أن انسحب الخادم، قد تناول صحيفة التايمز وفتح الغلاف بعناية. كان يحب فتح الأوراق الثقيلة ذات الحفيف.

كان الصباح رطباً جداً، منعشاً وبهيجاً، جالت عيناه للحظة حول الحديقة بنظرة مألوفة . شعر بأن ثقلاً كبيراً قد أُنزل عن كاهله. عاد إلى الإطلاع على الأعمدة التي تعلن عن أنباء الولادات والوفيات والزيجات، وكان ذلك ما ينظر إليه دوماً قبل أي شيء، ولفت نظره أحد الأسماء التي يعرفها. رزقت الليدي أورمسكيرك أخيراً بولد. "يالله، كم ستكون الأرملة العجوز سعيدة بذلك الآن!". سوف أرسل إليها رسالة تهنئة عن طريق البريد.

وسوف يكون عباس خادماً جيداً. ذلك المخبول كوبر!..."

السير الذاتية للكتّاب

السيرة الذاتية للكاتب رابندراناس تاغور١٨٦١-١٩٤١

تلقى تعليمه في السنوات الأولى من حياته في المنزل ، ثم التحق بالدراسة في انكلترا وهو في سن السابعة عشر. كان في بداية شبابه قد تولى الإشراف على إدارة أملاك العائلة، كما كان يساهم بين فترة وأخرى في الحركة الوطنية الهندية. كان من الكتاب المعروفين والناجحين وعلى الرغم من أن موطنه كان البنغال ،إلا أن شهرته انتشرت بعد ذلك في الغرب وكما انتشرت على الصعيد العالمي عندما تم ترجمة قصائده الشعرية إلى مختلف اللغات وبذلك اشتهر كأديب وشاعر وككاتب درامي .وكان الكاتب تاغور قد ألف أيضاً العديد من الروايات الموسيقية وبذلك كان اسمه قد أصبح الصوت المعبر عن التراث الروحي في البنغال وفي الهند .،لأن كتاباته لم تكن قد اقتصرت على المجتمع البنغالي وإنما كان قد صوّر المجتمع الهندي أيضاً ، كتب بكل من اللغتين الانكليزية والبنغالية . وتم تكريمه على الصعيد العالمي بمنحه جائزة نوبل للآداب في العام ١٩٠٣.

عُرف عن الكاتب تاغور أنه كان أيضاً من الأشخاص المُحسنين الذين يتعاطفون ويساعدون الطبقة الفقيرة.

السيرة الذاتية للكاتب هانس كريستيان أندرسون ١٨٠٥-١٨٧٥:

كاتب وشاعر من الدانمرك. كتب العديد من القصائد ومن المسرحيات ومن القصص القصيرة، لكن أكثرها شهرة كانت قصص الخيال التي كانت تتضمن بذات الوقت مَقولة أخلاقية بحيث وصل عددها إلى ١٥٠ قصّة لا تزال تُعاد طباعتها ونشرها إلى اليوم. تم نشر أول رواياته نُشرت في العام ١٨٣٥ من قبل جامعة كوبنهاغن تحت عنوان "المُرتجِل" وكان قد مُنح عليها جائزة تقديرية من الجامعة . كان هذا الكاتب قد استنبط أسلوباً جديداً له خاصيته. كما كان أول ما نُشر من قصائده الشعرية قصيدة تحت عنوان " الطفل الذي يموت" وكانت تلك القصيدة قد لقيت نجاحاً مُنقطع النظير.

حصل خلال حياته على العديد من الجوائز التقديرية:

١ - منحه الملك فريدريك الرابع في العام ١٨٤٦ لقب فارس الصقر الأحمر.

٢ - كما منحه الملك ماكسيمليان الثاني في بافاريا في العام ١٨٥٩جائزة في الآداب والعلوم .

كان في نهاية حياته قد أصيب بسرطان الكبد مما أدى إلى وفاته في العام ١٨٧٥وإلى مواراته التراب في كوبنهاغن مسقط رأسه.

السيرة الذاتية للكاتب أوهنري ١٨٦٢-١٩١٠:

من مشاهير كتّاب القصّة القصيرة في أمريكا ، وتتميز كتاباته بالنهايات المفاجئة . ولد في غرينيبورو في نورث كارولاينا لوالد طبيب واسمه الحقيقي ويليام سيدني بورتر. توفي والده وهو لايزال في سن الثالثة. كان قارئاً نهماً لكنه ترك الدراسة وهو لايزال في الخامسة عشر لكي يعمل في إحدى الصيدليات ثم انتقل إلى يوسطن وكان قد تنقل هناك بين العديد من الأعمال. ومنها عمله كاتباً في أحد المصارف.

كان في العام ١٨٨٤ قد أسس مجلة فكاهية أدت إلى إفلاسه وبذلك حكم عليه بالسجن لمدة ست سنوات نتيجة عجزه عن سداد التزاماته المالية .، كان خلالها قد ألف العديد من قصصه القصيرة . كان عندما أنهى محكوميته وخروجه من السجن قد اتخذ لنفسه اسمه الجديد الذي عرف به بعد ذلك وهو اسم "أو هنري" وانتقل للعيش في مدينة نيويورك وعمل هناك في الكتابة في مجلة أسبوعية . ألف العديد من الروايات التي أوصلته إلى الشهرة العالمية ومن أشهرها قصص " الغرفة المفروشة" و"الورقة الأخيرة" "قلب الغرب" " أساليب القدر" . كما وصل عدد القصص القصيرة التي ألفها إلى عشر مجلدات تشتمل على ٦٠٠ قصة قصيرة.

لكن ويليم سيدني بورتر كان قد أدمن على الكحول في آخر سنوات حياته مما أدى إلى إفلاسه وإلى وفاته في العام ١٩١٠ بعد معاناة طويلة من مرض تشمع الكبد .

السيرة الذاتية للكاتب سومرست موجهام ١٨٧٤-١٩٥٦

ولد في باريس عام ١٨٧٤من عائلة ايرلندية وهو ابن محامي بريطاني كان مكلفاً بإدارة الشؤون القانونية للسفارة البريطانية في باريس.، كما كان عمه وجميع أشقائه من المحامين المتميّزين . عاش في مطلع حياته حياة رائعة .، لكن والدته توفيت وهو في سن الثامنة ثم توفي والده بعد مرور عامين على وفاتها وكان قد عهد به إلى عمه الذي يعيش في انكلترا . لكن موجهام كان قد وجد بعض الصعوبات في التأقلم مع الجو المحيط به حيث كان زملائه يهزئون من طريقة لفظه نظراً لأن لغته كانت اللغة الفرنسية .، وبذلك سمح له عمه بالانتقال إلى ألمانيا وكان قد التحق هناك بجامعة هايدلبرغ لمتابعة دراسة الفلسفة والآداب . لكنه عاد من جديد إلى انكلترا والتحق بكلية الطب في جامعة لندن كما تدرب بعد ذلك لمدة عام في مشفى توماس التابع لتلك الجامعة ، على الرغم من أنه كان قد بدأ الكتابة وهو في سن الخامسة عشر وبأن كان طموحه أن يُصبح كاتباً .، وكان قد وجد هناك المادة العلمية لقصته الأولى "ليزا" وللعديد من رواياته الأخرى. حيث قال: "كنت قد شاهدت كيف يموت الناس، وشاهدت في أعينهم الخوف من الموت، كما شاهدت بذات الوقت ما يفعله الأمل في نفوسهم وما يمنحه من تخفيف للألم ومن الراحة النفسية لهم.

ثم انتقل من جديد إلى مدينة باريس وكتب هناك العديد من الروايات والمسرحيات. وكان في سن الأربعين عندما أعلنت الحرب العالمية الأولى كان مما أدى إلى عدم التحاقه بالخدمة العسكرية ، لكنه كان قد عوّض عن ذلك بالتحاقه بالصليب الأحمر المرتبط بالجيش الفرنسي.، وكانت تلك الفترة أيضاً مصدر

الإلهام للعديد من رواياته. لكن موجهام كان بعد فترة طويلة من الترحال، قد اضطر لدخول أحد المصحات في اسكتلنده لإصابته بمرض التدرّن الرئوي. وكان هناك أيضاً قد ود الإلهام والمادة الأدبية للعديد من رواياته ومن مسرحياته . كانت وفاته في باريس في العام ١٩٦٥وهو في سن ٩١.

السيرة الذاتية للمترجمة



الاسم: أمل الرفاعي ابنة عمر بسيم

العنوان الإلكتروني: **amale@scs-net.org**

الجنسية: عربية سورية

المؤهلات العلمية:

إجازة في الحقوق- جامعة حلب

دبلوم في الإدارة – المعهد الدولي للإدارة – باريس – فرنسا

اللغات الأجنبية: اللغتين الفرنسية والإنكليزية.

الأعمال:

١ -مديرة لمكتب رئيس جامعة حلب

٢ -مدرسة لمادة القانون باللغة الفرنسية في التعليم المفتوح بجامعة حلب.

٣- أمينة السرّ ومسؤولة تنظيم المؤتمرات الدولية والمحلية التي انعقدت في جامعة حلب بالتعاون مع الجامعات والمؤسسات العلمية والمنظمات الدولية ومنها:

- منظمة اليونسكو
- المجلس الوطني للثقافة
- والفنون والآداب – دولة الكويت
- معهد التعاون مع العالم العربي مدريد – إسبانيا
- المنظمة العربية والثقافة والعلوم
- مركز زايد للتراث والتاريخ – دولة الإمارات العربية المتحدة. وغيرها.

الأبحاث:

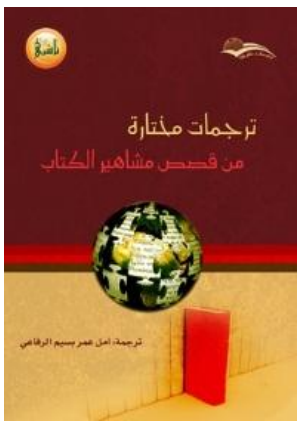
-أهمية التأهيل الإداري وأثره في إعداد شخصية الإداري الناجح.

- تأثير محيط العمل على الاستعداد النفسي لتقبّل عملية التطوير الإداري.

المؤلفات التي تم نشرها عن طريق دار ناشري للنشر الإلكتروني:



ترجمات مختارة من قصص مارك توين



ترجمات مختارة من قصص مشاهير الكتاب

المؤلفات الأخرى التي تم نشرها:



- قاموس المصطلحات القانونية والدبلوماسية عربي –إنكليزي وبالعكس



- قاموس المصطلحات الإدارية والاقتصادية عربي-إنكليزي وبالعكس



- قاموس مصطلحات إدارة الأعمال



- نماذج لأصول المراسلات التجارية، عربي- إنكليزي

مؤلفات قيد النشر:

- نماذج لأصول المراسلات المكتبية ثلاثية اللغة : عربي، إنكليزي، فرنسي.
- ترجمات لأربعين قصّة من القصص القصيرة لمشاهير الكتاب.
- القاموس القانوني الدبلوماسي الثلاثي اللغة – عربي – إنكليزي – فرنسي.

ترجمات جاهزة للنشر:

- ترجمات لمجموعة من القصص الكاتب مارك توين.
- ترجمات لمجموعة من قصص الكاتب الفرنسي غي دو موباسان.
- ترجمات لعدد آخر من قصص مشاهير الكتاب ممن حصلوا على جائزة نوبل في الآداب ومنهم الكتّاب: ليو تولستوي، أوسكار وايلد، أنطون تشيكوف، جوزيف كونار، ألبيركاموس.


الورقة الأخيرة